



حكومة إقليم كردستان
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة السليمانية
فاكولتي العلوم الإنسانية
سكول اللغات - قسم اللغة العربية

الدراسة اللغوية للقرآن الكريم عند تمام حسان

رسالة تقدّم بها الطالب

لطيف محمد صالح نوري البرزنجي

إلى مجلس سكول اللغات - فاكولتي العلوم الإنسانية - جامعة السليمانية،

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها (اللغة)

ياشرف

أ.م. بيستون علي كريم

توصية المشرف

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة: (الدراسة اللغوية للقرآن الكريم عند تَمَام حَسَّان)، جرى تحت إشرافي في قسم اللغة العربية بسكول اللغات - جامعة السليمانية، وهي جزءٌ من متطلبات درجة (الماجستير) في اللغة العربية.

التوقيع:

اسم المشرف: أ.م. بيستون علي كريم

التاريخ: / / ٢٠١٢ م

بناءً على التوصيات المتوافرة في هذه الرسالة أَرشحها للمناقشة.

التوقيع:

الاسم: أ.د. فائق مصطفى أحمد

رئيس لجنة الدراسات العليا في قسم اللغة العربية

التاريخ: / / ٢٠١٢ م

توصية أعضاء لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد أننا قد اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة:
(الدراسة اللغوية للقرآن الكريم عند تمام حسان)، وقد ناقشنا الطالب
(لطيف محمد صالح نوري البرزنجي) في محتوياتها، وفيما له علاقة بها، ونعتقد أنها جديرة بالقبول
لنيل شهادة الماجستير بتقدير (في اللغة العربية وأدائها (اللغة).

التوقيع:

الاسم: أ.م.د. نزار خورشيد مامه
(رئيس اللجنة)

التوقيع:

الاسم: أ.م.د. حسين نوري محمود
(عضو)

التوقيع:

الاسم: د. هيو عبدالله كريم
(عضو)

التوقيع:

الاسم: أ.م. بيستون علي كريم
(عضو ومشرف)

صدقت بمجلس سكول اللغات - فاكولتي العلوم الإنسانية - جامعة السليمانية

التوقيع:

الاسم: د. كاوان عثمان عارف
رئيس سكول اللغات - جامعة السليمانية
التاريخ: / / ٢٠١٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٠٣﴾

[النحل: ١٠٣]

شكر ونقد

من صفات المؤمن وكمال إيمانه أن يتذكر الإحسان ويرد عليه بالشكر والعرفان، قال الرسول ﷺ: (لم يشكر الله من لم يشكر الناس)، فلا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل ووافر التقدير لكل من وقف بجاني في هذه الرسالة، وأخصّ منهم بالذكر الأستاذ المساعد بيستون علي كريم لتفضّله بالإشراف على هذه الرسالة ولتوجيهاته السديدة ورعايته لهذه الرسالة منذ بدايتها وحتى نضوجها واكتمالها، فجزاه الله خيراً وأمدّ في عمره. والأستاذ المساعد الدكتور طه صالح آغا لإشرافه عليّ في الشهور الأربعة الأولى من رسالتي هذه.

وأتقدم بالشكر الخالص لسكول اللغات، وعلى رأسها الدكتور كاوان عثمان، ولقسم اللغة العربية في سكول اللغات رئيساً وأساتذة، لمساندتهم الدائمة، وللأستاذ المساعد الدكتور مكي نومان مظلوم لما أبداه من توجيهات ولما رفدني به من مصادر، ولِمَن تتلمذت عليهم إبان سنوات الدراسة لما أولوه لنا من رعاية واهتمام بالغين وتشجيع على السعي والمثابرة والمُضَيِّ قُدماً في الدراسة.

وأوجّه شكري وامتناني لأخي الدكتور يوسف محمد صالح، وللأستاذ صفاء عدنان، لما وقّراه لي من مصادر كانت بعيدة المنال.

كما وأتقدم بشكري الجزيل لجميع الزملاء ولكلّ من قدّم لي المشورة والنصح وأفادني ولو بكلمة، فجزاهم الله عني خير الجزاء، ووفقهم لما فيه الخير والصلاح.

الإهداء

إلى

حطّة القرآن

روح الأستاذ الدكتور تمام حسان (يرحمة الله)

والدعيّ العزيزين

إخواني وأخواتي

زُملائي الأعزّاء

أهدي ثمرة جهدي المنواضع...

المحتويات

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥-١	مقدمة
٣٢-٦	تمهيد: السيرة الذاتية
٧	أولاً: حياته
١٠	ثانياً: نشاطه العلمي
١٠	١ - مؤلفاته
١٥	٢ - ترجماته
١٥	٣ - مقالاته
١٦	٤ - الجوائز التي نالها
١٦	٥ - شعره
١٧	ثالثاً: مذهبه النحويّ
٢٧	رابعاً: نتائج منهجه الوصفي
٣٠	خامساً: أوليات وإبداعات تامة
١١٠-٣٣	الفصل الأول: خصائص صوتية وصرفية
٦٤-٣٤	المبحث الأول: خصائص صوتية
٣٥	- القيم الصوتية في القرآن الكريم
٣٥	• أولاً: الإيقاع
٣٧	- المقاطع
٣٨	- شروط المقاطع
٣٩	- أنواع المقاطع
٤١	- التبر

٤٢	- قواعد النبر
٤٤	- الفرق بين النبر الأولي والنبر الثاني
٤٧	- التفخيم والترقيق
٤٧	- التفخيم
٤٨	- الترقيق
٥٠	● ثانياً: الفاصلة
٥٢	- الفرق بين القافية والفاصلة
٥٤	- حالات مراعاة الفاصلة في القرآن الكريم
٥٤	١. التقديم والتأخير في الفواصل
٥٥	أ- تقديم الجار والمجرور على متعلقه
٥٥	ب- تقديم المفعول على الفعل
٥٦	ج- التقديم والتأخير في رتبة الأحداث التاريخية
٥٦	٢. إيثار صيغة المضارع على الماضي
٥٧	٣. إيثار الجملة الإسمية على الفعلية
٥٧	٤. مجيء ألف الإبدال في كلمات مقترنة بأداة التعريف (أل)
٥٩	٥. تعدد الفواصل مع اتحاد المعنى
٦٠	٦. مجيء الفاصلة قبل تمام المعنى
٦١	● ثالثاً: المناسبة
٦١	- المناسبة بحسب القاعدة

٦٢	- المناسبة الفنية التي لا تحكمها القاعدة
١١٠-٦٥	المبحث الثاني: خصائص صرفية
٦٦	• الإدغام
٦٧	• الإبدال
٦٨	- أولاً: الإبدال في صيغة الافتعال
٦٨	- إبدال تاء الافتعال إلى طاء
٧٠	- إبدال تاء الافتعال إلى دال
٧١	- الترخّص القرآني في صيغة الافتعال
٧٥	- ثانياً: الإبدال في صيغتي التفاعل والتفعل
٨٤	• بنية الكلمة
٨٦	- طرق الترخّص في البنية
٨٦	١- تغيير هيكل بنية الكلمة
٨٨	٢- حذف بعض حروف الكلمة
٨٨	- حذف ياء المتكلم
٨٩	- حذف ياء المنقوص المقترن بأل
٨٩	- حذف الواو من الفعل المعتل الآخر بالواو
٩٠	٣- إبدال حرف مكان حرف
٩١	٤- زيادة حرف على بنية الكلمة
٩٢	٥- إيجاد صورة للبنية غريبة على الشائع من الاستعمال
٩٦	- اتفاق بنية اللفظين
٩٦	- اتفاق الصورة واختلاف المعنى الوظيفي
٩٨	- اتفاق الصورة واختلاف المعنى المعجمي
١٠١	- أمن اللبس في بنية الكلمة
١٠٤	• العدول عن الأصل
١٠٥	• طلب الخفة
١٠٥	- إدغام اللام في الراء

١٠٧	- إدغام (نعم) في (ما)
١٠٩	- إدغام نون الرفع في نون الوقاية
٢٠٤-١١١	الفصل الثاني: خصائص نحوية وظواهر لغوية
١٥٠-١١٢	المبحث الأول: خصائص نحوية
١١٣	- محور القرب والبعد في تضام عناصر النص القرآني
١١٤	• عود الضمير
١١٦	- عود الضمير إلى أقرب مذكور
١١٧	- عود الضمير إلى أبعد مذكور
١٢١	• المسافة بين طرفي الاسناد
١٢٦	• نسخ جملة الخبر
١٢٧	• التعدي
١٣٠	• الموصوف وصفته
١٣٥	• الجار والمجرور ومتعلقه
١٣٨	• الحرف ومدخوله
١٤١	• الفصل بين المتعاطفين
١٤٤	• المستثنى منه والمستثنى
١٤٧	• التكرار تجنباً لأثر البعد.
١٩١-١٥١	المبحث الثاني: خصائص تركيبية
١٥٢	- التركيب
١٥٤	أ - الزيادة:
١٥٥	١-زيادة حرف النفي
١٥٥	- زيادة ما
١٦٠	- زيادة لا
١٦١	- زيادة حرف العطف (الواو)
١٦٣	٢-زيادة الضمير

١٦٥	ب - الحذف
١٦٧	- أنواع الحذف
١٦٧	١- حذف الحرف
١٧٠	٢- حذف الكلمة
١٧٢	٣- حذف شطر الجملة
١٧٤	٤- حذف كلام يقتضيه المعنى
١٧٨	ج - الفصل
١٧٩	١- الفصل بين لولا وفعلها
١٨٠	٢- الفصل بين الفعل ومفعوله
١٨٦	٣- الفصل بين الحال وصاحبه
١٨٧	٤- بين الموصوف وصفته
١٨٩	٥- بين المعطوف عليه والمعطوف
١٩٢-٢٠٤	المبحث الثالث: ظواهر لغوية
١٩٣	- ظواهر لغوية
١٩٣	أولاً: نقل معنى كلمة إلى معنى آخر
١٩٣	-نقل (إلا) من الاستثناء، ليدل على الاستدراك
١٩٤	-نقل (هل) إلى معنى التعجب
١٩٥	-نقل (إذ) إلى معنى أداة استئناف
١٩٦	-نقل (لو) لمعنى النفي
١٩٧	ثانياً: المشترك اللفظي
١٩٧	-لباس
١٩٨	-يعدلون
١٩٩	-أعرض

٢٠٠	-الأوسط
٢٠٢	ثالثاً: تضمين بعض العناصر اللغوية معاني بعض
٢٠٢	-تضمين (استحب) معنى (فضل)
٢٠٣	-تضمين (اتخذوا) معنى (جعلوا)
٢٠٣	-تضمين (ضاحكاً) معنى (متعجباً)
٢٠٤	-تضمين (هل) معنى (هلاً)
٢٠٩-٢٠٥	الخاتمة
٢٣٠-٢١٠	المصادر والمراجع
٢٣٣-٢٣١	ملخص البحث باللغة الكردية والإنكليزية
٢٣٢	ملخص البحث باللغة الكردية
٢٣٣	ملخص البحث باللغة الإنكليزية

مُقَلَّمَةٌ

مُقَدِّمَةٌ

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على مُحَمَّدٍ ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فإنَّ العربية لغةٌ شرفها وكرّمها المولى ﷺ بأن أنزل كتابه الكريم القرآن العظيم بها، فكان هذا الأمر خير حافظٍ لهذه اللغة على مرّ العصور والأزمان، ولا نكاد نجد لغةً لها من العمر ما للعربية؛ وهي باقيةٌ على قواعدها الأولى، لم تتغيّر، ويفهم أهلها بعضهم بعضاً. وقد هيأ الله لهذه اللغة من يخدمها ويدفع عنها من يتربّص بها ويكيّد لها ويحاربها، فلم تخلُ فترةٌ زمنيةٌ مرّت بها اللغة من علماء ولغويين كبار يدرسونها ويسجّلون ما يجيّد فيها وما يطرأ عليها، أو يفسّرون القرآن الكريم أو يشرّحون صحاح الحديث النبوي الشريف أو دواوين الشعراء أو غيرها من القضايا اللغوية الأخرى. ولم تلقَ لغةٌ من اللغات ما لقيتهُ لغةُ القرآن الكريم من العناية والاهتمام والدراسة، فلم يُجز اللغويون، ولا النحاة، الخطأ في نصّ القرآن، ولا في لغة الخطاب؛ لأنهم يعلمون جيّداً ما للحن من تأثيرٍ خطيرٍ، فجمع اللغويون الألفاظ وقتنّها النحاة جملاً وتراكيب، وأحاطوها بأسوارٍ منيعة، فلا يمكنُ للحن أن يقربَ بابها، وهذه فضيلةٌ للغة القرآن دون سواها من اللغات، وكيف لا وقد تعهد الرّحمٰن بحفظها، بقوله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، وقد يسرّ لي الله أن أبحث في كتابه العزيز وفي جهود عالمٍ من علماء اللغة المتبحّرين فيها، في دراسته اللغوية للقرآن الكريم، هذا اللغوي الذي له باعٌ طويلٌ في دراسة اللغة وخدمتها، منذ ما يرثو على ستين سنة، فقد حفظ القرآن وجوّده وهو ابن أحد عشر عاماً، وتعلّم على يد خيرة علماء الأزهر الشريف، وأكمل دراسته الجامعية الأولى بكلية دار العلوم في جامعة القاهرة، ثم أوفد إلى بريطانيا لدراسة الماجستير والدكتوراه في اللغة، فدرّس على أبرز أساتذة اللغويات والصّوتيات في العالم، وحصل على درجة الدكتوراه سنة

١٩٥٢، وهذا العالم هو الأستاذ الدكتور تمام حسّان (يرحمه الله)، الذي كان بحق علامة زمانه وفهّامة عصره الذي أُطلقَ عليه لقبُ (سيبويه العصر الحديث)، وعلى كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) مسمّى (الكتاب الجديد)، هذا اللغوي البارِع ذو القامة الفارعة في ميدان اللغة واللسانيات المتبحّر في علوم الأوّلين والمتشرّب بجديد العصر، الذي لم ينضب قلمه حتى أواخر أيامه تأليفاً وكتابة فأخرج للنور قبل يومين من وفاته كتابه الجديد (حصاد السنين من حقول العربية)، وكانت له صولات وجولات في ميدان اللغة، فألّف عدداً من الكتب كانت وما تزال مرتعاً خصباً للدارسين وطلبة العلم وأفادت النشء وشغلت المختصين، ومع أن كتبه لم تخلُ من إشارات إلى المواضيع القرآنية، ولغة القرآن بوجه خاص، إلاّ أنّه أفرد السنوات العشر الأخيرة من عمره للتأليف في مجال الدراسة اللغوية للقرآن الكريم، ومن أهمّ كتبه في هذا المجال: (البيان في روائع القرآن)، (مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن)، (خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم)، وكان لهذا الأخير أكبر الأثر في اختيار الباحث لعنوان هذا البحث الموسوم بـ(الدراسة اللغوية للقرآن الكريم عند تمام حسّان)، فشَرَعْتُ أجمع المواد التي تناول فيها الدكتور تمام دراسة لغة القرآن من كتبه من هنا وهناك وقد أخذ ذلك من وقتي وجهدي الكثير، وحصلت على بعض كتبه دون بعضها، واستمرّيت في البحث والتنقيب في كتب التفاسير وعلوم القرآن وكتب اللغة من صوت وصرف ونحو ومعجم، مقارنةً الرأى بالرأى والعبارة بالعبارة، حتى استوى البحث على شكله الحالي، فرأيت أن أجعل هذا المجموع في فصلين، سبقهما تمهيد : تكلمت فيه عن السيرة الذاتية للأستاذ تمام حسّان، أي عن اسمه ونشأته وطلبه للعلم. ثم مؤلفاته وتناولت فيه منهجه في كتبه، وترجماته والجوائز التي أُكْرِمَ بها، ومن ثمّ عزّجت إلى الحديث عن منهجه ونتائجه التي توصل إليها، وأوليّاته وإبداعاته التي انفرد بها.

ثمّ جاء الفصل الأول؛ ويقع في مبحثين، عالج المبحث الأول الخصائص الصوتية، وتحدّثنا فيه عن القيم الصوتية في القرآن الكريم، حيث تضمن: الإيقاع والفاصلة والمناسبة الصوتية، وتناولنا في الإيقاع المقاطع وشروطها وأنواعها، ثمّ النّبر وقواعده وأنواعه، فالنّفخيم والترقيق. وتناولنا في الفاصلة الفرق بينها وبين القافية، وحالات مراعاة الفاصلة في القرآن الكريم من: تقديم وتأخير للحجار والمجور على متعلّقه، والمفعول على فعله، والتقديم في رتبة الأحداث التاريخية، ثم ايثار صيغة المضارع على الماضي،

وإيثار الجملة الإسمية على الفعلية، ومجيء ألف الإبدال في كلمات مقترنة بأداة التعريف (أل)، وتعدد الفواصل مع اتحاد المعنى، ومجيء الفاصلة قبل تمام المعنى. وتناولت المناسبة الصوتية، المناسبة بحسب القاعدة، والمناسبة الفنية التي لا تحكمها القاعدة.

وتناول المبحث الثاني: الخصائص الصرفية: من إدغام وإبدال، والإبدال في صيغة الافتعال (إبدال تاء الافتعال طاءً، وإبدال تاء الافتعال دالاً)، والترخص القرآني في صيغة الافتعال، والإبدال في صيغتي التفاعل والتفعل، ثم تناول بنية الكلمة وطرق الترخص في قرينة البنية: بتغيير هيكل الكلمة، أو حذف بعض حروف الكلمة، أو زيادة حرف أو أكثر على الكلمة، أو تغيير حرف من الكلمة، وإيجاد صورة للبنية غريبة على الشائع من الاستعمال. بعدها اتفاق بنية اللفظين، ثم أمن اللبس في بنية الكلمة، والعدول عن الأصل، وطلب الخفة.

أما الفصل الثاني، فقد وقع في ثلاثة مباحث؛ عالج المبحثان الأول والثاني الخصائص النحوية، حيث تناول الأول منهما محور القرب والبعد في تضام عناصر النص القرآني، من مسألة عود الضمير إلى أقرب مذكور، وعوده إلى أبعد مذكور، والمسافة بين طرفي الاسناد، ونسخ جملة الخبر، والتعدية، والموصوف وصفته، والجار والمجرور ومتعلقه، والحرف ومدخوله، والفصل بين المتعاطفين، والمستثنى منه والمستثنى، والتكرار تجنباً لأثر البعد.

وتناول المبحث الثاني، الخصائص التركيبية، وعرضنا فيه طرق القرآن في التعامل مع التركيب، من حيث الزيادة والحذف والفصل، وتناول في الزيادة، زيادة حرفي النفي (ما، لا)، و (واو) العطف، والضمير. وتناول في الحذف، حذف الحرف وحذف الكلمة وحذف شطر الجملة وحذف كلام يقتضيه المعنى. ثم تناولنا، الفصل بين (لولا وفعلها، والفعل ومفعوله، الحال وصاحبه، الموصوف وصفته، المعطوف عليه والمعطوف).

وتناول المبحث الثالث المسائل اللغوية، وشمل: أولاً: نقل معنى كلمة إلى معنى آخر، وتضمن: نقل (إلا) من الاستثناء، ليدل على الاستدراك، ونقل (هل) إلى معنى التعجب، ونقل (إذ) إلى معنى أداة استئناف، ونقل (لو) لمعنى النفي. وثانياً: عرضاً للمشترك اللفظي في بعض الألفاظ القرآنية.

وتحدث ثالثاً: عن تضمين بعض العناصر اللغوية معاني بعض، منها: تضمين (استحب) معنى (فضل)، وتضمين (اتخذوا) معنى (جعلوا)، وتضمين (ضاحكاً) معنى (متعجباً)، وتضمين (هل) معنى (هلاً).

وختمت الرسالة بخاتمة لأهم النتائج التي توصلت إليها، ثم أردفته بقائمة المصادر والمراجع.

وممّا لا شكّ فيه أنّ أي عمل علمي لا بد أن تواجهه عراقيل ومشاكل تحول دون وصول الباحث إلى المستوى الذي كان يطمح إليه، ولم نكن بدعاً من ذلك، فقد عانينا كثيراً حتى حصلنا على بعض مؤلفات الدكتور تمام حسّان، في الآونة الأخيرة، ولا زال بعضها بعيداً عن متناولنا، مما أثر سلباً على مسيرة البحث. ولست أزعم في هذا البحث أنني قد عاجلت كلّ ما عرض له الدكتور تمام حسّان من قضايا اللغة في القرآن، بل اكتفيت من ذلك بما تيسّر لي متابعته، ولو أن هذا البحث قد تتبّع كلّ شاردةٍ وواردةٍ ذكرها الدكتور تمام حسّان لا تَسعَ البحثُ ولم يَسعنا الوقتُ في معالجة المسائل الواسعة والمتشعبة التي عاجلها لأكثر من نصفِ قرنٍ من الزّمان.

وبعد، فإنّني لا أدعي الكمال في هذا البحث، فالكمال لله وحده، فقد بذلت فيه ما وسعني من جهدٍ وطاقة، عسى أن أنال به رضا ربّي، ثمّ قبول أساتيدي الكرام وزملائي الباحثين، وما توفيقي إلاّ بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين مُحَمَّد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث

مَهْيَدٌ

السيرة الذاتية

السيرة الذاتية:

أولاً: حياته:

ولد تمام حسان عمر محمد داود في ٢٧ يناير سنة ١٩١٨م، بقرية الكرنك بمحافظة فنا بصعيد مصر، أتم حفظ القرآن الكريم وتجويده على قراءة حفص سنة ١٩٢٩م. ثم غادر قريته ليلتحق بمعهد القاهرة الديني الأزهري في السنة الدراسية: ١٩٣٠-١٩٣١م، وفيه حصل على الشهادة الابتدائية الأزهرية سنة ١٩٣٤م، وعلى الشهادة الثانوية الأزهرية سنة ١٩٣٩م. والتحق بعد ذلك بمدرسة دار العلوم العليا (وهي الآن كلية دار العلوم بجامعة القاهرة)، وحصل على الدبلوم في اللغة العربية سنة ١٩٤٣م.

وفي عام ١٩٤٥م حصل على إجازة التدريس من دار العلوم بعد أن أمضى فيها سنتين لدراسة التربية وعلم النفس، وكان ترتيبه الأول على فرقته.

وبعد تخرجه مباشرة عيّنته وزارة المعارف-آنذاك- معلماً للغة العربية بمدرسة النقراشي النموذجية عام ١٩٤٥م، ولم يمكث بها طويلاً إذ سرعان ما اختارته دار العلوم معيداً بها، وأوفدته في بعثة دراسية في شباط ١٩٤٦م إلى جامعة لندن، ليتخصص في علم اللغة بمشورة من الدكتور إبراهيم أنيس.

وبدأ هناك بتعلم اللغة الإنجليزية التي أتقنها بعد عام واحد من التحاقه بالجامعة، وانتظم في الدراسة بمعهد الدراسات الشرقية والإفريقية التابع لجامعة لندن، وحصل فيه سنة ١٩٤٩م على شهادة الماجستير في علم اللغة العام، فرع الأصوات اللغوية، وكان موضوع رسالته:

[دراسة صوتية للهجة الكرنك في صعيد مصر]

(THE PHONITICS OF EL KARNAK DIALECT (UPPER EGYPT))

ثم حصل على درجة الدكتوراه في الفرع نفسه سنة ١٩٥٢م، وكان موضوع أطروحته:

[دراسة صوتية وفونولوجية للهجة عدن في جنوب بلاد العرب]

(THE PHONETICS & PHONOLOGY OF AN ADEN OF ARABIC (SOUTH ARABIA))

وقد تطلّب منه هذا التخصص عملاً ميدانياً سافر من أجله إلى عدن، وأقام بها ستة أشهر في عام ١٩٥١م. وبعد شهر واحد من حصوله على الدكتوراه، عاد إلى مصر وعيّن في آب ١٩٥٢م مدرّساً (أستاذاً مساعداً) بكلية دار العلوم-قسم فقه اللغة (علم اللغة والدراسات السامية والشرقية حالياً).

وفي عام ١٩٥٧م أرسلته الكلية إلى أمريكا لاختيار أجهزة حديثة لمعمل الأصوات اللغوية، والتدريب على استخدام هذه الأجهزة، وكيفية استخراج النتائج منها. وجلب معه أجهزة إلكترونية متطورة كوّن نواة لمعمل لغوي متكامل.

وفي عام ١٩٥٩م رُقيّ إلى درجة أستاذ مساعد (أستاذ مشارك)، وانتدب سنة ١٩٦١م، للعمل مستشاراً ثقافياً بسفارة الجمهورية العربية المتحدة -آنذاك- في العاصمة النيجيرية (لاجوس). وأثناء عمله في نيجيريا تقدّم بإنتاجه العلمي لكلية دار العلوم للحصول إلى درجة أستاذ كرسي في النحو والصرف، و رُقيّ إلى هذه الدرجة العلمية سنة ١٩٦٤م.

وفي مطلع عام ١٩٦٥م عاد إلى مصر ليشغل منصب رئيس قسم النحو والصرف، ووكيل كلية العلوم. واستمرّ على هذه الحال مدة عامين، أُعيّر بعدها إلى جامعة الخرطوم سنة ١٩٦٧م، وهناك كلفته الجامعة بإنشاء قسم للدراسات اللغوية، وعهدت إليه برئاسته.

وعاد في سنة ١٩٧٠م إلى كلية دار العلوم، فشغل المنصبين السابقين، ثم عُيّن في سنة ١٩٧٢م عميداً للكلية، وكُلف مع العمادة بأمانة اللجنة الدائمة للغة العربية (لجنة ترقية الأساتذة) التابعة للمجلس الأعلى للجامعات المصرية لمدة ثلاث سنوات (١٩٧٠-١٩٧٣م). كما أنشأ خلال العام ١٩٧٢م الجمعية اللغوية المصرية.

انتخب عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، في المكان الذي خلا بوفاة الأستاذ إبراهيم عبد المجيد اللبّان (ت ١٩٧٧م). وبقي بالمجمع مدة ثماني سنوات يؤدي رسالته الجمعية على أكمل وجه، حتى استقالته من عضوية المجمع سنة ١٩٨٨م.

وقّع صيف ١٩٨٠م عقداً للعمل أستاذاً بجامعة الملك عبد العزيز - فرع مكة المكرمة (جامعة أم القرى حالياً)، وتحديدًا في معهد اللغة العربية لغير الناطقين بها. وأثناء عمله بالمعهد تم تكليفه بإنشاء قسم جديد هو (قسم التخصص اللغوي والتربوي)، يتخرّج فيه معلمو اللغة العربية لغير الناطقين بها، وعيّن رئيساً له منذ ذلك الحين وحتى أواخر عام ١٩٩٤م، حيث قدّم استقالته الاضطرارية من رئاسة

القسم، ليتم تعيينه بعدها نائباً لرئيس وحدة البحوث والمناهج بالمعهد. وظلّ يواصل عطاءه العلمي بالمعهد حتى أواخر عام ١٩٩٦م، حيث انتهى عقده بالجامعة نظراً لبلوغه السن القانونية. وعاد إلى مصر بعد ستة عشر عاماً قضاها بمكة المكرمة وجامعتها أمّ القُرى ليعمل أستاذاً مُتفرِّغاً بكلية دار العلوم (الكلية الأم).

وفي عام ٢٠٠٥م أُعيدَ انتخابه عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، في المكان الذي خلا بوفاة أحد أعضاء المجمع، وظلّ مُواظباً على الذهاب إلى المجمع وحضور ندواته رغم تقدم السن به، حتى وفاته. والأستاذ تَمَّام حَسَّان متزوج وله من الأبناء أربعة: ثلاث بنات وابن واحد، ويكنى بأبي هانئ^(١).

توفي (يرحمه الله) في (١١ تشرين الثاني ٢٠١١) عن عمر ناهز الثالثة والتسعين عاماً، ولا ريب أن وفاة هذا العلامة الكبير الدكتور تَمَّام حَسَّان، هي خسارة كبرى وعظيمة لمجامع اللغة العربية والنحو العربي، وقلماً يجود الزمان بمثله، لما تركه من بصمات واضحة. إنَّ وفاة فقيه العربية لهي ثلثة في تاريخها وكيانها ومسيرتها عبر القرون، وقد كان الرّاحل أحد سدنتها والمجددين لها في العصر الحديث.

وهكذا طُوِّيت صفحة عالم لغوي بارز بعد ثلاثة وتسعين عاماً (١٩١٨-٢٠١١م) قضاها مُعتكِفاً في محراب العلم والمعرفة الإنسانية، لم تشغله أعراس الدنيا وزينتتها عن التفرغ لمحبوته الأثيرة إلى نفسه وهي اللغة العربية، والتي أعطاها قلبه وعقله، ومنحها شبابه وكهولته، وأفرغ عليها فيضاً من حبه وعشقه. كان بإمكانه أن يصل إلى مُتّع الدنيا بأيسر طريق وأقل جهد، ولكنه كان زاهداً فيها، مؤثراً حياة العطاء العلمي والإسهام الثقافي على ما سواهما، وقد أكرمه الله عز وجل فمنَّ عليه بطول العمر والتفرغ للعمل في العلم حتى آخر لحظة من حياته، فأثرى المكتبة العربية بالمؤلفات النافعة، والترجمات الدقيقة، والنظرات الثاقبة، والأفكار المتجددة. نشر أكثر من خمسة عشر كتاباً، وكان آخر ما صدر له عن عالم الكتب بالقاهرة كتاب (حصاد السنين)، والذي أخرجته المطبعة قبل وفاته (يرحمه الله) بأيّام. وأشرف على مئات الرسائل الجامعية وناقش مثلها في مشرق الوطن العربي ومغربه، وشارك في كثير من المؤتمرات والملتقيات العلمية، ولم يتوان عن الاستجابة لأيّ دعوة علمية توجه له رغم تقدم سنه ووَهْن عظمه. كما أسهم بجهد وافر في أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة أثناء عضويته الأولى في المجمع التي امتدت من عام ١٩٨٠-١٩٨٨م، وعضويته الثانية التي امتدت من

(١) ينظر: تَمَّام حَسَّان رائداً لغوياً، د. عبد الرحمن حسن العارف: ١٣-١٦.

عام ٢٠٠٥م وحتى وفاته. وأوقف حياته في العشر السنوات الأخيرة على كتاب الله، فخصّه بالكثير من المؤلفات والدراسات والتأملات.

ثانياً: نشاطه العلمي:

يمكن توزيع النشاط العلمي للدكتور تّمام بصفة عامة إلى ثلاثة مجالات رئيسة، أولها مجال التأليف، وثانيها مجال الترجمة. وثالثها مجال المقالات والبحوث، يضاف إلى ذلك حضوره ومشاركاته العلمية في الندوات والمؤتمرات وإلقائه المحاضرات في الأندية الأدبية والثقافية، والجامع اللغوية، والمعاهد التعليمية المتخصصة، وإسهامه في الاشراف على الرسائل العلمية، والاشتراك في مناقشتها.

١ - مؤلفاته:

فأمّا مؤلفاته فقد بلغت حتى وفاته، أكثر من ثلاثة عشر كتاباً، هي بحسب تاريخ صدورها:

١ - مناهج البحث في اللغة:

صدر لأول مرة سنة ١٩٥٥م، وتوالت طبعاته بعد ذلك في مصر والمغرب. وفي هذا الكتاب تناول الدكتور تّمام أفكار المنهج الوصفي في تحليل مستويات اللغة الخمسة: الأصوات، والصرف، والنحو، والمعجم، والدلالة، وحاول تطبيقها على اللغة العربية الفصحى.

٢ - اللغة بين المعيارية والوصفية:

نشر لأول مرة سنة ١٩٥٨م، وتجدد طبعته بعد ذلك في مصر والمغرب. وفيه قسم النشاط اللغوي إلى معياري ووصفي، وفرّق بين ناحيتين من نواحي هذا النشاط، هما الاستعمال اللغوي الذي هو وظيفة المتكلم، والبحث اللغوي الذي هو وظيفة الباحث. وفي ضوء هذا التفريق ربط بين المعيارية والأمور الاستعمالية، كالتقياس، والتعليل، والمستوى الصّوابي، كما ربط بين الوصفية والأمور المنهجية، كالرموز اللغوية والاستقراء والتععيد، والنماذج اللغوية.

وبصفة عامة فإنّ كتابه هذا يعدّ مكملاً لكتابه السابق وترسيخاً للمنهج الوصفي الذي كان قد دعا إليه، ونقداً للمنهج المعياري الذي اتسمت به الدراسات اللغوية القديمة عند العرب. وقد وصف الدكتور صبحي الصالح (يرحمه الله)، هذين الكتابين بقوله: "فقد جاء آيتين في الدقّة والتقصّي فيما صوّرا من المذاهب الحديثة في بحوث اللغة، وإن فيهما جهداً مشكوراً في ردّ طائفة من تلك المذاهب

إلى مبتدعيها، ومحاولة ناجحة أحياناً في المقارنة بين العربية واللغات الحيّة من خلال ما استحدث العلماء من مناهج"^(١).

٣- اللغة العربية معناها ومبناها:

صدر في طبعته الأولى سنة ١٩٧٣م. وفي هذا الكتاب أودع الدكتور تمام خلاصة الأفكار التي كانت تدور في ذهنه منذ أمدٍ بعيدٍ عن المنهج الوصفي البنيوي في دراسة اللغة، ومحاولة تطبيقه على العربية. واحتوى الكتاب على أهم نظريّاته في اللغة، كنظريّة القرائن النحوية، هذه النظرية التي تحوّلت فيما بعد عبر أتباعها الذين تأثروا بأفكارها إلى (مدرسة تضافر القرائن) أو (القرائن النحوية).

ويمكن تصنيف الكتاب ضمن تلك المحاولات الإصلاحية للنحو العربي، وإن كانت تفضلها بالنظرية الشمولية لأنظمة اللغة، وعلاقتها، ومزاوجتها بين المعنى والمبنى، وسعيها للكشف عن المعنى النحوي.

"وتباينت ردود الفعل تجاه هذا الكتاب وما يحمله من أفكار ونظريات لغوية، سلباً وإيجاباً، فمنها ما رأت فيه أنه عمل لساني رائد، وأنه من أهم ما قيّم به في إطار الاتجاه الوصفي، وأنه استطاع أن يطوّر منهجاً جديداً من التراث النحوي والبلاغي القديم معتمداً على منهج من مناهج الدرس اللغوي الحديث، وأنه أشمل كتاب في قراءة التراث، وأنه أعطى للنحو مفهومه ومكانه الصحيح بين أنظمة اللغة العربية. وأنه يقف في الصدارة من تلك المحاولات التي احتوت الغاية التعليمية، واتّسع أفقها المنهجيّ ليعالج مسائل العلم المتّصلة بوظيفة النحو البحثية وغاياته الأكاديمية، وهو جهدٌ بصيرٌ يُبَيِّنُ في جوهره جميع ما سبّقه من جهود"^(٢).

وهناك من يرى بأنّ: "الكتاب لا يكشف عن أي تجديد حقيق في مقارنة اللغة العربية، وأنه ليس نموذجاً جديداً يقف بإزاء النموذج البصري وإنما هو دراسة نقدية شاملة مع إعادة ترتيب للدراسات اللغوية العربية وفق المنهج الوصفي البنيوي ليس إلّا، وأنه لم يتوصل إلى وضع وصف جديد كامل للعربية بل جدد فيه بعض التجديد"^(٣).

(١) دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح: ١٠.

(٢) تمام حسّان رائداً لغوياً: ٢٠.

(٣) العربية وعلم اللغة البنيوي، د. حلمي خليل: ٢٤٠.

وخلاصة القول أنّ هذا الكتاب هو مشروع قراءة أخرى للتراث اللغوي العربي من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة، أو بعبارة ثانية هو إعادة صياغة للنحو العربي وترتيب الأفكار اللغوية بوجه عام في ضوء أحد مناهج البحث اللغوي الحديث هو المنهج الوصفي.

وقد حظي هذا الكتاب بدراسات نقدية خصصت له، أو وردت ضمن أعمال علمية كتبها أصحابها في تقويم التفكير اللساني الحديث في العالم العربي، وإن كانت هذه الدراسات الناقدة تأخر زمن صدورها رغم دعوة المؤلف المبكرة لجمهور الدارسين المختصين بتناول عمله هذا بالنقد البناء!

ولم تقف هذه الدراسات الناقدة عند هذا الحد، بل تجاوزته إلى التجريح والخروج عن الموضوعية العلمية، وهو ما كان يحسن أن يتجنب في تقويم الأعمال العلمية. وقد تقبل الدكتور تمام تلك النقادات بترحاب كبير، وكما يقول هو: "بصدر متّسع، وابتسامة واثقة"^(١). واستجاب بوجه خاص لتلك الملاحظة العلمية البناءة التي أبداها كثير من الباحثين من أن نظريته في القرائن النحوية تفتقر إلى التطبيق العملي والعلمي على أبواب النحو جميعها، فكان ذلك مدعاةً لتأليف كتابه (الخلاصة النحوية). وأيّما كان الأمر فإن هذا الكتاب فضلاً عن كونه محاولة جريئة وحدثاً علمياً متميزاً في الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، حسّبه أنه لفت الأنظار إلى أنّ هناك متسعاً من القول في النحو العربي وأن باب الاجتهاد فيه مازال مفتوحاً لمن تتوافر فيه شروطه.

٤ - الأصول، دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب:

صدر في طبعته الأولى عام ١٩٨١م. وفي هذا الكتاب دراسة معرفية تناول بها جذور الفكر اللغوي ومصادره في ثلاثة حقول من أهم حقول الدراسات اللغوية العربية وهي: النحو - فقه اللغة - البلاغة. ونظراً لمكانة مؤلفه وأثره في الدارسين والباحثين، والقيمة العلمية لهذا المؤلف، فقد أُفردت دراسات ناقدة كشفت عن نواحي الائتلاف والاختلاف في بعض القضايا المتصلة بتاريخ النحو وأصوله.

٥ - التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها:

نشر عام ١٩٨٤م. وهو يقع في مجال تعليم العربية لغير أبنائها أو بعبارة أدقّ في ميدان علم اللغة التطبيقي.

(١) ينظر: الخلاصة النحوية، د. تمام حسّان: ٨.

٦- مقالات في اللغة والأدب:

نشر الجزء الأول منه عام ١٩٨٥م، ونشر الجزء الثاني منه عام ٢٠٠٦م، ويتضمن مجموعة من المقالات والبحوث التي كان قد نشرها في مجلات علمية مختلفة أو ألقاها في مؤتمرات وندوات علمية متخصصة وجميع موضوعاته تدور حول اللغة تعليماً ونقداً وتقويماً للتراث اللغوي عند العرب.

٧- البيان في روائع القرآن:

صدر عام ١٩٩٣م في جزء واحد، ثم صدر في جزئين (مجلد كبير) عام ٢٠٠٠م.

والكتاب يقوم بتحليل النصوص القرآنية ودراستها دراسة لغوية وأسلوبية. وقد وُفِّقَ الدكتور تمام حسّان بإخراج كتابه للناس إلى شرف الغاية وإلى حسن الوسيلة، أما شرف الغاية فهو خدمة الكتاب العزيز، وهي غاية من الشرف في المكان الأسمى، وأما شرف الوسيلة فقد جمع في كتابه هذا الكثير من مباني اللغة وأسرارها مستشرفاً بذلك جلال القرآن وجماله.

٨- الخُلاصة النَّحوية:

صدر عام ٢٠٠٠م. الكتاب تطبيق عملي لما أودعه في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) من نظريات لغوية، لاسيما نظرية القرائن النحوية وتضافرها على بيان المعنى.

وهي دراسة تطبيقية توجت جهود الدكتور تمام حسّان من خلال نظرياته في مؤلفاته السابق ذكرها. فقد كان يأمل إصدار دراسات تطبيقية لإثبات نظريته ولكنه حُرِّمَ ذلك حتى قام هو نفسه بهذه الدراسة الجديدة التي نحن بصدددها، وقد صدرت لأول مرة عام ٢٠٠٠ م بالقاهرة، والتي كان يهدف من خلالها إلى:

- أن تكون تطبيقاً للدراسة النظرية المشار إليها وذلك بإبراز تضافر القرائن على بيان المعنى.

- أن تكون مركزة تركيزاً شديداً بحيث تخلو من إيراد الشواهد إلا في أضيق الحدود.

- أن تلجأ إلى نوع جديد من عرض حقائق النحو عن طريق الأشكال الإيضاحية المُعَيَّنة على تصوّر العلاقات بين الأحكام.

- أن تكون مبنية على أنواع الجمل للوصول من داخلها إلى أبواب المفردات طمَعاً في أن يكون ذلك أكثر كشافاً عن الأساليب النحوية.

٩- خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم:

صدر عام ٢٠٠٦م. وهو كذلك من قبيل كتاب (البيان في روائع القرآن)، وهو تأمل الأسلوب القرآني في ضوء التراث اللغوي العربي مستعيناً بما جد من دراسات لغوية حديثة للوصول إلى آراء وخواطر تتعلق بفهم النص القرآني ومراميه.

١٠- اجتهادات لغوية:

صدر عام ٢٠٠٧م. وانتهج المؤلف فيه نفس المنهج الذي سار عليه في كتابيه (البيان في روائع القرآن) و(خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم)، واتخذ القرآن الكريم مصدراً لشواهده بل جعله في الأغلب الأعمّ موضوعاً لدراسته. وموضوعات الكتاب مُسَخَّرَةٌ في خدمة اللغة من حيث هي نظام حياً، ومن حيث هي نصوص حياً آخر، وضمّ في طياته مقالين مترجمين .

١١- مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن، صدر عام ٢٠١٠م.

وهذا الكتاب كسابقيه ضمّ بين طياته مواضيع اتخذت من اللغة عموماً والقرآن خصوصاً مجالاً لها، كاللغة واللهجات، والفصحى والعامية، وقواعد العدول واكتساب السليقة، ودراسة النص القرآني من حيث التراكيب، في البنية وأمن اللبس والاعتراض والالتفات والتكرار والتفصيل وغيرها...

١٢- الفكر اللغوي الجديد، صدر ٢٠١١م.

ضم الكتاب مجموعة من المواضيع اللغوية حول الفكر اللغوي واكتساب السليقة والمعجم والمصطلح النقدي وقرينة السياق والظواهر الهامشية في النظام النحوي والإجراءات الصرفية وتعليم اللغة العربية مستعيناً ومستشهداً في كل ذلك بأي القرآن الكريم، والكتاب دعوة إلى الباحثين ليجدوا في البحث عن مطالب النص القرآني وإعطائه حقه من العناية والتأمل ومن السعي إلى الغوص في الدرس والوصول إلى ومضات من المعاني لم يصل إليها جهد السلف.

١٣- حصاد السنين من حقول العربية، صدر ٢٠١٢م.

وهكذا نرى أنّ حياة الأستاذ الدكتور تَمَّام حَسَّان كانت حافلةً بالعطاءاتِ العلميّة التي شرّقت في بلاد العرب وغرّبت، حيث لم يَجُلْ بقطرٍ عربيٍّ إلّا وترك أثراً علميّاً فيه، فعندما كان في السودان تَبَلُورَت لديه فكرة كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها)، ولمّا انتقل إلى المغرب أصدر هناك كتابه (الأصول)، وفي المملكة العربية السعودية نشر ثلاثة كتب أثناء إقامته بها، وهي: (التمهيد لاكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها، مقالات في اللغة والأدب، البيان في روائع القرآن).

٢- ترجماته:

إنّ نتاجَ الدكتور تَمَّام العلمي لم يتوقف عند حد التّأليف، بل أسهَمَ في عملية النقل والترجمة إلى العربية عن مؤلفات ذات مناحٍ علمية متعددة، بلغت خمسة أعمال مترجمة هي بحسب تاريخ صدورها:

١- مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، تأليف: ديلاس أوليري، نشر سنة ١٩٥١م.

٢- أثر العلم في المجتمع، تأليف: د. برتراند رسل، نشر سنة ١٩٥٨م.

٣- اللغة في المجتمع، تأليف: م. م. لويس، نشر سنة ١٩٦٠م.

٤- الفكر العربي ومكانه في التاريخ، تأليف: ديلاس أوليري، نشر سنة ١٩٦٥م.

٥- النص والخطاب والإجراء، تأليف: روبرت دو بوجراند، نشر سنة ١٩٩٨م.

هذا إضافة إلى المشاركة في لجنة ترجمة معاني القرآن الكريم التابعة لرابطة العالم الإسلامي بمكة.

٣- مقالاته:

كتب عشرات المقالات والدراسات والبحوث، التي نشرت في المجلات والدوريات الأدبية والثقافية والفكرية في مصر وعلى امتداد الوطن العربي، ومن تلك المجلات والدوريات:

(مجلة الأزهر-مصر، مجلة منبر الإسلام-مصر، حوليات كلية دار العلوم-القاهرة، مجلة المجلة-مصر،

مجلة اللسان العربي-المغرب، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية-جامعة محمد الخامس-الرباط-

المغرب، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجلة المناهل-المغرب، مجلة معهد اللغة العربية-جامعة أمّ

القرى-مكة المكرمة، مجلة الحصاد-الكويت، مجلة الدراسات القرآنية-مركز الدراسات الإسلامية بكلية الدراسات الشرقية والإفريقية-جامعة لندن).

٤- الجوائز التي نالها:

- ١- الجائزة الأولى في مسابقة المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط، عام ١٩٧٢م.
- ٢- جائزة آل بصير العالمية لخدمة الإسلام والأدب العربي والعلوم في فرع الانتاج الأدبي واللغوي بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٨٤ م، وذلك عن كتابه (الأصول).
- ٣- جائزة صدام للدراسات اللغوية عام ١٩٨٧ م .
- ٤- جائزة الملك فيصل العالمية في اللغة العربية والآداب، عام ٢٠٠٦ م.
- ٥- تكريم في المؤتمر الدولي للغة العربية والتنمية البشرية بالمغرب، عام ٢٠٠٨ م .

وعلى الرغم من كثرة أوليات تمام حسّان، فإنه لم ينل ما يستحقه أمثاله من الرّواد الذين كان لهم وجود فاعل، وبصمات واضحة، وتأثيرات بالغة على الساحة الفكرية والعلمية والثقافية، وظلّ عاكفاً في محراب علمه، مُستصغراً ما دونه، ويكفي مصداقاً لذلك أنه لم يكد يظهر في الحياة العامة إلا نادراً، ولم تكد تعرف كاميرات التلفزيون طريقها إليه^(١).

٥- شعره:

"لعل كثيرين لا يعرفون أنّ الدكتور تمام كان يتعاطى الشعر، ويجيد النظم فيه وتدور موضوعات شعره حول قضايا اجتماعية، وأخرى سياسية وبعضها خاص بمناسبات أقيمت في كليته دار العلوم. وجميع هذه القصائد مخطوطة بخط يده، وهو يحتفظ بها في مكتبته الخاصة"^(٢).

(١) ينظر: تمام حسّان رائداً لغوياً: ٣٢.

(٢) المصدر نفسه.

ثالثاً: مذهبه النحوي:

لا شك أن الدكتور تمام حسّان يمثل ريادة الدراسات اللغوية الحديثة بلا منازع، فهو رجلٌ وهبهُ الله سعةً أفقٍ وعمقَ فكرٍ مما مكّنه من إعادة النظر في التراث العربي من خلال المناهج اللغوية الحديثة؛ وهذا أدّى به إلى تكوين نظرية لغوية تبناها هو وأتباعه كان لها أكبر الأثر في إمطة اللّثام عن كنوز تراثنا العربي نحواً وفقهاً وبلاغةً بالإضافة إلى علم الأصول وعلم المعاني وغيرها، كما قدّم حلولاً لكثير من الإشكاليات التي كانت تستعصي على التفسير، وهذه ثمرةً طبيعيّة لرجلٍ بدأ حياته بحفظ القرآن الكريم منذ صباه فمنحه طلاقة اللسان وحسن البيان ودقّة الألفاظ، فكان الرّاد الثّقافيّ مكوّناً من النص القرآني يرتبط به حفظاً وتلاوة واللغة يعرفها في الألفية وكتب الشروح والحواشي والتعليقات ويعرف التخرجات والتفريعات والشواهد، فإذا أضفنا إلى ذلك دراسة المنطق والحديث والتفسير والأدب، فكان هذا كله كفيلاً بأن يخلّق من أستاذنا أديباً عالماً ولغويّاً فذاً.

"وقد درس على يد العالم اللغوي فيرث وأتباعه أصول ومناهج علم اللغة الحديث، فتلقى منهج علم اللغة الوصفي في إطاره الاجتماعي، الذي اهتم بالمعنى أكثر من البنية بعد الإهمال الذي لقيته المعنى على أيدي اللغوي الأمريكي بلومفيلد وأتباعه فجاءت المدرسة البريطانية فوضعت المعنى في مكانة لائقة به لا تقل عن البنية وإن كان يفوقها في أحيان كثيرة، وكان لهذه المرحلة أثراً كبيراً في حياة الدكتور تمام حسّان فقد استوعب وتفهم المناهج اللغوية الحديثة وأخذ منها أفضل ما فيها فمكّنه ذلك من أن يدرس تراثه وثقافته من خلال المنظور اللغوي الحديث فيكشف عن ثرواته ويزيده احتراماً وتقديراً لتراثه...، كما أتقن الدكتور تمام حسّان الإنجليزية (لغة، أدباً، وثقافة)؛ فمكّنه ذلك من نقل بعض المؤلفات الإنجليزية إلى العربية، وقد أشاد الألسنيون المغاربة بجهود الدكتور تمام حسّان في الترجمة ولاسيما علم المصطلح، وجاء ذلك على لسان عبد السلام المسدي في مقدمة معجمه العربي الفرنسي موضعاً مكانة الدكتور تمام المتميزة بين المترجمين العرب بأن منهجه في صياغة المصطلحات كان واضح المعالم منذ تصنيفه (مناهج البحث في اللغة) كما كان مُحكماً لِمَام وضع الدوال الفنية وإن جنح أحياناً إلى القالب الجاهز وأحياناً أخرى إلى العبارات التحليلية مما ليس منه بُدُّ. وما هذا التّبوغ والتفوّق إلّا لامتلاكه ناصية اللغتين الأصليّة والمنقول عنها.

وللدكتور تمام حسّان أفكاره ونظرياته التي تبناها في مؤلفاته وتابعه فيها تلاميذه من الباحثين ومنهم د. محمد عيد أستاذ النحو والصرف صاحب كتاب أصول النحو المشهور، ود. محمد فتيح،

ود. محمد حماسة عبد اللطيف، ود. أحمد كشك، وغيرهم كثيرون، وهناك تلاميذ آخرون لم يتلقوا عنه مباشرةً وإنما استفادوا من مؤلفاته وتبنوا آراءه، منهم: د. محمود أحمد نحلة، ود. نادية النجار، وآخرون في مختلف الجامعات العربية؛ وبذلك تمكّن من تكوين مدرسة لها سماتها وخصائصها التي وصلت القديم بالحديث.

والنهج الذي اتبّعه الدكتور تمام حسّان، هو دراسة القديم من خلال المناهج اللغوية الحديثة. يذكر الدكتور تمام حسّان أنّ كلّ نحو يساعد المتعلّم على تعمّق لغته واستبطان قواعدهما فهو نحو توليدي؛ وذلك لأنّه يتعلّم قواعده ويكتسب السليقة فيتمكّن من إنشاء جملة مطابقة لما تعلّمه؛ ومن ثمّ يكون النحو العربي توليدياً، لإمكان تعلّمه وفهمه عبر القرون، كما يُعدّ المنهج الوصفي توليدياً؛ لأنّه يتخذ البيانات المعروضة طريقاً لاستخراج الأنماط العرفية للاستعمال. على الرّغم من انتماء الدكتور تمام إلى المنهج الوصفيّ البنيوي إلاّ أنّه لم يتعصّب له ولم يقتصر عليه دون غيره، وإتّما أقرّ بما لدى المنهج التحويلي من مميزات لم توجد في المنهج الوصفي؛ ومن ثمّ عمد إلى الاستفادة بأفضل ما لدى المناهج الحديثة^(١).

لقد استهدف الدكتور تمام حسّان تنظيم قواعد اللغة العربية انطلاقاً من مبانيها الأصلية، فاعتمد في تصوّر هذا التنظيم على نظريات البيانيين في علم المعاني وبالخصوص أفكار عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز. كما استثمر مباحث الأصوليين في تحليلهم للخطاب الشرعي ومناهجهم في ضوابط الدلالات اللغوية؛ وحاول الدكتور تمام حسّان أن يكون هذا التنظيم منطقياً، وموازيّاً نوعاً ما للمقولات الغريبيّة التي استحدثها علماء اللّسان، ومما هو واضح تأثره بآراء فردناند دي سوسير في التفرقة بين اللغة والكلام، واعتبار اللغة مؤسسة اجتماعية، ويمكننا أن نقول إنّ الدكتور تماماً حاول أن:

- يعيد النحو إلى اللغة، بعد ما كان مادة منفصلة، فشملت دراسته الصوتيات والصرف، والنحو، والمعجم.

- يفرّق بين النظام الصرفي والنظام النحوي، مع أن المباحث الصرفية، شملت عند بعض المواد النحوية مثل أقسام الكلام.

(١) ينظر: الدكتور تمام حسّان وأثره في البحث الأكاديمي بالمغرب، د. نادية رمضان محمد النجار: ٢-٩.

- يضع ضوابط لكل نظام، في أشكال ثابتة وكل شكل له اصطلاحه الخاص به.

ويفرق الدكتور تمام حسان بين اللغة والكلام قائلاً: "الكلام عمل واللغة حدود هذا العمل، والكلام سلوك واللغة معايير هذا السلوك، والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط، والكلام حركة، واللغة نظام هذه الحركة، والكلام يحس بالسمع نطقاً، والبصر كتابة، واللغة تفهم بالتأمل في الكلام. فالذي نقوله أو نكتبه كلام، والذي نقول بحسه ونكتب بحسه هو اللغة، فالكلام هو المنطوق، وهو المكتوب، واللغة هي الموصوفة في كتب القواعد، وفقه اللغة، والمعجم ونحوها. والكلام قد يحدث أن يكون عملاً فردياً، ولكن اللغة لا تكون إلا اجتماعية"^(١).

ويقول الدكتور تمام حسان: "فاللغة إذن منظومة عرفية للرمز إلى نشاط المجتمع، وهذه المنظومة تشتمل على عدد من الأنظمة (الأجهزة) يتألف كل واحد منها من مجموعة من (المعاني) تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو (المباني) المعبرة عن هذه المعاني، ثم طائفة من (العلاقات) التي تربط ربطاً إيجابياً، و(الفروق) القيم الخلافية التي تربط ربطاً سلبياً - بإيجاد المقابلات ذات الفائدة - بين أفراد كل من مجموعة المعاني أو مجموعة المباني. وكما أن المعاني الصرفية غير المعاني النحوية، نجد المباني تتنوع بين فرع وآخر من فروع الدراسات اللغوية، فالمباني المأخوذة من النظام الصوتي حروف (فونيمات)، وهي في النظام الصرفي وحدات صرفية (مورفيمات)، ويعتمد النحو في التعبير عن معانيه وعلاقاته السياقية على هذين النوعين من المباني كالحركات، والحروف، والزوائد واللواحق والصيغ"^(٢). وبدلاً من اعتماد تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف، قسم الدكتور تمام حسان الكلم إلى سبعة عناصر وهي^(٣): الاسم، الصفة، الفعل، الضمير، الخالفة، الظرف، الأداة.

١- الاسم: ويشتمل على خمسة أقسام، وهي:

- الاسم المعين: كالأعلام، والأجسام، والأعراض، ومنه ما أطلق النحاة عليه اسم الجثة الوارد في قول ابن مالك:

وَلَا يَكُونُ اسْمٌ زَمَانٍ خَبَرًا
عَنْ جُثَّةٍ وَإِنْ يُفِيدُ فَأَخْبَرًا^(٤)

(١) اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٢.

(٢) المصدر نفسه: ٣٤.

(٣) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٩٠.

(٤) ألفية ابن مالك: ١٧.

- اسم الحدث: وهو المصدر، واسم المصدر، واسم المرة، واسم الهيئة.
- اسم الجنس: ويدخل تحته اسم الجنس الجمعي كعرب، واسم الجمع كإبل ونساء.
- الأسماء المشتقة المبدوءة بالميم الزائدة كاسم الزمان، واسم المكان واسم الآلة وليس منها المصدر الميمي.
- الاسم المبهم: الذي لا يدل على معين، وإنما يدل غالباً على الجهات والأوقات والموازين، ويحتاج إلى تمييز بالإضافة، مثل فوق وقبل ونحوهما. والملاحظ هنا أنه خصّ الظروف بالصيغ غير المتصرفة مثل إذ وإذا وكيف.
- وذكر أنّ سمات الاسم تتلخّص في الصّورة الإعرابية، والصيغة الخاصة من حيث عدد الحروف ووزنها، وقابليته للدخول في جداول الإلصاق والتصريف أو الإسناد. كما ذكر من سماته أيضاً بالرسم الإملائي، كما هو في التعريف ب(أل)، أو التنوين، وبتصاله باللواحق وقبوله للتضام والدلالة على المسمى أو الحدث.
- ٢- الصفة: وذكر أن أنواعها خمس، وهي: صفة الفاعل، وصفة المفعول، وصفة الآلة، والصفة المشبّهة وصفة التفضيل، ثم بيّن سماتها من حيث الصورة الإعرابية والصيغة الخاصة.
- ٣- الفعل: وتحدث عن أنواعه الزمنية، وعن اشتقاقه وسماته على نحو من الطريقة الآنفه الذكر.
- ٤- الضمير: وهو عنده ثلاثة أقسام: ضمائر الشخص، وضمائر الإشارة، وضمائر الموصول، وبيّن مواقعها في ضوابط التحليل التي رأينا.
- ٥- الخوالب: وهو يعني بها أسماء الأصوات وأفعال التعجب، وخالفتي المدح والذم، مثل: نعم وحبذا، واستعرض علاقتها بضوابط التعليل.
- ٦- الظرف: واقتصره على الصيغ المبنية، مثل: إذ، وإذا وإذن، ولما وأيان ومتى للزمان، وأين وأنى وحيث للمكان.
- ٧- الأداة: ودرس منها حروف المعاني، مثل: حرف الجر والعطف والنواسخ.

وهذه المقتطفات التي أوردناها تدلُّ على "وجود نشاطٍ يسعى القائمون به إلى وضع أسس لقواعد مشتركة بين اللغة العربية واللغات الأخرى وليس من المستبعد أن يَفِيدَ اللسانيين العرب في دراسة مباحث الدلالة وأصول النحو في التراث العربي، وأن يُعَيِّنَ النحاة العرب المعاصرين على التدقيق في خصائص اللغة، وعللِ القواعد النحوية، أمّا كون هذا النشاط سوف يغيّر من البنية النحوية التقليدية للغة العربية، فهذا ما لا نتوقعه ولا نرجوه"^(١).

فالعالم الكبير الدكتور تَمَّام حَسَّان هو صاحب أوّل وأجراً محاولة لترتيب الأفكار والنظريات اللغويّة في اللغة العربية بعد سيبويه وعبد القاهر الجرجاني، ورُبَّما لم يوضع كتابٌ لغويٌّ حديث ضمن قائمة أمّهات كتب العربية إلاّ كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها)، وقد وصفه غيرُ قليلٍ من علماء اللغة العرب بذلك، منهم مثلاً سعد مصلوح، ويُطلَقُ عليه (الكتاب الجديد)، بعد كتاب سيبويه الذي سُمِّيَ (بِالكتاب)، كما لو كان أصلُ كُتُبِ العربيّةِ وأهمّها.

يقول عنه الدكتور سعد مصلوح: "ما أورده شيخنا-يقصد الدكتور تَمَّام حَسَّان- على جُهد النحاة من مَلاحِظ، فقد امتاز بآتِكاائه على ركائزٍ من الفكر اللساني الحديث غيرِ ذاتِ عِوَجٍ، وبِصُدُوره عن كينونةِ فادّةٍ، أسهمت في صياغتها أزواذٌ معرفيّةٌ مختلفةٌ الطّعوم والألوان، واستحالَ كلُّ ذلك فيها زكاءً ونماءً وعنقواناً، ومن ثم لم يكن للناس عجباً، أن تكتسب ملاحظه مذاقاً خاصاً، وأن تتنوع وتترادف وتدارك على الطريق الموصلة لهذه الغاية، وأن تحظى بالتفرد والخصوصية، منذ أخرج للناس كتابه (اللغة بين المعيارية والوصفية)، الذي أرادَه ليكون فرقاناً بين هاتين الطريقتين من طرائق النظر في اللغة؛ أعني المعيارية والوصفية. ثم كان أن تلاه بكتابه (مناهج البحث في اللغة). وفي هذين الكتابين تجد كمين البذور الأولى لمذهبه النحوي، تلك التي آتت أُكُلها ضعفين في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها). وبهذا الكتاب الذي جاء آخريّاً جاوزت معاودة النظر في تراث النحاة جميع محاولات التهذيب والتيسير، وتخلّت عن سمة الجزئية والتفتّت والتشعث، لتستحيل طرازاً مبايناً لسائر ما سبقه من طرز البحث النحوي. وكما هو العهد بكل تجديد بصير لم يُقم شيخنا مذهبه على المفاصلة المنهجية بينه وبين التراث النحوي بل أقامها على الوعي به، والاصطبار عليه، واستبار أغواره، معترفاً طوال الوقت

(١) تأريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، د. محمد المختار ولد أباه: ٥٦٠.

بالفضل لأعظم رجلين من رجال الدراسات اللغوية في الثقافة العربية، وهما سيوييه وعبد القاهر، منوهاً
بذكر الأول في حقل التحليل، وبذكر الثاني في حقل التركيب"^(١).

لقد بنى الدكتور تمام حسّان بهذه النظرية للنحو نظاماً متماسكاً قوامه القرائن المعنوية واللفظية بعد
أن كان النحو في نظر الدارسين تحليلاً إعرابياً فحسب، وهذه النظرية الجديدة أهمية كبرى لا يمكن
تبينها إلا حين تقرأ تطبيقاتها على فهم وتفسير القرآن الكريم؛ وهو ما أنجزه تمام حسّان في كتابه الرائع
(البيان في روائع القرآن)، والذي هو تطبيق عملي لنظريته. حيث يقول في مقدّمة كتابه ذلك: "ليست
هذه الدراسة محاولة لتفسير القرآن الكريم تفسيراً لغوياً وأديباً، وليست محاولة أخرى للكشف عن
إعجاز القرآن إعجازاً لغوياً أو أديباً. فإذا صادف القارئ في هذه الدراسة تفسيراً غير مألوف لأحد
الألفاظ أو التراكيب، أو صادف القارئ ظاهرة تنم عن الإعجاز اللغوي لأساليب القرآن الكريم، فإن
المؤلف لم يقصد إلى الكشف عن ذلك قصداً، ولا ادعى لنفسه مكان المفسر ولا موقف الباحث في
الإعجاز. فلقد كان اهتمام المؤلف منذ البداية مُتَّجِهاً إلى الغايات العملية التي أملت عليه أن يغشى
ساحة القرآن متأملاً بعين اللغوي وقلب الأديب، ما اشتمل عليه بناء النص القرآني في مباني اللغة
ومغاني الأدب. لقد مضى على المؤلف معظم عمره وهو يقرأ القرآن خاشعاً لجلاله مستمتعاً بجماله،
دون أن يتوقف كثيراً ليسأل نفسه عن سرّ هذا الجلال ومجلى ذلك الجمال، وربما تریث عند هذه
العبارة أو تلك فقبل فيها ما سبق إليه الدارسون من قول في الأسباب الداعية إلى إحساس بالجلال
والجمال. ثم شاء الله جلّت قدرته أن يوفقي للقيام بهذا العمل الذي كان في البداية مذكرات تنزع إلى
البساطة في التعبير...، ولكنها مع ذلك كانت لصاحبها شعاعاً هادياً يرشده إلى ثراء هذا الحقل
القرآني، ويعدّه بالعطاء الجمّ ويَزَعُهُ أن يُشَمَّرَ عن ساعديه، ويبدأ الجهد من جديد على نطاق أوسع،
وفي مجال أرحب. وهكذا أمسكتُ بالمصحف الشريف لأقرأه قراءة متأنية، ولأقيّد ملاحظاتي اللغوية
والأدبية على حواشي صفحاته، تمهيداً لما يتبع ذلك من الجمع والتبويب. وهكذا كانت مقاصد
الدراسة في بدايتها عملية الطابع تسعى إلى التعليم والتطبيق لا إلى العلم والنظر. ثم تحولت المقاصد
بعد ذلك إلى الطابع العلمي بإغراء الثراء الذي بدا في تركيب القرآن وأسلوبه، فلم يجد المؤلف لنفسه

^(١) في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات وثقافات، د. سعد عبد العزيز مصلوح: ٢٠٨، وينظر: اللغة العربية معناها

ومبناها، د. تمام حسّان: ٢٩.

مُنْصَرَفًا دون الولوج إلى رحاب القرآن راجياً من الله التوفيق، وجاعلاً عمله هذا قرباناً في ساحة القرآن^(١).

ينسب إلى تمام حسان الرّيادة في نقل النظريات اللغويّة الحديثة إلى العالم العربي والإسلامي وتطبيقها على دراسة اللغة العربية؛ حيث درس مُبَكِّراً في أوروبا وتَتَلَمَذَ على أهمّ اللغويين الغربيين، مثل أستاذه المباشر العالم البريطاني (فيرث) صاحب نظريّة السياق، وكان أول معالم مشروعه اللغوي تطبيق المناهج الغربية في دراسة الصوتيات على بعض اللهجات العربية. وفي رسالته للدكتوراه نراه يعيد سيرة علماء العربية الأوائل؛ حيث قضى ستة أشهر في عدن يجمع ويدرس لهجة أهلها كما كان يفعل اللغويون القدامى في دراستهم للغات البوادي والقبائل، كما كان أهم عالم عربي طبق (البنوية) في دراسة اللغة العربية، ولاسيما النحو العربي، وهو منهج يقوم على دراسة العلاقات بين الأشياء وليس الأشياء نفسها، وهو ما استفاد منه فيما بعد في بناء نظريته (القرائن اللغوية) وطوّرها لوضع نظرية جديدة لدراسة النحو العربي، كانت في الحقيقة أوّل نظريّة لدراسة النحو العربي بعد سيبويه.

يقول الدكتور عبد الرحمن حسن العارف: "تناولت الأقلام نظرياته في اللغة بالدرس والتحليل، والنقد والتقييم، وقلّما نجد مؤلفاً أو بحثاً أو أطروحةً جامعيّةً في مجال اللغة إلاّ ويكون لأرائه النصيب الأكبر والحظّ الأوفّر منها، تأييداً أو معارضةً لها، وإنصافاً أو إجحافاً بصاحبها. ولا غرور في هذا ولا غرابة، فهو مُنَظَّرٌ ومُفَكَّرٌ ورائدٌ لغويّ، حَبَّرَ التراث العربي وتزود من منابعه الأصليّة خير زاد وعاصر النظريات والاتجاهات اللغوية الحديثة التي كانت سائدة إبان فترة الخمسينيات من القرن المنصرم، وبخاصة البنوية (البنائية) والوصفية، بل إنه تتلمذ على أشهر رموز روادها. وفي مقدمتهم اللغوي الإنجليزي (ج.ر.فيرث (ت ١٩٦٠م))، أستاذ علم اللغة العام بجامعة لندن، ومؤسس مدرسة لندن اللغوية (المدرسة الإنجليزية)، كما اطلّع بآخرة على أحدث النظريات اللغوية التي ظهرت أوائل النصف الثاني من القرن العشرين على يد عالم اللغة الأمريكي (تشومسكي)، والتي تُعرف بالنظرية التوليدية التحويلية. وقد أحاط بالجميع علماً، وإن كان اتجاهه اللغوي يبدو أكثر تأثراً بأفكار المدرسة الأولى.

وبهذا جمع الدكتور تمام بين الحسينيين: التراث والحداثة، وتبعاً لهذا جاءت آراؤه اللغوية مزيجاً بين هذين المصدرين الثريين والثريين. فكانت تستلهم أصولها من جذور التراث العربي العريق، وتستمدّ معاصرتها من أحدث الاتجاهات في دراسة اللغة وتحليل نُظْمِهَا، ولعلّ هذا مما سهّل مهمّته وساعده

(١) البيان في روائع القرآن: ٧-٨.

على نجاح محاولته في تضيق الهوة وتقليص الفجوة القائمة بين الدرس اللغوي عند العرب والدرس اللغوي الحديث في الغرب.

لقد استطاع الدكتور تمام من خلال أعماله العلمية، المؤلّف منها والمترجم، أن يضفي على الدرس اللغوي جدّة غير معهودة، ويبتكر أفكاراً غير مسبوق إليها، ويشكل قاعدة منهجية انطلق منها البحث اللغوي العربي المعاصر، فحرّك بذلك ما كان ساكناً، وأحضر ما كان غائباً وفتح لمن كان معه ومن جاء بعده آفاقاً رحبةً وفضاءات واسعة من أوجه التفكير اللغوي وتحليل قضاياها المتشعبة^(١).

على أنّه لا بُدّ من الإشارة للحقيقة والتاريخ أنّ الدكتور تماماً عدلّ عن بعض آرائه اللغوية التي كان قد أعلنها في شرح الشّباب وميعة الصّبا، أو كما يقول الحريري: "رَوْقُ الشَّيْبَةِ وَلُدُونَةُ الْحَدَاثَةِ الْقَشِيْبَةِ"^(٢)، فمن ذلك مناصرته لدعوة عبد العزيز فهمي في اصلاح الكتابة العربية عن طريق طرح الحروف العربية جانباً واستخدام الحروف اللاتينية في موضعها، واقتراحه هو اشتقاق رموز عربية من الأبجديتين الإغريقية واللاتينية^(٣). وقد أعلن عدوله عن هذا الرأي في مقدمة الطبعة الرابعة لكتابه (اللغة بين المعيارية والوصفية) والصادرة عام ٢٠٠١م^(٤). ولم يكتفِ بهذا فحسب بل إنّه دعا إلى إطلاق مشروع لكتابة اللغات الإسلامية بالحرف العربي، وهذا على النقيض تماماً مما قد طرحه من آراء سابقاً، ولعل هذا يشفع له ما صدر عنه فيما مضى^(٥).

وقال عنه الدكتور أحمد علم الدين الجندي أنّ: "آراءه لها وزنها في الدرس الأصولي، ومنها:
- مخالفة التركيب لقواعد النحو غير مضرّة ولا قاذحة؛ لورود ذلك في القرآن والحديث.
- القوة الإنتاجية للنحو العربي وسعة إمكاناته، وربط ذلك بما رآته المدرسة الأمريكية التوليدية^(٦).
- الاختلاف في التأويل والتخريج والاختيار والتوجيه هو الذي أطال نصوص النحو؛ لأنه يتعلق بالمسائل لا بالأصول^(٧).

(١) تمام حسّان رائداً لغوياً: ٧-٩.

(٢) درّة العوّاص في أوهام الخوّاص: ١٠٠.

(٣) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية: ١٤٨-١٥٢.

(٤) المصدر نفسه: ١٠.

(٥) ينظر: اجتهادات لغوية: ١٤١-١٤٥.

(٦) ينظر: الأصول، د. تمام حسّان: ١٧٦.

(٧) المصدر نفسه: ١٦٨.

- أجاز النحاة القياس على قواعدهم وهي من عملهم، وليست من أعمال العرب.

- إنَّ تحكيم النحاة قواعدهم وأصولهم فيما سُمع من العرب يعتبر خطأ منهجياً؛ إذ ليس من حق النحويِّ غير الفصيح أن يخطئ الأعرابي الفصيح إلا إذا وجد السماع ضده"^(١).

وقال عنه الدكتور محمد خليفة الدتاع أنه: "مؤصَّلٌ للتراث اللغوي وأنه يبحث في كتبه دائماً عن الحلقة التي عدّها كثير من الباحثين مفقودة، وهي ربط التراث النحوي واللغوي العربي بالنظريات الحديثة وهذا يعد تأصيلاً فوق كونه اعترافاً برصيد هذه الأمة، وكان هدفه في كتابه (مناهج البحث في اللغة) توظيف الأمثلة والنصوص العربية لتلائم مع هذه النظرات وتلك النظريات"^(٢).

سُجِّلت حول كتبه الكثير من الدراسات اللغوية في الجامعات المصرية والعربية، وما زال عمله رهن الدراسة حتى الآن، ويعتبر الدكتور تمام أن دراسته للقرآن منذ البداية كانت فاتحة الخير وكانت سبباً في الاجتهاد في اللغة، ويقول: التوصل إلى فكرة القرائن النحوية جعلني أنظر نظرةً جديدةً في تفسير التراكيب والتعرّف بشكلٍ جيّدٍ على الأسلوب العربي.

وما قدّمه الدكتور تمام حسان يتنزّل منزلة النظرية الجديدة للغة العربية فالبناء الذي بناه في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) جديرٌ بالتنويه وفيه أبواب مترابطة متماسكة تجمع بين النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام التركيبي والنظام الدلالي والنظام المعجمي والظواهر السياقية ولا شك أن نظرية الدكتور تمام حسان ابتكار جيّد في بابهِ، يستحق المواصلة والاستئناف، وفيه استفادة أصيلة وناضحة من مُعطيات علم اللغة الحديث في الخمسينيات من الصوتيات ومن التوزيعية والبنوية، من دون إهدار القيم النحوية التي جاء بها النحويون العرب القدماء، وقد تعدّدت نظراته التجديدية في مؤلّفاتٍ أخرى صدرت بعد (اللغة العربية معناها ومبناها)، ككتاب (الأصول) وكثير من المقالات الأخرى التي تصبّ في الاتجاه ذاته، ولا ينبغي أن يُكتفى بالقول إنه انتقد أكثر مما بنى، ففي هذا الادعاء إجحافٌ بقيمة بنائه النظري والتطبيقي، ولا ينبغي أن نُفصل كتابه المذكور عن كتاب (اللغة بين المعيارية والوصفية)، ولا عن كتاب (مناهج البحث في اللغة)، ولا غيرهما من الكتب التي تلت (اللغة العربية معناها

^(١) تمام حسان رائداً لغوياً: ٤١-٤٢.

^(٢) المصدر نفسه: ٣٢٨.

ومبناها)، ولا عشرات المقالات والندوات والمحاضرات والتحقيقات التي تصبّ في مذهبه التّجديدي لبناء نحوٍ عربيّ يستفيد من معطيات التّحو القديم ومن نماذج لسانية معاصرة.

أشرف الدكتور تمام حسّان على الكثير من الرسائل العلمية في عدد من الجامعات المصرية والعربية. وقد أودع معظم هذه الرسائل نظريّته اللغوية المعروفة بـ(تضافر القرائن)؛ وهو ما أوجد بين تلاميذه مدرسة فكرية خاصة، توسّعت عبر أجيال جديدة من الباحثين والطلاب.

ومن موضوعات تلك الرسائل: (أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، الجملة الوصفية في النحو العربي، تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد، القيمة النحوية للموقع، المقطع الصوتي بين الكمية والمدة الزمنية، الزمن النحوي، التضام في النحو العربي، قرينة الإعراب، الترخص في القرائن، الوحدات الصرفية ودورها في بناء الكلمة العربية، دور الصرف في منهجي النحو والمعجم، الضرورة الشعرية في النحو العربي، الاسناد النحوي، المعنى الوظيفي لأدوات النفي في العربية، طلب الخفة في العربية، ظاهرة التماثل الصوتي، الربط في التركيب العربي).

قُدِّمت فيه وعنه عشرات الرسائل الجامعية، في مصر والعراق والأردن وسوريا والجزائر وليبيا والمغرب، منها على سبيل المثال: المصطلح النحوي الكوفي وأثره على النحاة المحدثين-تمام حسّان ومهدي المخزومي نموذجاً، النّظام النحوي عند تمام حسّان.

رابعاً: نتائج منهجه الوصفي:

توصّل إلى نتائج تكمن في تصحيح بعض الأوهام الخاطئة التي شاعت في الفكر اللغوي مع تقييم منهج القدماء في جمع لغتهم من مصادرها التي حددها، وهذه النتائج هي:

١. أثبت أنّ النحو العربي لم يقتبس مناهجَه من المنطق الصوري، ولم يتأثر به إلا بعد عصر المأمون^(١)؛ وذلك لأنّه لو كان متأثراً بالمنطق الأرسطي لوجب أن يكون غير مختلف فيه، وهذا ليس متحققاً، فما أكثر الاختلافات النحويّة وما أشدها، وفي ذلك ردٌّ على من ادّعى أنّ النحو العربيّ متأثّر بالمنطق الأرسطي.

٢. أثبت أنّ النحاة قد بنوا لأنفسهم نظاماً مُحكماً من العلل التي أخذوا معظمها عن علماء أصول الفقه؛ وهي أربعة أقسام (المادية والفاعلية والصورية والغائية) ولا غناء عن الأوّلين في مجال العلم لوقوعهما في الإدراك المباشر وتبقى بعدهما (الصورية) خالصة للوصف و(الغائية) خالصة لبيان السبب. ولقد كانت هذه العلل تمثل الجانب العقلائي في النحو العربي وتقدّم لهذا النحو ما يُعرّف في المنهج التحويلي باسم الكفاية التفسيرية^(٢).

٣. نقد الدكتور تمام منهج القدماء في السّماع ولاسيّما في الرّواية وصحة الرّواية، فيرى أنّه كان من الأوّل على القدماء الاهتمام بعروبة النص أكثر من اهتمامهم بفصاحة الرّواي، فلو جاء فصيحاً أيّاً كان بنصّ يرويه أو يقوله لوجب الأخذ به ما دام النصّ عربياً فصيحاً، وذلك بخلاف الحديث الشريف؛ لكونه مصدر من مصادر التشريع الإسلامي^(٣). فالأمر إذاً ليس أمر الصّحة، وإنّما هو أمر عروبة النصّ، فإذا تقبله المستمعون واعترفوا به وفهموا المراد منه فذلك هو الأهم.

٤. من المعروف أنّ النحاة قد اقتصرُوا في جمعهم اللغة على قبائل بعينها تقطن وسط شبه الجزيرة بعيداً عن الأطراف المتاخمة لغير العرب من الأجناس الأخرى كالفرس والروم... الخ، وهذا الاتجاه يدلُّ على مدى حرص الأوائل على فصاحة لغتهم وحمايتها من كل دخيل؛ حفظاً للغة القرآن من التشويه والتّحريف، إلا أنّ الدكتور تمام قد أخذ عليهم عدم تفريقهم بين اللهجات فلكل قبيلة لهجة خاصة بها؛ وعلى ذلك يكون استنباط القواعد من لهجات متعددة لا يكاد يمثل واحدة من هذه اللهجات،

(١) ينظر: الأصول: ٥٨، ٧٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٣-١٦٦، اجتهادات لغوية: ٣٧.

(٣) ينظر: اجتهادات لغوية: ٢٦-٢٧.

كما أنهم خلطوا في لغتهم المدروسة بين اللغة المعاصرة واللغة القديمة فعصر الاستشهاد ممتد من زمن امرئ القيس إلى زمن ابن هرمة، وفاتهم بذلك أن يلاحظوا تطور اللغة خلال هذه الحقب على حين اهتم به مؤرخو الأدب والنقد، إذ قسموه إلى عصر جاهلي وآخر إسلامي^(١).

٥. عاب الدكتور تمام على القدماء اعتمادهم على الشعر في كونه المصدر الأول من مصادر اللغة على الرغم من كثرة ما روي فيه من الشاذ والغريب وما جاء فيه من الزحاف والعلل والخروج عن القواعد، على حين أهملوا النص القرآني وقراءته وكذلك الحديث الشريف بحجة أنه قد يكون مروياً بالمعنى دون اللفظ، فيرى الدكتور تمام أنه كان يجب على القدماء الاهتمام بالنص القرآني وقراءته الشاذة ومحاولة تخرجها؛ لكونها من باب الترخّص في القرينة، وكذلك الحديث الشريف فقد نقله عربٌ خلّص عن رسول الله ﷺ، وأوصلوه لمن بعدهم عرباً كانوا أو عجماء، والجميع متفق على فصاحته لفظاً كان أو معنىً ومن هنا كان عليهم الاستشهاد به في اللغة^(٢).

٦. شاع بين الباحثين أنّ لهجة قريش تُعدّ من أفصح اللهجات، والدكتور تمام يرى أن هذا القول أبعد ما يكون عن الصواب؛ وذلك لوجود ظواهر لهجية كتسهيل الهمزة في لهجة قريش مثلاً، الأمر الذي يتنافى مع الفصاحة، كما أن النص القرآني لم ينزل بلسان قرشي، وإنما نزل بلسان عربي مبين^(٣)، واللغة العربية الفصحى هي اللغة المشتركة التي ألّفت بين العرب جميعاً وهي التي نُقل بها الشعر والخطابة والحكم والأمثال وجميع أنواع الفنون الأدبية.

٧. أثبت الدكتور تمام حسن أنّ القياس الذي شاع في النحو إنّما هو قياس منطقي طبيعي يعرفه العامة والخاصة، كما يعرفه العرب واليونان وغيرهما من أهل الأرض؛ لأنّه يعني الانتقال من الجزء إلى الكلّ أو أنّ السبب يؤدي إلى المسبب، ومن ثمّ كان النحو خالياً من تأثير اليونان أو الأشكال الأرسطية الأربعة، وإنّما القياس الموجود في النحو يتمثل في نوعين: أولهما: القياس الاستعمالي ويعني انتحاء الكلام الذي نسمعه من حولنا في الطفولة فنكتسب اللغة ونولّد الجديد من المفردات والعبارات، وثانيهما: القياس النحوي ويعني به حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه وهذا

(١) ينظر: اجتهادات لغوية: ١٧-٢٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣١.

(٣) ينظر: مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ١٣.

المنقول إمّا أن يكون مستصحباً للأصل الثابت باقياً عليه كما في (ضرب) وإمّا أن يكون معدولاً به عنه باطراد كما في (قال)^(١).

٩. كما يرى الدكتور تمام أن مصدر الإجماع لا يصحّ الأخذُ به في اللغة؛ لأنه يعني عندهم: إجماع أهل البلدين (البصرة والكوفة) على حكم من أحكام النحو فإذا أجمعوا أصبح إجماعهم بزعمهم ملزماً لغيرهم مُسكّناً له عن المعارضة والخلاف. والواقع النحوي يقضي بغير ذلك، فليس هناك إجماع بين البصرة والكوفة إلّا على قِلَّةٍ قَلِيلَةٍ من مسائل النحو وما عدا ذلك ففيه خلاف يقضي بعدم إجماعهم، ومن جانب آخر فإنَّ إجماع المتقدمين لا يجوز للمتأخرين الخروج عليه، ولو كان هذا صحيحاً ما استطاع الدكتور تمام أن يضع كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها)؛ لكونه يُعَدُّ في مجمله خروجاً على الأطر التي وضعها القدماء.

(١) ينظر: الدكتور تمام حسن وأثره في البحث الأكاديمي المغربي: ١٦.

خامساً: أوّليات تَمَامِيَّة:

١. أوّل من استنبط موازين التنغيم وقواعد النَّبْر في اللغة العربية؛ حيث لم تكن مدروسة قبله وكانت تدرس فقط في اللغات الأجنبية الرئيسة، وذلك في كتابه (مناهج البحث في اللغة) عام ١٩٥٥، وهي محاولة رائدة، وفيها جدّة وابتكار^(١).
٢. وهو أوّل من أعاد تقسيم الكلام العربي على أساس المبنى والمعنى، رافضاً التقسيم الثلاثي (اسم، فعل، حرف)، وجعل التقسيم سُبَاعِيّاً: (اسم، فعل، صفة، ظرف، ضمير، خالفة، حرف)، بحسب السلوك النحوي الخاص بكل قسم.
٣. أوّل من قال بمبدأين مهمّين في وظائف أقسام الكلم هما: النقل، وتعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد، وفَسَّرَ بهما من ظواهر الاستعمال ما كان مستعصياً على التفسير المقنع.
٤. أوّل من أنشأ للنحو العربي نظاماً متماسكاً قوامه القرائن اللفظيّة والمعنويّة، بعد أن كان النحو في أفهام الدارسين تحليلاً إعرابياً فقط.
٥. أوّل من أبرز فكرة الترخُّص في القرينة عند أمن اللبس، وربّطها بالشواهد من كافة أنواع النصوص (القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر، والنثر).
٦. أوّل من فرّق بين الزمن الصرفي الذي هو وظيفة الصيغة المفردة من دون جملة (ماض، مضارع، أمر)، والزمن النحوي المعتمد على السياق، الذي يختلف عنه وقد يخالفه، مثلما هو الحال في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكُتُبِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١]، فهو زمن مضارع صرفياً لكنه ماضٍ نحويّاً. وذكر للنحو ستة عشر زمناً، كما أنشأ مفهوم (الجهة)، وجعلها عوناً على تعدد الزمن النحوي.
٧. أوّل من قام بمحاولات متفرّقة لتشقيق المعنى، وتحليل كل شقٍّ منه على حدة.
٨. أوّل عالم لغوي عربي يخالف البصريين والكوفيين في دراسة الاشتقاق حين اقترح (فاء الكلمة وعينها ولامها)، كأصل للاشتقاق، في حين كان أصل الاشتقاق عند البصرة (المصدر)، وأصله

^(١) ينظر: مبادئ اللسانيات، د. أحمد قدور: ١٢٣.

عند الكوفة (الفعل الماضي)^(١).

٩. وضح أن اللغة في نمطيتها مكونة من طائفة من المباني المجردة عبر النحاة عن بعضها بالصيغ.
١٠. قسم المعنى إلى وظيفي، ومعجمي، ودلالي، وإذا تحقّق المعنى الوظيفي أمكن التحليل ولو لم يتحقّق المعنى المعجمي والدلالي. وقد يتعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد، كما يتعدد المعنى المعجمي للفظ الواحد.
١١. بيّن إمكان نقل كلمة من قسم إلى قسم آخر من أقسام الكلم.
١٢. النحو نظام من القرائن التي تعبّر عنها مبانٍ مأخوذة من الصرف والأصوات.
١٣. القرائن إما معنوية وإما لفظية والمعنوية منها تمثل العلاقات السياقية. والقرائن لا تعمل إلاّ متضافرة فلا يمكن لواحدةٍ منها أن تستقلّ بأداء المعنى.
١٤. التضام إحدى القرائن اللفظية وهو ينقسم إلى (التلازم والتنافي والتوارد).
١٥. صاغ الدكتور تمام حسّان قاعدة جديدة في أصول النحو وهي عبارة: (لا خطأ ولا لبس)، تجعل (الفائدة) هي الغاية، مستعيناً بقاعدة كبرى في أصول الفقه الإسلامي تجعل (المصلحة) غاية، وتلخص المصلحة في أصول الفقه عبارة (لا ضرر ولا ضرار) وتلخص الفائدة في أصول النحو هذه العبارة التي صاغها تمام حسّان في صورة مشابحة لما قد وضعها ابن مالك في شطر بيت يقول: "وإنّ بشكلٍ خيفَ لبسٍ يجتنب"^(٢).
١٦. الدكتور تمام حسّان من المنكرين لأصول تُعدُّ رباعية عند القدامى، ففي نظر الصرفيين أنّ هناك طائفة من الأفعال في اللغة العربية تعتبر رباعية أصلية الحروف الأربعة، ولكنه يرى أنّ "أحد هذه الحروف مزيد، حتى ولو لم يكن من حروف: سألتمونيها، فمن ذلك: دَخَرَج- دَرَج، و بَعَثَرَ-بَثَرَ، و سَقَلَب-قَلَب، و عَرَبَد-عَرَد، و شَقَلَب-قَلَب، و زَعَرَد-عَرَد"^(٣). إنّ حروف الزيادة في اللغة الفصحى ليست قاصرة عند حروف (سألتمونيها)، فكلّ حرف في

(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٦٩.

(٢) ينظر: الأصول لتتمام حسّان: ١٨٩.

(٣) ينظر: مناهج البحث في اللغة: ١٨٣-١٨٦.

اللغة العربية صالح من الناحية العملية لأن يكون زائداً لمعنى^(١).

١٧. هو أول عالم لغوي في العالم يدرس (المعجم) باعتباره نظاماً لغوياً متكاملًا تربطه علاقات محددة وليس مجموعة مفردات أو كلمات كما كان المستقر عالمياً؛ فهو الذي نبّه إلى فكرة النظام اللغوي للمعجم، وأنّ هناك كلمات تفرض الكلمات التي تُستعمل معها؛ فهناك أفعال لا بدّ لها من فاعل غير عاقل وأخرى لا بدّ أن يكون فاعلها عاقلاً.

^(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٦٢.

الفَصِيحُ الأَوَّلُ

خصائص صوتية وصرفية

المبحث الأول: خصائص صوتية

- القيم الصوتية في القرآن الكريم

● أولاً: الإيقاع

- المقاطع، شروط المقاطع، أنواع المقاطع

- النبر، قواعد النبر، الفرق بين النبر الأولي والنبر الثانوي

- التفخيم والترقيق

● ثانياً: الفاصلة

- الفاصلة، الفرق بين القافية والفاصلة

- حالات مراعاة الفاصلة في القرآن الكريم

- التقديم والتأخير في الفواصل

- إيثار صيغة المضارع على الماضي

- إيثار الجملة الإسمية على الفعلية

- مجيء ألف الابدال في كلمات مقترنة بأداة التعريف (أل)

- تعدد الفواصل مع اتحاد المعنى

- مجيء الفاصلة قبل تمام المعنى

● ثالثاً: المناسبة

- المناسبة بحسب القاعدة

- المناسبة الفنية التي لا تحكمها القاعدة

المبحث الأول: خصائص صوتية

القيم الصوتية في القرآن الكريم:

القيم الصوتية هي تلك الخصائص التي تميز بواسطتها الأصوات ويتعلق بها نوع من المعاني الطبيعية، التي لا توصف آثارها بأنها عرفية ولا ذهنية لأنها في الواقع مؤثرات سمعية انطباعية ذات وقع على الوجدان (تدركها المعرفة ولا تحيط بها الصفة)^(١)، أي: إن الوصف اللفظي يقصر عن توضيح المراد، على حين أن الأداء أيسر توضيحاً، فتأثيرها في وجدان السامع مثل النعمة الموسيقية تطرب لها ثم لا تستطيع أن تقول لم تطربت. ونستطيع أن ننسب إلى الأسلوب القرآني من هذه القيم عدداً من الظواهر منها: الإيقاع والفاصلة والمناسبة الصوتية والحكاية وحسن التأليف وطلب الخفة وبعض ظواهر التلاوة، وستناول منها الثلاث الأول فقط.

أولاً: الإيقاع:

الإيقاع هو: "الوزن الطبيعي المحسوس في أثناء الموسيقى واللغة. أما في اللغة، فإن الإيقاع هو رفع الأصوات وخفضها حسب المقاطع، والألحان الصوتية، والشدات اللفظية والسكنات. وتمثل موسيقى الشعر العربي في بحوره وقوافيه. ويُفرّق هنا بين أمرين؛ أولهما الإيقاع العام: ويعني وحدة النغم التي تتكرر على نحو ما في الكلام أو في البيت حين تتوالى المتحركات والسواكن بشكل متسق في مقطعين أو أكثر من مقاطع الكلام أو أبيات القصيدة. وهذا اللون من الإيقاع لا يخلو منه النشر ويسمى التصريع. أما الإيقاع في الشعر فمداره التفعيلة في البحر العربي، والمقصود من التفعيلة مقابلة الحركات والسكنات فيها بنظائرها في الكلمات في البيت دون أن نفرّق بين الحرف الساكن اللين والحرف الساكن الجامد وحرف المد. خلاصة ذلك أن حركة كل تفعيلة هي وحدة الإيقاع في البيت"^(٢). ويرى الدكتور عز الدين إسماعيل أن: "الإيقاع غير الوزن، وكثيراً ما يتعارض الإيقاع والوزن؛ بحيث يضطرّ الوزن إلى كثير من التغييرات. والإيقاع هو حركة الأصوات الداخلية التي لا تعتمد على تقطيعات البحر أو التفاعيل العروضية، وتوفير هذا العنصر أشق بكثير من توفير الوزن، لأنّ الإيقاع يختلف باختلاف اللغة والألفاظ المستعملة ذاتها، في حين لا يتأثر الوزن بالألفاظ الموضوعية فيه،

(١) ينظر: البيان في روائع القرآن: ١/١٧٦، وخصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: ١٤٧.

(٢) الموسوعة العربية العالمية: مادة (إيقاع).

تقول: (عين) وتقول مكانها (بئر) وأنت في أمن من عشرة الوزن. أما الإيقاع فهو التلوين الصوتي الصادر عن الألفاظ المستعملة ذاتها فهو أيضاً يصدر عن الموضوع، في حين يُفرضُ الوزن على الموضوع. هذا من الداخل، وهذا من الخارج^(١). والإيقاع حركة النَّصِّ الداخلية الحيوية المتنامية التي تمنح نسق الرموز المؤلفة للعبارة الدفع والثراء.

"لقد تعودنا أن نُحْكِمَ ربط مصطلح الإيقاع بالشعر الموزون ولم تعرف تقاليدنا الفكرية الارتباط بين الإيقاع وصور التعبير الأخرى. بل إننا في معرفتنا بالأسلوب القرآني وبأنه ليس شعراً، ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]، ربما أنكرنا لأول وهلة أن نسمع كلاماً عن الإيقاع منسوباً إلى القرآن الكريم ولكن هذا الإنكار يزول إذا عَلِمْنَا المقصود بمصطلح (الإيقاع)، وعرفنا أنه شيءٌ مُخْتَلِفٌ عن الوزن"^(٢).

وقد عَرَفَ الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) هذا الأثر العجيب للإيقاع وهو ما عبَّر عنه بـ(تأثير الأصوات)، يقول: "وأمر الصَّوت عَجِيب، وتصرفه في الوجوه عَجَب. فمن ذلك أن منه ما يقتل، كصوت الصاعقة. ومنه ما يسرُّ النفوس حتى يُفْرِطَ عليها السرور؛ فتقلُّقٌ حتى ترفُص، وحتى ربما رمى الرَّجل بنفسه من حاليق. وذلك مثل هذه الأغاني المطربة. ومن ذلك ما يُكْمِدُ ومن ذلك ما يُزِيلُ العقلَ حتى يُغشَى على صاحبه، كنعو هذه الأصوات الشجية، والقراءات المُلَحَّنة. وليس يعترهم ذلك من قِبَل المعاني؛ لأنهم في كثير من ذلك لا يفهمون معاني كلامهم. وقد بكى ماسرجويه من قراءة أبي الخوخ، فقيل له: كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدِّق به؟ قال: إنما أبكاني الشَّجَا!"^(٣). وقوله: وليس يعترهم ذلك من قِبَل المعاني، دليلٌ واضحٌ على أن الجاحظ أدرك أن هذا التأثير للصوت ليس سببهُ المعنى بل الإيقاع الذي ينقل الحالة النفسية للمتكلم إلى السامع.

وقد استخدم القرآن الكريم الإيقاع المناسب لأجواء كل سورةٍ من سُورِهِ، فهناك آيات كريمة تمتاز بالإيقاع السريع وأخرى تمتاز بإيقاع بطيء وحزين، وهذا التنوع يتناسب مع معاني الآيات ومضامينها. فمثلاً نجد الإيقاع الذي يطلق في جو الدعاء والضراعة والخشوع والإنابة، كما في قوله

تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ وَمَا نَخْفِي عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨]، إيقاعاً بطيئاً متموجاً رخيئاً، مُنَاسِباً لمضمون الآيات.

(١) الأسس الجمالية في النقد العربي، د. عز الدين إسماعيل: ٣٧٦.

(٢) البيان في روائع القرآن: ١/١٧٥، خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٢٣.

(٣) الحيوان، للجاحظ: ٣٥٣/٤.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْرَلٍ يَبْتُئِ آرَكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ٤٢ ﴾ قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴿٤٢-٤٣﴾، الإيقاع هنا مختلف عن الآيات السابقة، فهو طويلٌ وعميقٌ يشترك في رسم الهول لجو الطوفان والرعب، والمدات المتوالية تساعد في إكمال الإيقاع وتكوينه واتساقه مع جو المشهد الرهيب العميق. "إنَّ المدخل إلى دراسة الإيقاع لا يكون إلا من خلال معرفة المقاطع اللغوية العربية المختلفة الكميات وما يتَّصل بذلك من قواعد النَّبَر في الكلام. وحين حاول العروضيون أن يصلوا إلى دراسة تَقْلُبَات أجزاء التفعيلات حدّدوا الأسباب والأوتاد وصاغوا عبارتهم المشهورة: (لَمْ أَرْ عَلَى ظَهْرِ جَبَلٍ سَمَكَةً)، ولكنهم لم يحدّدوا مقاطع اللغة العربيّة، لأنَّ أغلب ألفاظ هذه العبارة مكوّن من أكثر من مقطع واحد"^(١).

المقاطع:

المقطع وحدة صوتية تتشكّل من أكثر من صوتٍ واحدٍ، يقول الدكتور كمال بشر: إنَّ المقطع أكبر من الصوت وأصغرُ من الكلمة؛ وإنَّ كانت هناك كلمات تتكوّن من مقطعٍ واحد، مثل: (من) بفتح الميم أو كسرهما بلا فرق^(٢). وقد ورد مصطلح المقطع وجمعه المقاطع في التراث العربي، وإنَّ بمعانٍ مختلفة، نشير إلى اثنين منهما لشهرتهما واتساع دوائرهما:

المعنى الأول: من كلام ابن جنيّ (ت ٣٩٣هـ) عند حديثه عن مخارج الحروف (الأصوات) وكيفيات مرور الهواء عند النطق بها. يقول: اعلم أن الصوت عَرَضٌ يخرج مع النَّفْسِ مُسْتَطِيلًا مُتَّصِلًا، حتى يَعْرِضَ له في الحلق والنفم والشفتين مقاطع تشبه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها.

والمعنى الثاني: فصاحبه أبو النصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ)، يقول في كتاب (الموسيقى الكبير): وكل حرف غير مصوّت (أي صامت) أُتْبِعَ بِمُصَوِّتٍ قَصِيرٍ (حركة قصيرة)، فُرِنَ به، فإنّه يُسَمَّى (المقطع القصير) والعرب يسمّونه الحرف المتحرك، من قِبَلِ أَنَّهُمْ يَسْمُونُ المصوتات القصيرة حركات، وكل حرف لم يتبع بمصوّت طويل فإنّا نسمّيه (المقطع الطويل). فهذا النَّصُّ بخلاف سابقه (نص ابن جنيّ) يُنبئُ بوضوحٍ كاملٍ عن أنّ الفارابيّ يدرك فكرة المقطع بصورة تشبه أو تُماثل في مضمونها تصوّر

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٢٣.

(٢) ينظر: علم الأصوات: ٥٠٣-٥٠٤.

شروط المقاطع:

دراسة المقاطع في العربية لها شروطها التي لا بُدَّ أن تُراعَى، ومنها ما يلي:

- ١ - "كل حرف متحرك هو بداية لمقطع جديد"^(٢).
- ٢ - "كل حرف ساكن بعد حركة أو مد هو نهاية لمقطع صوتي، وقد يشدّد هذا الساكن عند الوقف"^(٣).
- ٣ - "هناك مقاطع صوتية ومقاطع أخرى تأصيلية وعلاقة الأولى بالثانية كعلاقة (قال) ب(قَوْل) أي علاقة الفرع المعدول به عن الأصل بالأصل المعدول عنه"^(٤). من هنا قد يوجد مقطع في الأصل ولا يوجد في الفرع وذلك كالحرف الساكن الذي لا يُبتدأُ به فتُجْتَلَبُ له همزة وصل للتوصُّل إلى النطق به كالنون في (انطلق) فيصير مع الهمزة مقطوعاً صوتياً واحداً"^(٥).
- ٤ - نحن هنا معنيون بالمقاطع الصوتية ولا نهتم للمقاطع التأصيلية لأن الإيقاع ظاهرة صوتية حسية مسموعة وليس تأصيلاً مجرداً"^(٦).

(١) ينظر: علم الأصوات: ٥٠٦-٥٠٧.

(٢) البيان في روائع القرآن: ١٧٦/١.

(٣) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٢٣.

(٤) المصدر نفسه: ١٢٣.

(٥) ينظر: البيان في روائع القرآن: ١٧٦/١-١٧٧، خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٢٤.

(٦) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٢٤.

أنواع المقاطع:

هناك اختلاف بين اللغويين في عدد المقاطع العربية، حيث قال الدكتور إبراهيم أنيس وغيره بأنها خمسة فقط^(١)، في حين نرى الدكتور كمال بشر^(٢) والدكتور تمام حسّان قد أوردوا ستة مقاطع. "وفي اللغة العربية المقاطع التالية على المستوى الصوتي:

- المقطع الأول: صوت متحرك وليس بعد حركته صوت ساكن مثل المقاطع الثلاثة في (كَ تَبَ ص ح)، فكل مقطع منها مبني من صوت متحرك ليس بعده ساكن، ويرمز لهذا المقطع بالرمز (ص ح)، ويسمى اختصاراً بـ (المقطع القصير).
- المقطع الثاني: صوت متحرك بعد حركته صوت ساكن مثل المقاطع التي في (لَمْ تَكْتُبْ) فاللام في (لَمْ) متحركة وبعدها ميم ساكنة والياء في (يَكْتُبْ) متحركة وبعدها كاف ساكنة، والتاء في (تُكْتُبْ) مثلها تماماً، ويرمز لهذا المقطع بالرمز (ص ح ص)، ويعرف بـ (المتوسط المقفل).
- المقطع الثالث: صوت متلو بالمدّ وليس بعد المدّ ساكن كما في (لا فيها) فكل من اللام والفاء والهاء بعده مدّ وليس بعد المدّ ساكن ويرمز لهذا المقطع بالرمز (ص م) ويعرف بـ (المتوسط المفتوح).
- المقطع الرابع: صوت متلو بالمدّ وبعده المدّ ساكن كما في (الضالّين) و(الطامة) و(الصاخّة) فالمقطع الطويل من كل كلمة من هذه يرمز إليه بالرمز (ص م ص) فالصاد الأولى من الرمز هي ضاد الضالّين أو طاء الطامة أو صاد الصاخّة، والمدّ هو المدّ والساكن أول عنصري التشديد في الكلمة أما العنصر الثاني من التشديد فهو متحرك وكل متحرك بداية مقطع جديد (الشرط الأول السابق ذكره). ويسمى بـ (طويل المد).
- المقطع الخامس: صوت متحرك وبعده الحركة صوتان ساكنان كما في الوقف على (قبل) و(بعد) و(شدّ) و(كالمقطع الثاني من (دويبة) و(مويّدة) لتصغير دابة ومادة، ويرمز لذلك بالرمز (ص ح ص ص)، ويسمى بـ (طويل التشديد).
- المقطع السادس: صوت متلو بالمدّ وبعده المدّ صوتان ساكنان ولا يرد هذا المقطع إلا عند الوقف على مثل (الحاجّ) و(التامّ) و(الخاصّ) و(الضالّ) فهو مقطع مرهون بموقع معين ويرمز

^(١) ينظر: الأصوات اللغوية: ١٥٣.

^(٢) ينظر: علم الأصوات: ٥١٠-٥١١.

إليه ب(ص م ص ص)، ويسمى (مقطع الوقف)^(١).

وتبقى بعد ذلك ملاحظة لا بد منها هي الإشارة إلى "النقطة التي يختلف فيها المقطع الصوتي عن المقطع التأصيلي المجرد وهي نقطة واحدة لا غير. نحن نعلم أن بنية بعض الكلمات العربية تبدأ في نظام اللغة بالسكان ولكن الاستعمال اللفظي (الصوتي) يأبى البدء بالسكان فيجتلب همزة قبل السكان تعرف بهمزة الوصل وذلك في أسماء معروفة وصيغ محددة في ماضي الخماسي والسداسي وأمرهما ومصدرهما وأمر الثلاثي وفي أداة التعريف"^(٢). ولقد قال ابن مالك: "أل حرف تعريف أو اللام فقط"^(٣)، فأشار إلى أن الهمزة ليست من بنية الأداة وإنما هي مُجْتَلَبَةٌ لتكون قَنَطَرَةً يعبر المتكلم فوقها إلى النطق بالسكان. ولاشك أن الناطق ينطق الهمزة وحركتها والسكان الذي بعدها فيكون المقطع من الناحية الصوتية (ص ح ص) ولكن نظام اللغة الذي يأبى أن يعترف بأن الهمزة جزء من البنية من حقه أن يقول إن هذا المقطع في النظام هو (ص) فقط أو إذا راعينا إطراد ورود الحركة قبله في كل الحالات فراراً من البدء بالسكان أو فراراً عند الوصل من التقاء الساكنين أمكن أن يقال إن هذا المقطع في النظام هو (ح ص) مع حذف الصاد الأولى التي هي بإزاء همزة الوصل، "نخلص من ذلك إلى أن مقطع الوصل (وهذا هو اسمه) له صورتان:

- صورة صوتية يرمز إليها بالرمز (ص ح ص).

- صورة تأصيلية يرمز إليها بالرمز (ص) فقط أو (ح ص) والأول من رمزيه أَحَوَظُ.

ولا يقع في اهتمام دراسة الايقاع أن نتكلم في المقطع التأصيلي أو مقطع الوصل مادام يحتسب من الناحية الصوتية من قبيل المتوسط المقفل (ص ح ص) بإقامة الصاد التي في مطلع المقطع مقام همزة الوصل والصاد الثانية مقام السكان الذي تم التوصل إلى النطق به بواسطة الهمزة وحركتها"^(٤).

(١) ينظر: البيان في روائع القرآن: ١٧٧/١-١٧٨، خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٢٤-١٢٥.

(٢) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٧٧.

(٣) ألفية ابن مالك: ١٦.

(٤) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٢٥، ١٢٦.

النَّبْر:

النَّبْرُ لُغَةً: "همز الحرف، ولم تكن قريش تهمز في كلامها"^(١)، وقال ابن الأنباري: "قال أبو العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ): إنما سُمِّيَ الْمُنْبَرُ مِنْبَرًا لارتفاعه وعلوه. أُخِذَ مِنَ النَّبْرِ، وَالنَّبْرُ عِنْدَهُمْ: رِفَاعُ الصَّوْتِ. يُقَالُ: نَبَرَ الرَّجُلُ نَبْرَةً: إِذَا تَكَلَّمَ كَلِمَةً فِيهَا عُلُوٌّ."^(٢)

والنَّبْرُ اصطلاحاً: "وضوح نسبي لصوتٍ أو لمقطعٍ من الأصوات أو المقاطع المجاورة"^(٣)، أو هو: "قوة التلفظ النسبية التي تعطى للصَّائِتِ في كل مقطعٍ من مقاطع الكلمة أو الجملة، وتؤثِّرُ درجة النبرة في طول الصَّائِتِ وعلوِّ الصوت"^(٤). قال الدكتور تمام حسَّان: "إذا سمع أحدنا غيره يتكلم فإنه سيلاحظ أنه لا يجعل كل أجزاء الجملة من كلامه في طبقة صوتية واحدة وإنما يرفع صوته بأحد أجزاءها إلى طبقة أعلى من الصوت مع بقية الأجزاء وذلك ما يُعرف بالتنغيم وبه يرتبط معنى الجملة إثباتاً واستفهاماً أو غير ذلك. أمَّا المتكلم نفسه فإنه سيلاحظ أنَّ الصوت الذي يتم عند الانتقال من طبقة صوتية إلى طبقة صوتية أخرى يتطلب قدراً من نبض الحجاب الحاجز يزيد من ضغط النفس على الأوتار الصوتية فيكون للصوت من أصوات الكلمة في الجملة عندئذ وضوح في السمع أكثر مما يكون لما يحيط به من أصوات. هذا الوضوح السمعي النسبي يسمى (النَّبْر)، فعندما نحاول أن ننطق الصيغ الصرفية الآتية نلاحظ الاختلاف بينها من حيث النَّبْر:

فَعِيل - فَاعِل - فَعِيل

وعندئذ سنحس أن النَّبْرَ في الصيغتين الأُولَيَيْنِ على المقطع الأول وفي الصيغة الثالثة على المقطع الثاني، فإذا تبنينا فقلنا: فَعِلَان - فَاعِلَان - فَعِيلَان، انتقل النَّبْرُ في جميع ذلك إلى المقطع الأخير"^(٥).

"والمقطع والنَّبْرُ متلازمان، فالمقطع حامل النَّبْرِ، والنَّبْرُ أَمَارَةٌ من أَمَارَاتِ تَعْرِيفِهِ"^(٦).

(١) تاج العروس: ١٤/١٦٤.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري: ١/٤٢٠.

(٣) علم الأصوات: ٥٣٣، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية: ٣١٩.

(٤) معجم علم اللغة النظري: ٢٦٨.

(٥) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٢٦.

(٦) علم الأصوات: ٥٠٣.

قواعد النبر:

- يخضع النبر في اللغة العربية لقواعد مطّردة قليلة العدد سهلة الضبط والتذكر، وهي " كما يلي:
١. يقع النبر على المقطع الأخير في الكلمة أو الصيغة إذا كان هذا المقطع طويلاً سواءً أكان طوله بالمد أم بالتشديد أم كان مقطع الوقف، مثل:
مفعول - يفعلاًن - فعَلت - الباء
 ٢. يقع النبر في الكلمة الوحيدة المقطع على هذا المقطع الوحيد أياً كان مثل:
ق - قم - ما - قال - قل - حاج
 ٣. يقع النبر على المقطع الذي قبل الأخير في الحالات التالية:
- إذا كان ما قبل الأخير متوسطاً والأخير إما قصير أو متوسط نحو:
استلق - حذار - علم - قاتل - معلّم - مقاتل - استوثق
- إذا كانت الكلمة من مقطعين هذا أولهما أو من ثلاثة أولها مقطع همزة الوصل نحو:
أرعو - أكتُب - صُوّر - انطلق - اخرجي
- إذا كان ما قبل الأخير طويلاً اغتفر فيه التقاء الساكنين ووقع النبر عليه ما لم يكن الآخر طويلاً مثله فيقع النبر عليهما معاً نحو:
الصفات - الضالّين
 ٤. يقع النبر على المقطع الثاني مما قبل الآخر إذا كان قصيراً أو متوسطاً بعده قصيران أو قصير ومتوسط نحو:
عجلتك - علمك - لن تصل - علمكم - لم يصلوا - بينكم - بيئتك - أخرج - مفكّر
- نظرة - ابتسامة.
 ٥. يقع النبر على الثالث مما قبل الآخر إذا كان الآخر قصيراً أو متوسطاً وقبله ثلاثة قصار نحو:
ضربك - بقرة - يرثي - يعدهم - نكروهم - وجدك.
 ٦. لا يقع النبر على أي مقطع يسبق هذا الأخير^(١).
- وهناك ما يعرف باسم النبر الثانوي وهو يأتي عندما يكون ما قبل النبر الأوّل من الكلمة في

(١) ينظر: دراسة الصوت اللغوي: ٣٥٨-٣٦٠، مناهج البحث في اللغة: ١٦١-١٦٢.

كمية كلمة مستقلة فيأتي النبر الثانوي لإيجاد نوع من التوازن بين هذه الكمية وما يليها وتحكمه القواعد الآتية:

١- تقع على المقطع السابق على النبر الأولي إذا كان طويلاً (ص م ص أو ص ح ص ص)،
نحو: الصَّافَات - الضَّالِّينَ - أُنْحَاوِيَّ^(١).

٢- تقع على المقطع الثاني قبل النبر الأولي إذا كان هو متوسطاً والذي بعده قصيراً أو متوسطاً، نحو: مُسْتَبِقِينَ - مُسْتَقِيمٍ - مُسْتَعِدَّةً - يَسْتَخْفُونَ - عَاشِرْنَا هُمْ - قَاتِلُوهُمْ^(٢).

٣- يقع النبر الثانوي على المقطع الثالث مما قبل النبر الأولي إذا كان هذا المقطع:

أ- متوسط + قصير + متوسط

نحو: يَسْتَقِيمُونَ - مُسْتَجِيبُونَ - مُسْتَطِيلَانُ.

ب- متوسط + قصير + قصير

نحو: مُنْطَلِقُونَ - يَسْتَبِقُونَ - مُحْتَرَمُونَ.

ج- قصير + قصير + قصير

نحو: بَقَرَتَان - كَلِمَتَان - ضَرْبَتَاهُ^(٣).

و"إذا تأملنا الكلام المتصل لاحظنا تشابه المسافات بين نبر ونبر، أو تقارب هذه المسافات، فقد نجد بين المقطعين اللذين وقع النبر على كل منهما مقطعاً أو مقطعين أو ثلاثة على أكثر تقدير، لم يقع النبر على واحد منها، وقد يكون النبران المتواليان من قبيل النبر الأولي، وقد يكون أحدهما ثانوياً، هذا التشابه والتقارب في المسافة بين كل نبر وما يليه يعطي للأذن هذا الذي سميناها الإيقاع، ويمنح النفس إدراكاً لطابع إيقاعي للغة تمتاز به عن كل لغة غيرها من لغات البشر.

غير أنه في إمكان منشئ النص أن يكسبه من رشاقة الإيقاع ما لا يستطيعه المتكلم العادي حتى إذا قرأت هذا النص المنشور أحسست له خفة على اللسان وقبولاً في النفس وبهذا يمتاز أديب عن أديب آخر وإن بعض الأساليب الثرية ليستحق أحياناً أن يوصف بأنه أسلوب موقّع أو موسيقي أو رشيق دون أن يلجأ منشؤه إلى محسنات لفظية من أي نوع"^(٤).

(١) ينظر: مناهج البحث في اللغة: ١٦٢، اللغة العربية معناها ومبناها: ١٧٤.

(٢) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٢٨.

(٣) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٧٥.

(٤) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٢٨-١٢٩.

الفرق بين النبر الأولي والنبر الثانوي:

- النبر الأولي أصلي والنبر الثانوي فرعي.
- النبر الأولي يحسب من آخر الكلمة أو الصيغة، والنبر الثانوي يحسب من نقطة وقوع النبر الأولي.
- النبر الثانوي أضعف من النبر الأولي لأن ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين عند إيقاعه أضعف منه عند إيقاع النبر الأولي^(١).

إذا نظرنا إلى كلمة مثل: (يَسْتَعِينُونَ) وجدنا بها نبراً أولاً على المقطع الأخير (نُونَ) ونبراً ثانوياً على المقطع الأول (يَسْ) لأن كميّة ما قبل النبر الأولي هو (يَسْتَعِي) وكميّته تشبه كميّة كلمة تامّة مثل: (يَزْتَقِي) أو (يَسْتَقِي) أو (مُرْتَجِي) أو (جَاهِدُوا) أو أيّة كلمة لها هذه الكميّة. ولكن هذه الكميّة لما كانت جزءاً من كلمة ولم تكن مستقلة صالحة للإفراد فقد وقع النبر عليها ثانوياً لا أولياً على حين يستحق كل من الكلمات السابقة ذات الكميّة المشابهة نبراً أولاً على أوّلها، وذلك بسبب استقلالها وصلاحيّتها للإفراد.

ولو أن كل الكلمات العربية كانت من ثلاثة أصول لكان انتظام بنية الصيغ الصرفية واطّراد الزوائد التي تلحق بالكلمة سبباً في عدم اختلاف النبر في الكلمة المفردة عنه في السياق. أو بعبارة أخرى لكان النبر يقع على الكلمة بطريقة واحدة في الإفراد والوصل.

ولكن من الكلمات التركيبية العربية ما يأتي على حرف واحد ومنها ما يأتي على حرفين فيلحق بالكلمة الثلاثية الأصول ويغير من كميّتها فيتغير موضع النبر تبعاً لذلك. ومن هنا يخضع النبر في السياق للخطة الإيقاعيّة ويخضع في الإفراد للبنية الصرفيّة. فإذا نظرنا إلى السياق وجدنا المسافة بين النبر والنبر يحكمها مبدأ مهم هو ألاّ تتجاوز مقدار كلمة عربية واحدة سواء أكانت هذه الكلمة من مقطع طويل بمقدار (قال) و (قبل) أو مقطعين متوسطين بمقدار (علّم) و (قاتل) و (صلّي) وبمقدار مقطعين أولهما قصير وثانيهما متوسط نحو (سمك) و (رمي) أو أي مقدار يكون لكلمة ذات صياغة عربية كما سبق في الأمثلة التي أوردناها بمناسبة قواعد النبر. وكلما تقاربت الكميات أو انتظم اختلافها حسن إيقاعها والعكس صحيح وهذا التقارب وذاك الانتظام هو الذي نجده في إيقاع

(١) ينظر: البيان في روائع القرآن: ١/١٨٤.

الأسلوب القرآني، كما يتضح من النماذج الآتية، وقد تم اختيار هذه النماذج من دون تحديد، فيصدق على غيرها ما يصدق عليها^(١):

- ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْوَعَهُمْ فِيءَآذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [البقرة: ١٩]

- ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّرَاةِ رِزْقًا لَّكُم ۗ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢]

- ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤]

- ﴿ وَإِن أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنًا وَإِنَّمَا مَثِينَا ﴿٢٠﴾ ﴾ [النساء: ٢٠]

- ﴿ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النُّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا ۗ ﴾ [المائدة: ٤٥]

عند تقطيع الآية الأولى إلى دفعات النبر فيها، نرى كيف يحدث الإيقاع من انتظام التوافق بين الدفعات، أو انتظام أنماط ائتلافها في مجموعات:

أَوْكٌ - صَيْبٍ - مِّنَ السَّمَاءِ - فِيهِ ظُلُمَاتٌ - وَمَاتٌ وَ - رَعْدٌ وَ - بَرْقٌ - يَجْعَلُ - لُونٌ - أَصَا - بِعُهُمْ - فِي آ - ذَانِهِمْ - مِّنَ الصَّوَاعِقِ - وَاعِقٍ - حَذَرَ الْمَوْتِ - وَال لَاهُ مُ - حَيْطٌ - بِالْكَافِرِينَ - رِينَ.

ولو حاولنا مثل هذا التقطيع في بقية الآيات السابقة سنعلم عندئذ أن: "المقصود بالإيقاع ليس هو الوزن وإنما هو التوازن وسنرى أن هذا التوازن هو مصدر رشاقة الأسلوب وجزء مهم من أجزاء حسن

(١) ينظر: البيان في روائع القرآن: ١٨٧/١.

استقبال النفس له.

على أنّ الانتظام الإيقاعي لو اطرّد دون تحلّف واستمرّ دون انقطاع لكان أولى بالسّامع أن يملّ وباليقظة عنده أن تتحوّل إلى حُمُول تُمّ إلى نوم وهذا الانتظام المطرّد ذاته هو الذي تجده لدى الأم حين تهز طفلها لينام، وهو أيضاً الذي يجعل ضجيج الآلة عند انتظامه مدعاة للنوم فإذا توقف الضجيج صحا النائم. ولو سُمِح للإيقاع القرآني أن يقع في هذا الانتظام المُحكّم لربّما أدّى بالسّامع إلى الملل ولكن الأداء القرآني أداءٌ مُرتّل. وقد أمر الله رسوله ﷺ أن: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: ٤]، بل إنّه تعالى يَنسِبُ إلى الترتيل نفسه بقوله: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢]، والذي أفهمُهُ من معنى الترتيل أنّه يَتَمَثَّلُ في جعل القرآن أرتالاً بين كل رتلٍ منها وبين الآخر فترة، فأما الأرتال بالنسبة إلى نزول القرآن فكونه نَزَلَ مُنَجَّمًا بحسب الوقائع فكان في صورة دفعات من الآيات بين كل رتل منها وبين الآخر فترة زمانية ما، وهذا المعنى ثابت في تاريخ نزول القرآن ولكنه لا يفيدنا فيما نحن بصدده هنا، وأما الترتيل بالنسبة إلى الأداء القرآني فهو أن تجعل مقاطع القرآن (والمقصود المقاطع بمعناها الذي سبق شرحه) أرتالاً في القراءة بين كل رتل منها وبين الآخر مسافة يحتلها مدّ أو غنة فينقطع بالمدّ أو الغنة ذلك الانتظام المحكم الذي يدعو إلى الملل. وهكذا تصبح هذه المسافة نفسها (مثلة في المدّ أو الصفة) جزءاً من الإيقاع القرآني الذي يعتمد على جعل المقاطع أرتالاً أو بعبارةٍ أخرى يعتمد على الترتيل^(١).

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٣٢-١٣٣.

التفخيم والترقيق:

- التفخيم:

التفخيم هو: فتح القارئ فاه بلفظ الحرف، ويقال له الفتح، وهو شديد ومتوسط؛ فالشديد: هو نهاية فتح الشخص فاه بذلك الحرف ولا يجوز في القرآن بل هو معدوم في لغة العرب، والمتوسط: ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة. قال الداني: وهذا هو الذي يستعمله أصحاب الفتح من القراء^(١). وقال محمد التونجي هو: "الفتحة الواقعة على الألف المهموزة في وسط الكلمة، نحو: (زَارَ)"^(٢). وهو أيضاً من أنواع الإشارة^(٣)، نحو قول كعب بن سعد العنوي [من الطويل]:

أَحِي مَا أَحِي لَا فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ، ... وَلَا وَرِخٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ هَيُوبٌ^(٤)

يرتبط التفخيم ارتباطاً قوياً بمخارج الحروف وصفاتها؛ لأنه يتعلق بإخراج الحرف بتلك الصفة التي يستحقها. ويعرف التفخيم بأنه: "ضخامة وغلظ يلحقان الصوت عند النطق بحرفه فيمتلئ الفم بصداه"^(٥)، فيكون الحرف في مخرجه مُفَخِّمًا وفي صفته قوياً. و"التفخيم مقابل للترقيق، وحروف التفخيم سبعة، مجموعة في: (خص ضغط قط)، وهي أحرف الاستعلاء، ومثاله: ﴿تَظَاهَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]، ﴿طَبَعَ﴾ [النساء: ١٥٥]، وما شابه ذلك"^(٦). و"التفخيم يلزم الإطباق كما في: (ص ض ط ظ)، ولكنه لا يتوقف عليه كما في: (خ غ ق)"^(٧). فلكل صوت لون أو جرس يتميز به ويميّزه عن غيره، وهناك بعض الأصوات تحس الأذن بغلظها وسمنها، وهناك بعض الأصوات على العكس من ذلك فتتميز بالرقّة والنحافة. والأصوات التي تشعر الأذن بغلظها تسمى أصواتاً مفخمة، والتي على النقيض من ذلك تُسَمَّى أصواتاً مرقّقة.

إنّ ظاهرة مثل التفخيم يتوقف عليها التمييز بين الأصوات، فصوت السين لا يتميز عن الصاد إلا بالتفخيم، ومن ثم يكون اختلاف المعنى بين (سعد) من السعادة و(صعد) من الصعود، وكذا بين (ساد) من السيادة و(صاد) من الصيد... وهكذا، وفي ضوئها كذلك يتم التمييز بين التاء والطاء

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٣١٥/١.

(٢) المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات): ١٩١/١.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ): ٣٠٣/١.

(٤) ينظر: جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشي (ت ١٧٠هـ): ٥٥٦، والأصمعيات، للأصمعي (ت ٢١٦هـ): ٩٥.

(٥) معجم علوم القرآن: ٩٦.

(٦) المعجم التجويدي لأشهر ألفاظ التجويد: ٨٦.

(٧) اللغة العربية معناها ومبناها: ٦٣.

ومن ثم يكون اختلاف المعنى بين (تاب) و(طاب)... وهكذا.

- الترقيق:

الترقيق عند القُرَّاء "تليين الحروف، ويقابله التفتيح"^(١). وهو "نحول يدخل على صوت الحرف فلا يمتلى الفم بصداه"^(٢). وحروف الترقيق مجموعة في هذا البيت:

ثبت عزّ من يجوّ د حرفه إذ سلّ شكّا

وهي مرققة دائماً، أمّا "الأحرف التالية فترقق في بعض الأحوال:

- الألف: وتُرَقَّقُ إذا وقعت بعد مُرَقَّق، نحو: ﴿الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥]، ﴿سَائِلٌ﴾ [المعارج: ١].

- اللام: وترقق عند كل القُرَّاء إذا وقعت في لفظ الجلالة بعد حرفٍ مكسورٍ أو مجرورٍ، نحو:

﴿لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢]، ﴿يَاللَّهِ﴾ [البقرة: ٨]، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ [آل عمران: ٢٦].

- وترقق إذا وقعت بعد الرّاء الممالة، نحو: ﴿نَرَى اللَّهَ﴾ [البقرة: ٥٥]، ﴿وَسَيَرَى اللَّهَ﴾ [التوبة: ٩٤].

وموجبُ الترقيق هنا عدم وجود الفتح الخالص قبل اللام"^(٣).

ونستطيع أن نضرب مثلاً للمؤشر الأسلوبي الصوتي بما نبجده من مقابلة التفتيح والترقيق، كما في:

- قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]، وقوله جل شأنه: ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا

﴿٦﴾ [الشمس: ٦]، "فالفعل واحد لم يتغير ولكن الذي تغير فيه هو أول أصواته الذي جاء

مُرَقَّقاً في الخبر المجرّد (الدال) في ﴿دَحَاهَا﴾، ولكنه جاء مُفَحَّحاً عند القسم (الطاء) في

﴿طَحَّهَا﴾، ليكون ردءاً للتأكيد الذي جاء به القسم في الآية"^(٤)، ولما في الطاء من الجهر

والشدة والاستعلاء والاطباق والقلقلة، وهذه الصفات الخمس القوية تجعله مناسباً ومسائراً

لجو القسم في الآية. قال ابن منظور: "قال الفراء: طحّاها ودحّاها واحداً، قال شمر: معناه:

وَمَنْ دَحَاهَا فَأَبْدَلِ الطَّاءِ مِنَ الدَّالِ"^(٥). وإبدال الطاء من الدال جائز في لغة العرب وهو من

الابدال اللغوي لا الصرفي.

- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]، بضم الهاء من

(١) المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات): ١٦٤/١.

(٢) غاية المرید في علم التجويد، عطية قابل نصر: ١٥٧.

(٣) معجم علوم القرآن: ٩٢.

(٤) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٠٠، مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ١٥٥.

(٥) لسان العرب: ٤/١٥.

(عَلِيَّهِ)، وذلك للحفاظ على تفخيم اللام من لفظ الجلالة، وقال أبو السعود العمادي: "عَلِيَّهِ" بضم الهاء فإنه أُبْقِيَ بعد حذف الواو، إذ أصله (هو)، توسلاً بذلك إلى تفخيم لام الجلالة^(١)، أما قوله تعالى: ﴿وَمَا أَسْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣]، فهو دليل الارتباك والاعتذار، ولذلك جاء تفسير الهاء، بقوله: ﴿أَنْ أَذْكُرَهُ﴾، وهو يقصد أن أحضره^(٢). قال السمين: "قيل: لأن الياء في ﴿أَسْنِيهِ﴾ أصلها الفتح، والهاء بعد الفتحة مضمومة فنظر هنا إلى الأصل. وأما في سورة الفتح فلأن الياء عارضة إذ أصلها الألف، والهاء بعد الألف مضمومة فنظر إلى الأصل أيضاً"^(٣). قال الكفوي: "قوله تعالى: ﴿بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾ بضم الهاء، إذ أصله (عليه الله) أبقى الضم بعد حذف الواو ليدل عليها"^(٤). ورأى الألويسي أن: "وجه الضم أنها هاء (هو) وهي مضمومة فاستصحب ذلك، كما في له وضربه، ووجه الكسر رعاية الياء، وكذا في إليه وفيه، وكذا فيما إذا كان قبلها كسرة نحو: به ومررت بغلامه، لثقل الانتقال من الكسر إلى الضم، وحسن الضم في الآية التوصل به إلى تفخيم لفظ الجلالة الملائم لتفخيم أمر العهد المشعر به الكلام، وأيضاً إبقاء ما كان على ما كان ملائم للوفاء بالعهد وإبقائه وعدم نقضه"^(٥). وقال الدكتور فاضل السامرائي: عليه بضم الهاء هي لغة الحجاز، وكذلك يقولون: فيه، أما سائر العرب فيقولون: عليه وفيه وإليه وبه. وليس للموضوع علاقة بكون عليه حرف جر، لكن هناك أكثر من سبب لاختيار الضم في عليه؛ أولها: أن الكلام في صلح الحديبية والعهد الذي كان بينهم وبين الرسول وهو عهد على الموت، فكان الضم في عليه يؤدي إلى تفخيم لفظ الجلالة لتفخيم العهد فأراد سبحانه أن يتسق ويتناسق تفخيم العهد مع تفخيم لفظ الجلالة حتى لا يُرْفَقَ لفظ الجلالة بالكسرة. والأمر الثاني: أن الضمة هي أثقل الحركات بالاتفاق، وهذا العهد هو أثقل العهود، لأنَّه العهد على الموت فجاء بأثقل الحركات مع أثقل العهود^(٦).

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي: ١٠٦/٨، وينظر: روح البيان، اسماعيل حقي

الخلوتي: ٢١/٩.

(٢) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ١٥٥.

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٥٢٣/٧.

(٤) الكليات: ٦٣١.

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألويسي: ٢٥٢/١٣.

(٦) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ١٠٢-١٠٤.

ثانياً: الفاصلة:

الفاصلة لغة: "هي ما يفصل بين شيئين، وهي في علامات الترقيم في الكتابة العلامة التي توضع بين الجمل التي يتركب منها كلام تامّ الفائدة، وبين الكلمات المفردة المتصلة بكلمات أخرى تجعلها شبيهة بالجملة في طولها"^(١).

أما الفاصلة اصطلاحاً فهي: "كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع... وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب، لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يبين القرآن بها سائر الكلام. وتسمى فواصل، لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها، ولم يسموها أسجاعاً، فأما مناسبة فواصل، فلقوله تعالى: فلقوله تعالى: ﴿كَتَبُ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ﴾ [فصلت: ٣]، وأما تجنّب أسجاع، فلأنّ أصله من سجع الطير فشرف القرآن الكريم أن يستعار لشيء فيه لفظ هو أصل في صوت الطائر ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في اسم السجع الواقع في كلام آحاد الناس ولأن القرآن من صفات الله عز وجل فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها وإن صح المعنى ثم فرقوا بينهما فقالوا السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحيل المعنى عليه والفاصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها، قال الرماني في كتاب إعجاز القرآن: "وبنى عليه أن الفواصل بلاغة والسجع عيب"^(٢). فالفاصلة في القرآن كلمة تختم بها الآية وغالباً ما تضمنت الواو والنون، أو الياء والنون، ف"فاصلة الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥]، هي كلمة (ساهون) لأنها تفصل بين آيتين"^(٣). قال الرّماني: "الفاصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني"^(٤)، وقال الفيروزآبادي: "وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل، بمنزلة قوافي الشعر، واحدها فاصلة"^(٥)، وكذا قال الزركشي: "الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع"^(٦). وقد ميّز الداني بين الفاصلة ورأس الآية بقوله: "وأما الفاصلة فهي الكلام التام المنفصل مما بعده، والكلام التام قد يكون رأس آية، وكذلك الفواصل يَكُنُّ رؤوس آي وغيرها، فكل رأس آية

(١) المعجم الوسيط: ٢ / ٦٩٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ): ٥٣/١ - ٥٤.

(٣) جماليات المفردة القرآنية: ٣٠٩.

(٤) النكت في إعجاز القرآن: ٩٧.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١٩٤/٤، وينظر: لسان العرب: ١١/٥٢٤، تهذيب اللغة: ١٢/١٣٦.

(٦) البرهان في علوم القرآن: ٥٣/١.

فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعمّ النوعين وتجمّع الضربين"^(١). وتقوم الفاصلة القرآنية "بدور الإحكام، فتربط بالمعنى الكلي الذي يسبقها في الآية ذلك إضافة إلى ترسيمها الموسيقي الواضح، فهذا الإحكام يتّسم بوظيفتين في الشكل والمضمون"^(٢). فحين تتجمّع الكلمات في الجمل، وفي العبارات، "تكتسب جرساً موسيقياً آخر، زيادة على ما كان لها من موسيقى فردية"^(٣). قال سيد قطب: "كما أنّ الألفاظ لا تستطيع أن تعطي دلالتها كاملة إلا في هذا النسق، وتستمد العبارة دلالتها من مفردات الدلالة اللغوية للألفاظ، ومن الدلالة المعنوية الناشئة عن اجتماع الألفاظ، وترتيبها في نسقٍ معيّن، ثم من الإيقاع الموسيقي الناشئ من مجموعة إيقاعات الألفاظ متناغماً بعضها مع بعض ثم من الصور والظلال التي تشعّها الألفاظ متناسقة في العبارة"^(٤). يقول أحمد بدوي: "فإنك لتجد أن الفاصلة القرآنية كالفافية الشعرية، وتزيد الفاصلة على نظيرتها بشحنة المعنى، ووفرة النغم، والسعة في الحركة"^(٥). والفاصلة في القرآن، لها دورها الإيقاعي في نهاية كل آية، "ولكنّ وظيفتها ليست إيقاعية فنية فحسب، وإنما هي مناسبة للمعنى، تزيد في وضوحه وجلالته، وهي ملائمة للسياق، كما أنّها تحكم المعنى في نهاية السياق، وتقويه من خلال إيقاعها الموسيقي الخاص"^(٦). وقال الدكتور أحمد مختار عمر: "وواضح من تشبيه القدماء للفاصلة القرآنية بقافية الشعر أو قرينة السجع، محاولة توجيه النظر إلى الجرس الصوتي، والملاءمة اللفظية أكثر من لفت الانتباه إلى المواءمة الدلالية، والارتباط العضوي بين مضمون الآيات وخواتمها. وليس هذا صحيحاً على الإطلاق حتى إن بعض القدماء قد لاحظ في الفواصل القرآنية تبعيتها للمعاني بخلاف الأسجاع التي تتبع المعاني فيها الألفاظ"^(٧). وقال الدكتور فاضل السامرائي: "لا يراد بالفاصلة القرآنية مراعاة الحروف وإنما يراد المعنى قبل ذلك، ويلتقي الحرف بالمشابهة اللفظية مع المعنى، وأحياناً لا يراعي القرآن الفاصلة بل قد تأتي مغايرة عن غيرها، وهذا دليل على أن المقصود بالدرجة الأولى هو المعنى"^(٨).

(١) البيان في عد آي القرآن، أبي عمرو الداني: ١٢٦.

(٢) جماليات المفردة القرآنية: ٣٠٩.

(٣) الأصول الفنية للأدب، عبد الحميد حسن: ٤٠.

(٤) النقد الأدبي أصوله ومقوماته، سيد قطب: ٤١.

(٥) من بلاغة القرآن: ٨٩.

(٦) وظيفة الصورة الفنية في القرآن: ٣٩٤.

(٧) لغة القرآن دراسة توثيقية فنية، د. أحمد مختار عمر: ١٣٢.

(٨) أسرار البيان في التعبير القرآني: ٥١.

الفرق بين القافية والفاصلة:

إن تقفية الشعر تعني تطابق خواتيم الأبيات من الناحية الصوتية. وقد جعل الالتزام بالقافية جزءاً من عمود الشعر الذي لا يكون الشعر شعراً إلا به، كما أن البيت (والمقصود خيمة الأعرابي) لا يقوم إلا على عمود أو عماد يعتمد بناؤه عليه. "وفي القرآن من الفواصل ما يتشابه جرسه في الأذن ولا يتطابق بالضرورة في الحرف. فحين سمع المشركون هذه الفواصل ولحوا تشابه أجراسها غرّتهم عن ملكاتهم وأذواقهم فربطوا بينها بالباطل وبين تقفية الشعر ثم ادعوا لأدنى ملابسة أن القرآن قول شاعر، ومن هنا جاء الرد القرآني عليهم ليقول لهم: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا نُؤْمِنُونَ ۗ ﴾ [الحاقة: ٤١]، إن من يتأمل الفاصلة القرآنية ليرى الفارق عظيماً بينها وبين قوافي الشعر"^(١).

ويمكن تلخيص الفوارق بين القافية الشعرية والفاصلة القرآنية على النحو التالي:

١ - تتطلب القافية التطابق التام بين عدد من الحروف في آخر كل بيت من القصيدة، أما

الفاصلة فلا تلتزم شيئاً من ذلك وتنتهي بكلمات لا تقفية بينها، إذ تراها تجري في عدد من آيات السورة على نمط ولكنها سرعان ما تتحول عنه إلى نمط آخر. وفي خلال جريها على نمط واحد قد يكون ما يقدم عليه النمط مقصوداً على حرف مد فقط كما في قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ ۗ ﴾ [البقرة: ٧]، فلا تصلح إحدى الفاصلتين أن تقفو الأخرى في شعر. وقد يقوم النمط على صفة

من صفات حرف في الفاصلة كصفة الضيق مثلاً (والمقصود ضيق الفم بتقريب جزء من جسم اللسان من الحنك الأعلى أثناء النطق)، وهي الصفة التي يشترك فيها الواو والياء،

كما في قوله تعالى بعد الآيتين السابقتين: ﴿ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامِنُونَ وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا

أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۗ ﴾ [البقرة: ٩]، فهل يصلح للتقفية أن تقوم على توالي ثلاث

كلمات مثل التي انتهت بها الآيات الثلاث (عظيم - مؤمنين - يشعرون).

٢ - في كثير من سور القرآن لا يلتزم شيء بعد الحرف الضيق (الواو أو الياء) كما في سورة

الحج، فإذا قرأت هذه السورة مثلاً وجدت فواصل الآيات لا تحمل شبهاً أي شبه

بالتقفية لأن فواصل الآيات تجري على النحو التالي:

^(١) ينظر: البيان في روائع القرآن: ١/١٩٢، خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٣٤.

عظيم - شديد - مريد - السعير - بهيج - قدير - القبور - منير - الحريق - للعبيد - ... ثم يترك الحرف الضيق إلى الألف فيأتي لفظ (ما يشاء) ثم تعود الفاصلة إلى الحرف الضيق مرة أخرى فتقرأ: الحميم - الجلود - مستقيم - تعملون - تختلفون - الخ. ويسود هذا التباين بين الفواصل في سور كثيرة من القرآن: آل عمران - هود - مريم - النور - لقمان - فاطر - الصافات - ص - الزمر - فصلت - الذاريات - الواقعة - ... وغيرها.

ولسنا نجد شيئاً مما التزمته الفواصل القرآنية يصلح أن يكون قافية. ويتضح لنا أن الفواصل القرآنية لا تعتمد على التقفية ولا تلتزمها لأن نهاية الفاصلة قد جاءت على حروف مختلفة. فالواو والميم في الشعر لا تقفو الياء والنون وكذلك لا يكفي للقافية أن تعتمد على المد الضيق دون النظر إلى ما بعده من بيت الشعر، فكلمة (أمين) مثلاً لا تقفو كلمة (ادريس) ولو كانت الياء قبل الآخر في كل منهما، ولا يمكن قبول إحدى هاتين الكلمتين لتقفو كلمة مثل: (نوح) على الرغم من ضيق المد في هذه وتلك. وكذلك لا يكفي القافية أن يكون الحرف الأخير ألفاً مطلقاً إذا اختلفت حركات ما قبلها وسكناته فلا يعد من التقفية أن تتوالى كلمات مثل: عجا - همسا - تسليما - كثيرا - أصيلا - عزيزا - كما في سورة الأحزاب.

ومغزى كل ذلك أن "مطالب الفاصلة تختلف اختلافاً تاماً عن شروط القافية. ومع ذلك تأتي الفاصلة في نهاية الآية لتحقيق للنص جانباً جمالياً لا يخطئه الذوق السليم، لأننا مهما يكن من شيء نحس أنها تضيف على النص قيمة صوتية منتظمة ينقسم سياق النص بها إلى وحدات أدائية تعد معالم للوقف والابتداء، وتتضافر مع الإيقاع فينشأ من تضافرهما أثر جمالي لا يبعد كثيراً عما نحسه من وزن الشعر وقافيته، ولكن هذا الأثر يمتاز عن ذلك بالحرية من كل قيد مما تفرضه الصنعة على الوزن والقافية"^(١). ولأمر ما كان "الوقف على رؤوس الآي سنة"^(٢)، إلا أن يفسد به المعنى، ذلك أن الوصول بالقراءة إلى فاصلة الآية يتفق في الأغلب الأعم مع طاقة النَّفَس الواحد لدى القارئ، فيقف القارئ عند الفاصلة، ليتزود بزاد نَفَسٍ جديدٍ وليُحِسَّ عند الفاصلة بأنه يقف لدى مَعْلَمٍ من

(١) البيان في روائع القرآن: ١/١٩٢-١٩٣، مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٦٧-٢٦٨.

(٢) الإتيان في علوم القرآن: ١/٢٩٨.

معالم السياق المتصل تُحْفُّ به من الجانبين روائع المعنى وروائق الإيقاع.

٣- الفواصل القرآنية مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، وأثر من آثار نظمه ووصفه. وأبرز ما يكون هذا التجلي في ذلك التناسق والتناغم الصوتي المذهل، وفي ذلك الإيقاع اللغوي الأسر، الذي بَرَّ كل أساليب أساطين البيان، وجعلهم حيارى لا مرام لهم ولا مطمع في أن يقاربوا أو يدانوا ببيان القرآن الكريم ونظمه ولغته. ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن الفواصل القرآنية المتوازنة والمتوازنة والمطرقة استخدمت كثيراً في السور المكية. ولعلَّ مرَدِّ ذلك أن الخطاب في هذه المرحلة المبكرة إنما كان لأهل مَكَّة أهل الفصاحة واللسن، ولذا كانت هذه الفواصل البديعة إمتاعاً للشعور والعاطفة، وخطاباً للعقل، وإثراء وتفناً فيما لم يألفه العرب في خطابهم. ومن هنا " تميّزت الفاصلة القرآنية من قافية الشعر. فقافية الشعر كان يؤتى بها غالباً محسناً لفظياً لإتمام الكلام، حتى وإن أقحمت إقحاماً، وخرجت عن سياق الكلام، وكثيراً ما يضطر الشاعر إلى ذلك. أما الفاصلة القرآنية فهي مرتبطة بسياق الكلام ارتباطاً محكماً، بل هي مفصحة عن معان زائدة مرادة، يفتقر السياق إليها ويتطلبها. ومن ثمّ لم تكن حلية لفظية فحسب، كما هو الحال في الشعر في كثير من الأحيان"^(١).

حالات مراعاة الفاصلة في القرآن الكريم:

١. التقديم والتأخير في الفواصل:

الفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة مهمة تراعى في كثير من آيات القرآن، " وربما أدت رعايتها إلى تقديم عنصر أو تأخيره من عناصر الجملة، ويتكلم البلاغيون في أغراض التقديم والتأخير فيوردون من أسباب ذلك أموراً تدور حول رعاية المعنى، ربما جعلوا الاهتمام بمدلول اللفظ عنواناً يندرج تحته الكثير من هذه الأمور، وهذا أمر لا اعتراض عليه. ولكننا لا نعلم واحداً منهم جعل من أغراض التقديم والتأخير الانتفاع بجرس اللفظ، وربما تركوا ذلك لاهتمامات الشعراء أنفسهم عند اختيارهم للقوافي. لكننا ربما لمخنا في القرآن تقديماً وتأخيراً لرعاية مطالب الفاصلة، فيحدث من اختلاف الرتبة بين الكلمات في السياق ما يجعل الكلمة الأخيرة في الآية منسجمة مع الفواصل المحيطة بها"^(٢)، وعادة ما

^(١) معجم علوم القرآن: ٢٠٩-٢١٠.

^(٢) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٣٩، البيان في روائع القرآن: ٢٧١.

يكون التقديم والتأخير بـ"تقديم المعمول وتأخير العامل ليكون فاصلة تحمل صورة التوافق الصوتي مع الفواصل السابقة واللاحقة"^(١)، والتقديم والتأخير على أنواع، هي:

أ- تقديم الجار والمجرور على متعلقه:

١- كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَزَقْنَهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، والتقدير: وينفقون مما رزقناهم^(٢)، قال الألويسي: "وإنما قدّم سبحانه وتعالى المعمول اعتناءً بما حوّل الله تعالى العبد أو لأنّه مقدّم على الإنفاق في الخارج، ولتناسب الفواصل"^(٣).

٢- وقوله تعالى: ﴿وَيَا آخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]، قال الزّخشي: "وفي تقديم (بالآخرة) وبناء (يوقنون) على: (هم) تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته، وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان، وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك"^(٤). ولا ريب أن الإيقاع قد تحقق كذلك بهذا التقديم والتأخير في الفاصلة.

ب- تقديم المفعول على الفعل:

- تقديم المفعول على الفعل، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٧]، قال الزّخشي: "إنّما أن يكون كلاماً منقطعاً عن الصلّة، بمعنى: وما ظلّموا إلاّ أنفسهم بالكذب، وتقديم المفعول به للاختصاص كأنّه قيلَ وَخَصُّوا أَنْفُسَهُمْ بِالظُّلْمِ لم يتعدّها إلى غيرها"^(٥). وقال الألويسي: "وصرح الطيبي والقطب وغيرهما أنّ الجملة على تقدير الانقطاع تذييل وتأكيد للجملة التي قبلها، ويُشعرُ كلام بعضهم أنّ تقديم المفعول على الوجه الأول لرعاية الفاصلة"^(٦). وقدّرهما الدكتور تمام حستان بأن: "الرّتبة الأصليّة: وكانوا يظلمون أنفسهم، ولكن جاءت الرتبة مشوّشة في الآية رعاية للفاصلة"^(٧). بل أنّ

(١) فواصل الآيات القرآنية: ١٧٢.

(٢) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٣٨.

(٣) روح المعاني: ١/١٢١.

(٤) الكشاف: ١/٤٢.

(٥) المصدر نفسه: ١٧٩/٢، وينظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرّازي (ت ٦٠٦هـ): ٤٠٦/١٥، البحر المحيط: ٥/٢٢٧.

(٦) روح المعاني: ٥/١٠٨.

(٧) ينظر: البيان في روائع القرآن: ١/١٩٩.

ذلك ل يبدو أوضح ما يكون إذا نظرنا إلى قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]، ووضعنا إزاءه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦، ١٥٥]، فإننا نجد أن هذين الشاهدين من القرآن اشتملا على ألفاظ بعينها اختلفت رتبتهما في أحدهما عن الآخر، رعاية للفاصلة^(١). ف(قليلًا) مفعول به منصوب بـ(يؤمنون)^(٢)، وقد تقدّم عليه.

ج- التقديم والتأخير في رتبة الأحداث التاريخية:

- وقد يتجاوز التقديم والتأخير رتبة الألفاظ إلى رتبة الأحداث التاريخية، فيتم تشويش تتابع الأحداث بتقديم ما تأخر في الزمن وقد يحدث عكس ذلك وكلاهما لمناسبة الفاصلة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَعِيسَى وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاذَيْنَا دَاوُدَ ذُبُورًا ﴿١١٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١٦٣، ١٦٤]، نرى تقدم عيسى في الآية على هارون وتقدم سليمان على داود صاحب الذبور وتقدمهما معاً على موسى الذي كلمة الله تكلماً رعاية للفاصلة^(٣).

٢. إثار بصيغة المضارع على الماضي:

- نجد قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، عند التفصيل المشتمل على شيء من الطباق بدلاً من (ففریقاً كذبتم وفریقاً قتلتم)^(٤)، والذي فيه إثار بصيغة المضارع على الماضي، "والفواصل في المواضع المذكورة نونية، ولذا جاء فعل التكذيب بصيغة الماضي لأنه ليس فاصلة، أما فعل القتل فقد جاء بصيغة المضارع المرفوع بثبوت النون لأنه فاصلة، محافظة على إيقاع الفواصل"^(٥)، وقال الدكتور أحمد مختار عمر: "فيه عدول عن صيغة الماضي إلى الاستقبال، مراعاة

(١) المصدر نفسه.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/١٧٧.

(٣) البيان في روائع القرآن: ١٩٩.

(٤) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٧١.

(٥) فواصل الآيات القرآنية: ١٢٥.

للفاصلة" (١).

٣. إثار الجملة الاسمية على الجملة الفعلية:

- كقوله تعالى: ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [النمل: ٢٧]، حيث "جاء بالجملة الاسمية ﴿ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ بدلاً من الجملة الفعلية (أَمْ كَذَبْتَ)" (٢)، قال الرَّحْمَنِيُّ: "وأراد: أصدقت أم كذبت، إلا أنّ ﴿ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ أبلغ" (٣)، وقال البيضاوي: "أي: (أَمْ كَذَبْتَ) والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل" (٤). وقال الزَّحِيلِيُّ: "والتغيير من الجملة الفعلية إلى الاسمية للمبالغة، فالجملة الاسمية أبلغ من: (أَمْ كَذَبْتَ فيه) ولمراعاة الفواصل" (٥). كل ذلك يشهد على أن الفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة معيّنة في القرآن، وهذه الوظيفة الجمالية تستحق الرعاية ولو تعارضت رعايتها مع بعض أنماط التراكيب النحوية.

٤. مجيء ألف الابدال في كلمات مقترنة بأداة التعريف (أل):

- المعروف أنّ القرآن يتسع للنحو ولا يتسع له النحو، لأن النحو مجاله ما اطّرد من الاستعمال اللغوي وأما القرآن فيهيمن على اللغة كلها ما اطّرد منها وما لم يطّرد. هذا من جانب وهو من جانب آخر سنة متبعة لأنه مروى عن النبي ﷺ الذي تلقاه عن جبريل عليه السلام، وقد رواه الصحابة والتابعون ومن تبعهم بالتواتر، فما كان من القرآن فوق قواعد النحو فهو بلسان عربي مبين، وإن تحدى القاعدة التي وضعها النحاة، وقد يكون هذا التحدي في غير الفاصلة، وقد يكون في الفاصلة ذاتها. ولكن من ذا الذي لا ينزه القرآن عن قيود النحاة؛ وهو يعلم أن اللغة العربية أوسع من صنيع النحاة، بدليل أنهم هم أنفسهم اعترفوا بطرق استعمال فصيحة خارج قواعدهم سموها القليل أو النادر أو الشاذ واشتمل منهجهم على قاعدة تقول: (الشذوذ لا ينافي الفصاحة). "فمن المقرر في القواعد أن الألف تنوب عن التنوين الذي بعد الفتحة عند الوقف، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٤٦، ١٥٥]، ولأن التنوين الذي نابت عنه الألف لا يجتمع مع أداة التعريف (أل)،

(١) دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته: ٧٦.

(٢) البيان في روائع القرآن: ١٩٩، مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٧٢.

(٣) الكشف: ٣/٣٦٣.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبدالله بن محمد البيضاوي: ١٥٩/٤، وينظر: التفسير المظهر: ١١٢/٧.

(٥) التفسير المنير، الزحيلي: ٢٨٢/١٩.

خَلَّتِ النصوص العربية من الجمع بينهما حتى في قوافي الشعر، لأنَّ الألفَ التي تجامع (أل) في قوافي الشعر أَلِفٌ إطلاق وليست أَلِفٌ إبدال أو تعويض، ومع ذلك تأتي أَلِفٌ الإبدال في القرآن في كلمات اقتترنت بأداة التعريف، وكانت الألف في هذه الحالة لرعاية الفاصلة، كما في:

١ - قوله تعالى: ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۗ ﴾ [الأحزاب: ١٠]

٢ - وقوله تعالى: ﴿ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ۗ ﴾ [الأحزاب: ٦٦]

٣ - وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ۗ ﴾ [الأحزاب: ٦٧]

قال الطَّبْرِيُّ (ت ٣١٠هـ): "إن هذه الأحرف، حُسُنٌ فيها إثبات الألفات، لأنَّهِنَّ رؤوس الآي تمثيلاً لها بالقوافي. وقرأ ذلك بعض قرّاء البصرة والكوفة بحذف الألف من جميعه في الوقف والوصل، اعتلالاً بأنَّ ذلك غير موجود في كلام العرب إلّا في قوافي الشعر دون غيرها من كلامهم، وأنَّها إنّما تفعل ذلك في القوافي طلباً لإتمام وزن الشعر، إذ لو لم تفعل ذلك فيها لم يصحَّ الشعر، وليس ذلك كذلك في القرآن، لأنه لا شيء يضطرهم إلى ذلك في القرآن"^(١)، قال الزجاج: "والذي عليه حُذَّاقُ النحويين والمتَّبِعُونَ السُّنَّةَ من حُذَّاقِهِمْ أن يقرؤوا ﴿ الظُّنُونَا ۗ ﴾، ويقفون على الألف ولا يصلون، وإنَّما فعلوا ذلك لأنَّ أواخر الآيات عندهم فواصل، ويثبتون في آخرها في الوقف ما قد يحذف مثله في الوصل. وهؤلاء يتبعون المصحف ويكرهون أن يصلوا ويثبتوا الألف، لأن الآخر لم يقفوا عليه فيجروه مجرى الفواصل"^(٢). قال أبو شامة: "وإثبات الألف في تلك المواضع؛ لتشاكل الفواصل وهو مطلوب مُراعَى في أكثر القرآن"^(٣)، وقال الدكتور أحمد مختار عمر في هذه الآيات الثلاث: "مراعاة القرآن للفواصل أدّى إلى جملة تغييرات خرجت ببعض التراكيب عن النمط العادي، من ذلك زيادة حرف لأجلها، لأن معظم الآيات ينتهي بألفات منقلبة عن تنوين وقفاً، فزيد على النون أَلِفٌ لمناسبة نهايات الفواصل"^(٤)، وقال الدكتور فاضل السامرائي: "مدّ فتحة السبيل لتنسجم الفاصلة مع فواصل الآي المتقدمة والمتأخرة"^(٥).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: ٢٠/٢٢١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٢١٨.

(٣) إبراز المعاني من حرز الأمان: ٦٤٥.

(٤) دراسات لغوية في القرآن الكريم وقرآءاته: ٧٤-٧٥.

(٥) التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: ٢١٧.

٥. تعدد الفواصل مع اتحاد المعنى:

هناك آيات متتابعة تعددت الفاصلة فيها ومعناها مع التعدد واحد أو شبه واحد، وذلك لغرض من التعدد لولاه لأجزاء عن جميع ذلك فاصلة واحدة. مثال ذلك أن المؤمنين لا يؤمنون إلا وقد أيقنوا بما آمنوا به، ولا بد أن يكون ذلك عن تدبر ودلالة عقلية ومن ثم فهم يعقلون. ومعنى ذلك أن (المؤمنين) و(يوقنون) و(يعقلون) و(يؤمنون)، وهذه الفواصل الأربعة تتوالى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ وَأَخْلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [الجن: ٣-٦]، فهذه الآيات أو الدلائل ساقها الله لمن كان له عقل يوصله إلى اليقين والإيمان وإذا لم يهتد بها الناس فبأي حديث بعد ذلك يؤمنون، ومغزى كل ذلك أن التعدد في الفواصل إنما جاء لسلب الإيمان واليقين والعقل عن الكفار مع كثرة البراهين والآيات المحسوسة ذات الدلالات الواضحة بل على الرغم من هذه البراهين والآيات^(١)، وقال محمود صافي في قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِیَّةِ یَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ یُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة: ٥١]، "هو فن الإيغال وهو فن طريف، وفحواه أن يستكمل المتكلم كلامه قبل أن يأتي بمقطعه، فإذا أراد الإتيان بذلك أتى بما يفيد معنى زائداً على معنى ذلك الكلام. وهو ضربان: إيغال تخيير وإيغال احتياط. وهو في هذه الآية إيغال تخيير، فإنَّ المعنى قد تم بقوله: (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا)، ولما احتاج الكلام إلى فاصلة تناسب ما قبلها وما بعدها، أتت تفيد معنى زائداً، لولاهما لم يحصل، وذلك أنه لا يعلم أن حكم الله أحسن من كل حكم إلا من أيقن أنه واحد حكيم عادل، ولذلك عدل عن قوله (يعلمون) إلى قوله (يوقنون)"^(٢). وبهذا اللفظ المختار لإتمام الفاصلة يكون قد تحقق الأمران: المعنى، وهو الأصل، ثم تتبعه الفاصلة، وهي فرع عن تمام المعنى. وهذه هي قاعدة علاقة المعنى بالفاصلة في القرآن الكريم، فلا تأتي الفاصلة بعيدة عن المعنى، أو تأتي فيما لا حاجة له بها، وهذا من بلاغة القرآن التي امتاز بها عن سائر الكلام.

(١) ينظر: البيان في روائع القرآن: ٢٠١/١، مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٧٣.

(٢) الجدول في إعراب القرآن: ٣٧٧/٦، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ٩٦/١، تحرير التخبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع العدواني: ٥٢٨، خزنة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي: ١٧٥/١، ٢٨/٢، إعراب القرآن وبيانه: ٤٩٩/٢.

٦. مجيء الفاصلة قبل تمام المعنى:

إن بعض الفواصل القرآنية يأتي قبل أن تستكمل الجملة عناصرها النحوية، "استصحاباً للطابع النغمي، وحفاظاً عليه أن يتخافت بسبب طول الجملة، وليكون أداء الفاصلة غرضها أبلغ وأتم"^(١)، لننظر على سبيل الشاهد قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ٢-٥]، فالفاصلة دون تمام المعنى، وقد تحقق لها جرس ما يحيط بها من الفواصل، فالذين يؤمنون بالغيب صفة للمتقين، "ومعنى ذلك أن المعنى لم يتم عند الفاصلة الأولى، لأن الصفة تخصص الموصوف، وهو بدونها عام يحتاج إلى هذا التخصيص، فإن قلت: إنَّ (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) مبتدأ خبره (أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ) قلت: إنَّ الفاصلة في الآيتين الثالثة والرابعة جاءت قبل تمام المعنى، لأنهما جاءتا قبل استكمال الخبر، فالآيات شاهد على هذه الظاهرة كيفما كان الإعراب. ومعنى هذا أن الصلة غير مطردة بين الفاصلة وتمام المعنى"^(٢). ومعنى هذا الذي تقدم أن الفاصلة القرآنية لا تدل بالضرورة على تمام المعنى، ومن ثم تصبح وظيفتها في القرآن غير نحوية ولا دلالية. "وأغلب الظن أن الغرض منها جمالي صرف وإن توافقت أحياناً مع تمام المعنى، فالفاصلة قيمة صوتية جمالية ترتبط أشد الارتباط بموسيقى النص القرآني، كما ارتبط الايقاع بذلك من قبل"^(٣).

(١) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٧٣.

(٢) البيان في روائع القرآن: ١٩٨/١.

(٣) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٧٣، ٢٧٤.

ثالثاً: المناسبة:

يقصد بالمناسبة الصوتية "أن يكون الصوتان المتجاوران، أو اللذان يفصل بينهما حاجز غير حصين، أن يكونا على صورة لا يرد فيها تنافر أحدهما مع الآخر، لا في الأداء ولا في السمع، وتخضع بعض صور المناسبة الصوتية في اللغة العربية للتقعيد، ويظل بعضها الآخر للاختيار الأسلوبي الفردي الفني"^(١).

- المناسبة بحسب القاعدة:

ومما يخضع للقاعدة^(٢):

- ١- تفخيم لام لفظ الجلالة وترقيقه بحسب الصوت الذي يسبقه.
- ٢- تحريك ضمير الغيبة بحسب ما يسبقه.
- ٣- كسرة المناسبة قبل ياء المتكلم عند الاضافة وياء المخاطبة في الفعل المضارع والأمر.
- ٤- بناء الماضي والمضارع على الضم لمناسبة واو الجماعة.
- ٥- تحريك آخر كل فعل بالفتحة إذا أسند إلى الألف.
- ٦- الفتحة الدالة على الألف المحذوفة في نحو: يسعون ويرضون.
- ٧- الجر بالكسرة لما دخل عليه حرف الجر الزائد.
- ٨- اتباع العين للفاء في جمع المؤنث السالم من الثلاثي نحو: سجدات.

أما المناسبة بحسب القاعدة، فلا فضل في رعايتها لأسلوب على آخر، بل إن شجاعة الصياغة، قد تتمثل في عدم رعايتها، كما في:

- قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ ٱللَّهُ فَمِيسُورِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ١٠]، إذ جاءت الهاء من (عليه) مضمومة على الرغم من الياء الساكنة التي قبلها، "لأن الياء عارضة، إذ أصلها الألف، والهاء بعد الألف مضمومة، فنُظِرَ إلى الأصل"^(٣). والأسلوب القرآني في

^(١) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٧٤.

^(٢) ينظر: البيان في روائع القرآن: ٢١٥/١، اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٧٣-٢٧٤.

^(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٥٢٣/٧.

عموم أحواله يراعي أن ينسجم مع هذه القواعد التي تحكم هذا النوع من المناسبة^(١).

- المناسبة الفنيّة التي لا تحكمها القاعدة:

لعلّ أشهر مظهر قرآني للمناسبة الفنيّة التي لا تحكمها القاعدة، هي الفاصلة القرآنية، لأن طبيعة الفاصلة أنّها آيتان بخواتم الآيات طبقاً لاختيار أسلوب مقصود، بحيث يكون ثمة مناسبة صوتية بين رأسي الآيتين، وأكبر دليل على أنّ ذلك أمر اختياري أنك قلّما تجد واحدة من طوال السور في القرآن الكريم تلتزم فيها فاصلة من جرس واحد، وإذا لم يلتزم فيها ذلك، فلا مشاحة في أن الأمر يحكمه الاختيار، دون القاعدة.

- ومن المناسبة الصوتية أنّ "الثلاثي الساكن العين إذا كان اسماً غير صفة وجمع بالألف والتاء حركت عينه بمثل حركة الفاء سواء أكان تأنيثه حال الإفراد بالتاء، كسجّادات وخدمات وقبّلات، أم كان بغير التاء كدعّادات وهنّات وجملّات في (دعد وهند وجمل)، ولئن جاز في مكسور الفاء ومضمومها تسكين العين، لم يجز في مفتوح الفاء إلا اتباع حركة العين حركة الفاء للمناسبة"^(٢)، ولكن هذه المناسبة تحكمها القاعدة فهي تركيبية وليست أسلوبية. فإذا لم تكن العين ساكنة كما في قوله تعالى: ﴿فِي أَيَّامٍ مَّحْسَاتٍ﴾ [فصلت: ١٦]، قال ابن جني: "زعم الفارسي أنه يكون من باب عدول وأنه يكون مخففاً من فعلات"^(٣)، وقوله تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ الرَّجِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمُثَلَّتُ﴾ [الرعد: ٦]، لزمت العين حركتها وامتنع الاتباع، وإذا لم تكن العين مفردة، بل كانت مشددة كما في (عمّات)، فلا مجال للاتباع. قال الراغب: "والمُثَلَّةُ: نعمة تنزل بالإنسان فيجعل مثالا يرتدع به غيره، وذلك كالتكال، وجمعه مُثَلَّاتٌ ومُثَلَّاتٌ"^(٤)، وإذا كانت العين ساكنة واواً أو ياءاً، كما في: ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾ [النور: ٥٨]، ﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، بقيت عين الكلمة على سكونها، قال الزجاج: "والإسكان أكثر لثقل الحركة والواو، تقول طلحة وطلّحات، وجمرة

(١) ينظر: البيان في روائع القرآن: ٢١٦/١.

(٢) البيان في روائع القرآن: ٢١٨/١.

(٣) المخصص: ١٥٥ / ٥.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٧٦٠.

وجَمَرَاتٌ"^(١)، وقال الشوكاني: "وقرأ الأعمش (عورات) بفتح الواو، وهي لغة هذيل وتميم فإنهم يفتحون عين فعلات سواء كان واوا أو ياء"^(٢). أما فيما عدا ذلك فإننا نجد الأسلوب القرآني يميل إلى الربط بين الفتحة وحرف الحلق في أول الكلمة، كما في: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وفي غير هذه الحروف تسود الضمة، كما في: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾ [النور: ٤٠]، وقال ابن الأنباري: "جاز في جمع "فُعلة" بضم الفاء وسكون العين، ضَمَّ العين، وفتحها، وسكونها؛ نحو: (ظُلْمَةٌ: وظُلُمَاتٌ، وظُلُمَاتٌ، وظُلُمَاتٌ)، أما الضمُّ فلإتباع"^(٣)؛ وقال الدكتور تمام حسَّان: "يبدو أن فعلات بكسر فاء الكلمة لم ترد في القرآن"^(٤).

وقد تدعو المناسبة إلى وصف اللفظ بصفة من مادة اشتقاقه:

- كما في قوله تعالى: ﴿وَالْقَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ [آل عمران: ١٤]، جاء في الظلال: "القناطر المنقطرة، الأموال المكدسة"^(٥)، وقال الصابوني في صفوة التفاسير: "أي الأموال الكثيرة المكدسة"^(٦). وقال الدكتور تمام حسَّان: "إذ عُذِل بالاختيار الأسلوبي عن لفظ (المكدسة) إلى لفظ (المنقطرة) سعياً إلى إيجاد المناسبة بين الموصوف وصفته، وإلى تحميل العبارة دلالة إضافية على معنى التراكم"^(٧).

وقد تدعو المناسبة أحياناً إلى استعمال لفظين متشابهي الجرس (بالإتباع) لإعطاء العبارة معنى غير ما تعطيه ألفاظها بواسطة معانيها العرفية:

- كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، لإفادة الشمول أيضاً،

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥٢/٤.

(٢) فتح القدير للشوكاني: ٦٠/٤.

(٣) أسرار العربية: ٢٤٩.

(٤) البيان في روائع القرآن: ٢١٨/١.

(٥) في ظلال القرآن: ٣٧٣/١.

(٦) صفوة التفاسير: ١٧١/١، وينظر: المعجم الوسيط: ٧٦٢/٢.

(٧) البيان في روائع القرآن: ٢١٩/١.

أي في كل الأحوال. وقال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): "وفي جميع الأحوال"^(١)، وقال البيضاوي: "الأحوال كلها"^(٢)، وفسره أبو حيان بأنه: "يحتمل أن يعني بهما جميع الأحوال"^(٣)، وجاء في روح البيان: "وفي الأحوال كلها"^(٤).

- وقوله تعالى: ﴿ فَكُلُّوْهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ [النساء: ٤]، قال الدكتور تمام حسّان: "التأكيد المعنى أي هنيئاً حقاً"^(٥). وقال محمد عبداللطيف بن الخطيب: "حلالاً لا شبهة فيه؛ لأن كل حق تنازل عنه صاحبه - عن طيب نفس - فهو حلال طيب للمُتَنَزِّلِ إليه"^(٦). وقال الطاهر ابن عاشور: "أي حلالاً مباحاً، أو حلالاً لا غرم فيه"^(٧).

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير: ١٠٣/٢.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٨/٢.

(٣) البحر المحيط: ٣٨/٢.

(٤) روح البيان: ٩٤/٢.

(٥) البيان في روائع القرآن: ٢١٩/١.

(٦) أوضح التفاسير: ٩١/١.

(٧) التحرير والتنوير: ٢٣٢/٤.

المبحث الثاني: خصائص صرفية

- الإدغام
- الإبدال
- الإبدال في صيغة الافتعال
- إبدال تاء الافتعال الى طاء
- إبدال تاء الافتعال الى دال
- الترخّص القرآني في صيغة الافتعال
- الإبدال في صيغتي التفاعل والتفعّل
- بنية الكلمة، طرق الترخص في قرينة البنية
- تغيير هيكل بنية الكلمة
- حذف بعض حروف الكلمة
- إبدال حرف مكان حرف
- زيادة حرف على بنية الكلمة
- إيجاد صورة للبنية غريبة على الشائع من الاستعمال
- اتفاق بنية اللفظين
- أمن اللبس في بنية الكلمة
- العدول عن الأصل
- طلب الخفة

المبحث الثاني: خصائص صرفية:

الإدغام:

الإدغام في اللغة: إدخال حرف في حرف. يقال: أدغمت الحرف، وأدغمته على أفعلته^(١). وفي الاصطلاح: "هو اللفظ بساكن فمتحرك، بلا فصل، من مخرج واحد، وهو المماثلة الكاملة كما يسميها المحدثون، أي تحويل صوتين متتاليين في مقطعين إلى صوت طويل واحد"^(٢)، ويحدث الإدغام "إذا توالى صوتان متماثلان أولهما ساكن والثاني متحرك"^(٣). والإدغام هو "النطق بالحرفين حرفاً واحداً مشدداً، وسببه؛ التقارب أو التماثل أو التجانس الحاصل بين حروفه الستة: (يرملون) والنون الساكنة والتنوين. ومثاله: قوله تعالى: ﴿مَنْ رَيْبِهِمْ﴾ [البقرة: ٥]، تنطق (مَرِيْبِهِمْ)"^(٤).

ويعرّف المبرّد الإدغام بقوله: "اعلم أنّ الحرفين إذا كان لفظهما واحداً فسُكِّنَ الأوّل منهما فهو مُدْغَمٌ في الثاني. وتأويل قولنا (مدغم) أنه لا حركة تفصل بينهما، وإنما تعتمد لهما باللسان اعتماداً واحداً، لأن المخرج واحد، ولا فصل. وذلك قولك: قطع، وكسر"^(٥). ويُعرّفه ابن الأنباري: "أن تصل حرفاً بحرفٍ مثله من غير أن تفصل بينهما بحركة، أو وقف، فينبو اللسان عنهما نبوةً واحدة"^(٦). ومعنى ذلك أنّ "الهدف من الإدغام هو اختصار الجهد العضلي وتجنّب العمليات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها، وكذلك تجنّب النطق بحرف واحد مرتين، وهذا فيه ثقل على اللسان، فلجأت العربية إلى الإدغام من أجل الخفة التي هي جزء من الانسجام الصوتي"^(٧). وفائدة الإدغام كما يرى ابن جني هو: "طلب الخفة أو تقريب الصوت من الصوت"^(٨). أي "التخفيف والتسهيل في النطق لثقل الإظهار عند هذه الأحرف"^(٩). وقال الدكتور تمام حسان: "الأصل في الإدغام أن يجعل الأوّل من

(١) ينظر: لسان العرب: ٢٠٣/١٢.

(٢) معجم علم اللغة النظري، علي الخولي: ١٤٥.

(٣) دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر: ٣٨٧.

(٤) المعجم التجويدي لأشهر ألفاظ التجويد، د. عمر خليفة الشايجي: ٢٩.

(٥) المقتضب: ١٩٧/١.

(٦) أسرار العربية: ٢٨٦/١.

(٧) أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، د. فدوى محمد حسان: ٢١٠.

(٨) الخصائص: ١٤٠/٢، النشر في القراءات العشر: ٢٧٥/١.

(٩) المعجم التجويدي: ٣٠.

جنس الآخر"^(١)، ولإدغام ثلاث حالات: الوجوب، والجواز، والامتناع، وهذه الحالات تتوقف على شكل المتماثلين من حيث التحرك والسكون، و"يمكن عرضها في ثلاث صور، هي: أولاً: أن يكون المتماثلان متحركين.

ثانياً: أن يكون الأول متحركاً، والثاني ساكناً.

ثالثاً: أن يكون الأول ساكناً، والثاني متحركاً"^(٢).

الإبدال:

الإبدال في اللغة، "وضع حرف محل حرف آخر، في الكلمة الواحدة، وفي الموضع نفسه، وقد يكون الحرفان حرفي علة، نحو: (خاف)، أصلها: (خوف)، ويسمى: إعلالاً، وقد يكونان صحيحين، نحو: (اصطبر)، أصلها: (اصتبر)، ويسمى: إبدالاً، وقد يكونان مختلفين، نحو: (اتَّصَلَ) أصلها: (اوْتَصَلَ)، ولإبدال ركنان: المبدل منه (خوف) والمبدل (خاف)"^(٣). ومما تقدّم نرى أنّ الإبدال أعَمّ، والإعلال أخصّ، فكل إعلال إبدال، وليس كل إبدال إعلالاً.

والإبدال اللغوي هو انتزاع كلمة من كلمة أخرى بتغيير حرف من أحرفهما، نحو: قَضَمَ (أكل اليابس) وخَضَمَ (أكل الرطب)، وله تسميات أخرى هي: الإبدال والإبدال الاشتقائي، الاشتقاق الأكبر، الاشتقاق الكبير، البدل، التعاقب، القلب، المبدول، المحوّل، المضارعة، المعاقبة، النظائر، المقلوب. ويحدد ابن جنيّ فيما يحدث الإبدال بقوله: "حروف البدل من غير إدغام أحد عشر حرفاً؛ منها من حروف الزيادة ثمانية، وهي: الألف، والواو، والياء، والهمزة، والنون، والميم، والتاء، والهاء؛ وثلاثة من غيرها، هي: الطاء، والذال، والجيم"^(٤).

والهدف من الإبدال التخفيف، "وما هو في الواقع إلاّ لهجات وقعت على دلالات متّفقة، ومختلفة من حيث البنية التركيبية، ولو بحرف، من أجل التباين. ولعلّ في مسرد اللغويين لحروف الإبدال، التي جمعوها بقولهم (استنجده يوم طال)، وغيرها، إنما يدلّ على كثرة وقوعه بين لهجات العرب"^(٥).

(١) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٩٠.

(٢) التطبيق الصربي، د. عبدة الراجحي: ٢٠٤.

(٣) المعجم المفصل في علم الصرف، راجي الأسمر: ٩.

(٤) شرح الملوكي في التصريف، لابن يعيش: ٢١٣.

(٥) علم الصرف الصوتي، د. عبدالقادر عبد الجليل: ٤٢٨.

أولاً: الإبدال في صيغة الافتعال:

- إبدال تاء الافتعال إلى طاء:

"تُقلَّب تاء الافتعال إلى طاء"^(١)، إذا سبقها حرف مُطبق (والمطبقات هي: الصاد والضاد والطاء والظاء)، "وذلك؛ لانطباق اللسان عند النطق بما بأعلى الحنك"^(٢)، وذلك على النحو التالي:

- "التاء في (اصطلع) تقلب إلى طاء كما في (اصطلح).

- والتاء في (اضتر) تقلب إلى طاء كما في (اضطر)^(٣).

- التاء في (اطلّع) تقلب إلى طاء كما في (اطلّع).

- والتاء في (اظلم) تقلب إلى طاء كما في (اظلم)^(٤).

وجاء في شرح ابن عقيل: "إذا وقعت تاء الإفتعال بعد حرف من حروف الإطباق وهي: الصاد والضاد والطاء والظاء، وجب إبداله طاءً، كقولك: اضطر واضطجع واططعنوا واطظلموا. والأصل: اصتبر، واضتجع، واطتعنوا، واطظلموا، فأبدل من تاء الافتعال طاءً"^(٥). وذلك على النحو التالي:

- ما فاءه صاد: نحو اضطر، فأصله: اصتبر، حيث قُلِّبَت تاء الافتعال طاءً؛ لأن فاء الكلمة صاد، ولا تدغم؛ لأنَّ الصَّفِيرِي لا يُدغم إلا في مثله، وأجاز بعضهم الإدغام بقلب الثاني إلى الأوَّل؛ فيقال: اصَّبر ليقى الصفير؛ ويمتنع العكس لئلا يذهب الصفير وحروف الصفير هي: الزاي، والسين، والصاد، وكذا يقال: يصطبر - مُصطبر - مُصطبر.... وغير هذا.

- ما فاءه ضاد: نحو اضطر، فأصله: اضترب، حيث قلبت تاء الافتعال طاءً، لأن فاء الكلمة ضاد، وكذا يقال: يضطر مضطر مضطر ولا تدغم؛ لأن الضاد حرف مستطيل، أي: والإدغام في الطاء يفوت الاستطالة، وقد عرفت أنها لا تفوت بقلب الثاني إلى الأوَّل، فيقال: اضرب، ومن طهر: اطهر، وأصله: اطهر أبدلت التاء طاء بعد الظاء، ثم يجب الإدغام، فيقال: اطهر لاجتماع المثليين في كلمة، وأولهما ساكن ومن ظلم: اظلم، ثم لك ثلاثة أوجه: الإظهار، والإدغام مع إبدال

(١) الكتاب لسبويه: ٢٣٩/٤-٢٤٠، شرح الملوكي في التصريف: ٣٩-٤٠، الصرف الكافي، أيمن أمين عبدالغني: ٢٨١-٢٨٢، وينظر: الفائق في غريب الحديث: ٢/٢٤٢.

(٢) ضياء السالك إلى أوضح المسالك: ٤٠١/٤.

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ١١٣/٢.

(٤) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٤٥.

(٥) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٢٤٤/٤، وينظر: ضياء السالك إلى أوضح المسالك: ٤٠١/٤.

الأول من جنس الثاني، ومع عكسه، وقد روي بهن قوله، وهو زهير بن أبي سلمى، يمدح هرم بن سنان المزني: [من البسيط]

هو الجواد الذي يُعْطِيكَ نائِلَةً عفواً ويُظلم أحياناً فيظلم^(١)

"والشاهد: في قوله (فيظلم) وأصله فيظنلم، ثم قلبت تاء الافتعال طاءً فصار: يظلم. ويجوز قلب المعجمة طاء وإدغامها فيصير يظلم. وقد روي هذا البيت بالأوجه الثلاثة باختلاف الروايات"^(٢). ويرى ابن جني: "أن هذا من الإدغام الأصغر وهو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك. وهو ضروب. فمن ذلك الإمالة، وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت. وذلك نحو: عالم وكتاب وسعى وقضى واستقصى، ألا تراك قرّبت فتحة العين من عالم إلى كسرة اللام منه، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأملت الألف نحو الياء، وكذلك سعى وقضى، نحوت بالألف نحو الياء التي انقلبت عنها، وعليه بقية الباب. ومن ذلك أن تقع فاء افتعل صادًا أو ضادًا أو طاءً أو ظاءً، فتقلب لها تاؤه طاءً، وذلك نحو: اضطرب واضطرب واطرد واطظلم. فهذا تقريب من غير إدغام، فأما اطرد فمن ذا الباب أيضًا، ولكن إدغامه ورد ههنا التقاطاً لا قصداً. وذلك أنّ فاءه طاءً، فلمّا أبدلت تاؤه طاءً صادفت الفاء طاءً فوجب الإدغام لما اتفق حينئذ، ولو لم يكن هناك طاء لم يكن إدغام، ألا ترى أنّ اضطرب واضطرب واطظلم لما كان الأول منه غير طاء لم يقع إدغام"^(٣).

وجاء في شرح شافية ابن الحاجب للاسترابادي: "وإبدال الطاء من التاء لازم إذا كان فاء افتعل أحد الحروف المطبقة المستعلية، وهي: (الصَّادُ وَالضَّادُ وَالطَّاءُ وَالظَّاءُ)، وذلك لأن التاء مهموسة لا إطباق فيها، وهذه الحروف مجهورة مطبقة، فاختراروا حرفاً مستعلياً من مخرج التاء، وهو الطاء، فجعلوه مكان التاء، لأنه مناسب للتاء في المخرج والصاد والضاد والطاء في الإطباق"^(٤).

^(١) البيت لزهير بن أبي سلمى في شرح ديوانه: ١٢٩، وسر صناعة الإعراب: ١ / ٢١٩، والكتاب لسيبويه: ٤ / ٤٦٨،

ولسان العرب: ٣٧٧١/١٢ "ظلم"، و مقاييس اللغة، احمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ): ٣ / ٤٦٩.

^(٢) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو: ٧٤٠/٢.

^(٣) ينظر: الخصائص: ١٤٣/٢-١٤٤.

^(٤) شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الأسترابادي: ٢٢٦/٣.

– إبدال تاء الافتعال إلى دال:

و"تقلب تاء الافتعال إلى دال" (١) إذا سبقتها:

– "الدال كما في (ادتان) إذ – تنقلب إلى (ادان).

– أو الذال كما في (اذتكر) إذ تنقلب إلى (ادكر).

– أو الزاي كما في (ازتان) إذ تنقلب إلى (ازدان) (٢).

ومن التقريب قول ابن جني: "أن تقع فاء (افتعل): زايًا أو دالًا أو ذالًا، فتقلب تاؤه لها دالًا؛ كقولهم: ازدان وادعى واذكر واذكر فيما حكاه أبو عمرو. فأما ادعى فحديثه حديث اطرد لا غير في أنه لم تقلب قصدًا للإدغام، لكن قلبت تاء ادعى دالًا كقلبها في ازدان، ثم وافقت فاؤه الدال المبدلة من التاء فلم يكن من الإدغام بُدُّ. وأما اذكر فمنزلة بين ازدان وادعى. وذلك أنه لما قلب التاء دالًا (لوقوع الدال) قبلها صار إلى اذكر... وأجريت الدال لقربها من الدال بالجهر مجرى الدال فأوثر الإدغام لتضام الحرفين في الجهر فأدغم" (٣).

و"تبدل الدال وجوباً من تاء الافتعال الذي فاؤه دال أو ذال أو زاي، تقول في افتعل من دان: ادان أصله: ادتان، قلبت تاء الافتعال دالًا، ثم تدغم لما ذكرنا في اطهر، ومن زجر ازدرج وأصله أيضًا: ازتجر، ومعناه منع، ولا تدغم لما ذكرناه في اصطبر أي: من أن حرف الصفيير لا يدغم إلا في مثله. والإدغام بقلب الدال زايًا نحو ازجر، ضعيف، ومن ذكر: اذكر، ثم تبدل المعجمة مهملة وتدغم، وبعضهم يعكس، وقد قرئ شاذًا: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ [القمر: ١٥] بالمعجمة، من هذا يفهم أنه يجوز في اذكر، الأوجه الثلاثة المذكورة في اظلم فتقول: اذكر بلا إدغام، واذكر بالدال المعجمة وقلب المهملة إليها، واذكر بالدال المهملة وقلب المعجمة إليها. ويُستخلص مما تقدم:

أ– أنه إذا أبدلت تاء الافتعال ذالا بعد الدال، وطاء بعد الطاء، وجب الادغام، لاجتماع مثلين.

ب– وإن أبدلت ذالا بعد الزاي، أو طاء بعد الصاد أو الضاد، جاز الإظهار، والإدغام بقلب الثاني إلى الأول، دون عكسه.

ج– أما إذا أبدلت دالا بعد الدال أو طاء بعد الطاء، فيجوز فيهما ثلاثة أوجه: الإظهار، والإدغام

(١) الخصائص: ٤٩٦/١.

(٢) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٤٥.

(٣) الخصائص: ١٤٣/٢-١٤٤.

بوجهيه" (١).

يقول ابن مالك في تلخيص الإجراءات السابقين:

طَا تَا أَفْتَعَالٍ رُذُّ إِتْرٍ مُطَبِّقٍ فِي إِدَانٍ وَأَزْدَدٌ وَأَدَكِرٌ دَالًا بَقِي (٢)

أما فيما سوى هذين الموقعين (عندما تلي التاء حرفاً ليس مما سبق) فإنَّ التاء تظل مستصحبة فلا تنقلب عن صورتها الأصلية، "وذلك كما في: ائتمر، ابتعد، اجتمع، احتمل، اختصم، ارتضى، اعتنق، اغتفر، افترى، اقترب، اكتمل، التقى، امتحن، انتهى، اهتدى.

ولا يخرج عن ذلك إلا أن تأتي التاء بعد واو ساكنة فتقلب الواو إلى تاء، وتدغم في تاء الافتعال كما في: (او متصل = اتصل)، وكذلك عند توالي تاءين مثل: (ات-تبع=اتبع)، وتوالي التاء والتاء كما في (اث-ت أر=اثأر) أي: أخذ بثأره، وفي تحويل لفظ (اظلم) إلى (اظلم) على سبيل الترخص" (٣).

وقد أشار الدكتور تمام حسّان إلى أن هذه القاعدة هي من القواعد الهامة التي جاء بها سيويه، والتي تقول: أن تاء الافتعال بعد (ث د ذ ز ص ض ط ظ) تدغم فيما قبلها أو تتحول إلى (دال) بعد (د ذ ز) وإلى (طاء) بعد الأربعة المطبقة، وكون هذه التاء تدغم فيما قبلها هو عكس ما تقرره قاعدة أخرى تقول: (الأصل في الإدغام أن يجعل الأول من جنس الآخر) (٤).

– الترخص القرآني في صيغة الافتعال:

قال الدكتور تمام حسّان: "من الترخصات القرآنية في صيغة الافتعال بعض الشواهد التي تتحول فيها التاء إلى حرف مقارب للحرف الذي يليها ثم تدغم فيه" (٥). والتاء في ذلك لا تخضع لقاعدة خاصة بها وإنما "تلحق بقاعدة حروف العلة التي تأتي متحركة ومسبوقة بساكن صحيح، تقول القاعدة: تنقل حركة المعتل إلى الساكن الصحيح قبله" (٦)، وليست التاء من حروف العلة ولكننا "نجد النص القرآني يعاملها كما لو كانت كذلك في الاتساع" (٧)، والقاعدة الأصولية التي يتّم بها هذا التحوّل تقول:

(١) ضياء السالك إلى أوضح المسالك: ٤٠٢/٤-٤٠٣.

(٢) ألفية ابن مالك: ٧٩، وينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٢٤٣/٤.

(٣) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٤٦.

(٤) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٩٠.

(٥) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٤٦.

(٦) شذا العرف في فن الصرف: ١٣٦.

(٧) الفكر اللغوي الجديد: ١٧٨.

"الحرف الساكن حاجز غير حصين"^(١)، ومن ثم يسمح بنقل الحركة من تاليه إليه.
وفيما يلي بعض الشواهد على هذا الإجراء:

- قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ﴾ [يونس: ٣٥].

علة العدول عن (يَهْتَدِي) إلى (يَهْدِي) كما رآها الدكتور تمام حسّان هي كالاتي:

- وقعت التاء من (يَهْتَدِي) في موقع حرف العلة المتحرك المذكور آنفاً.
- نقلت حركة تاء الافتعال إلى الساكن الصحيح قبلها وهو (هاء) فسكنت التاء (يَهْتَدِي) والحرف الساكن حاجز غير حصين.

- التقى متقاربان هما تاء الافتعال الساكنة والذال، ومن شأن التقائهما أن يُدغم أحدهما في الآخر، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُبَدِّلُوا زَوْجَ مَكَاتٍ زَوْجٍ﴾ [النساء: ٢٠]، ولذا وقع الإدغام^(٢)، وصار مجموعهما ذالاً مشددة مكسورة مسبوقة بهاء مفتوحة (يَهْدِي)، لأن من قواعد العدول "إذا سکن أول المثليين وحرك ثانيهما وجب إدغامهما"^(٣).

- "توالت حركتان مختلفتان هما فتحة الهاء وكسرة الذال المشددة فكسرت الهاء للمناسبة"^(٤)، و"استثقالاً للفتحة بعدها كسرة في حرف واحد"^(٥)، وقال الزَّخَّشَرِيُّ والرَّازِي: "أَنَّهَا كُسِرَتْ لِالتَّعَاثُفِ السَّاكِنِينَ"^(٦). لأنّ "الساكن إذا حُرِّك؛ حُرِّك بالكسر"^(٧).

وتمرّ الصيغة بعدة مراحل حتى تصل إلى الشكل النهائي المدغم كما يلي:

يَهْدِي - يَفْتَعِلُ - يَهْتَدِي - (يَهْدِي) - يَهْدِي - يَهْدِي = يَهْدِي.

ف"تاء الافتعال صوت مَهْمُوسٌ ضَعِيفٌ، والذال صوت بَجْهُورٌ قَوِيٌّ، ولكي يحدث الإدغام كان لا بُدَّ من أن تنقلب التاء ذالاً في الكلمتين. وحتى لا يلتقي ساكنان، يحرك الصوت السابق على الإدغام، إما بحركة التاء الذاهبة، أو بالكسر مطلقاً"^(٨).

(١) أسرار العربية، أبو البركات الأنباري: ٣٧، الإنصاف في مسائل الخلاف: ١٤/١ و١٤/٢ و٦٧٠.

(٢) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٤٦، وينظر: شذا العرف في فن الصرف: ١٣٥.

(٣) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٤٤.

(٤) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٤٧.

(٥) جامع البيان للطبري: ٨٨/١٥.

(٦) الكشاف: ٣٤٦/٢، مفاتيح الغيب: ٢٥٠/١٧.

(٧) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: ٢٩١/٢، مختار الصحاح: ٩١.

(٨) أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً: ٩١-٩٢.

- قال تعالى: ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ [يس: ٤٩].

علة العدول عن (يَخِصِّمُونَ) إلى (يَخِصِّمُونَ) هي كالآتي:

- "الخاء ساكنة، والحرف الساكن حاجز غير حصين.

- نقلت حركة تاء الافتعال إلى الساكن الصحيح قبلها (وهو الخاء) فسكنت التاء فصارت (يَخِصِّمُونَ).

- التقى متقاربان (تاء الافتعال والصاد) ومن شأن التقائهما أن يدغم أحدهما في الآخر، كما في قوله

تعالى: ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، فتمَّ هذا الإدغام^(١)، وصار مجموعهما صاداً

مشددة مكسورة مسبوقة بخاء مفتوحة (يَخِصِّمُونَ).

- تحول فتح الخاء إلى كسر لمناسبة ما بعده، قال النحاس: فأما "يَخِصِّمُونَ" فالأصل فيه يَخِصِّمُونَ،

فأدغمت التاء في الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين^(٢)، وهو ما رآه أبو السعود أيضاً^(٣). وزعم

الفراء أن: هذه القراءة أجود وأكثر، فترك ما هو أولى من إلقاء حركة التاء على الخاء واجتلب لها

حركة أخرى وجمع بين ياء وكسرة^(٤).

وتمر الصيغة بعدة مراحل حتى تصل إلى الشكل النهائي المدغم كما يلي:

يَخِصِّمُونَ - يَفْتَعِلُونَ - يَخِصِّمُونَ - يَخِصِّمُونَ = يَخِصِّمُونَ.

"يَخِصِّمُونَ" على إدغام عين الفعل (الصاد) في تاء الافتعال؛ حيث إن الأصل: خصم، فلما أن

جاءت على زنة (افتعل) التقت الصاد بتاء الافتعال، والصاد صوت مفخم قوي، والتاء حرف مرقق

ضعيف؛ لذلك قلبت التاء صاداً لتمائل عين الفعل، ثم أدغمت فيه^(٥). وقال الدكتور فاضل

السامرائي: "وأصل (يَخِصِّمُونَ) يَخِصِّمُونَ، فأبدلت التاء صاداً وأدغمت في الصاد فصار (يَخِصِّمُونَ)

والتضعيف يفيد القوة والتكثير والمبالغة، فأفاد ههنا المبالغة في الاختصام، ولا يدل الأصل (يَخِصِّمُونَ)

على هذه المبالغة والقوة^(٦). وجاء في المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءته: "إذا حدث

تغيير في شكل الكلمة نتيجة إدغام أو حذف، وكان من شأن هذا التغيير إبعاد الصلة بين أصل

الكلمة، وشكلها المستخدم في القرآن اعتبر شكلها المستخدم هو الصورة الحيادية، وفي حالة ورود

(١) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٤٦، الفكر اللغوي الجديد: ١٧٨-١٧٩.

(٢) إعراب القرآن للنحاس: ٣/ ٢٦٩.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٧/ ١٧١.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٧٩.

(٥) أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً: ٩١-٩٢.

(٦) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ٥٠.

الكلمة في القرآن تارة بشكلها المتغير، وتارة بشكلها الأصلي، اعتبرنا كل شكل صورة حيادية مستقلة. فكلمة (أثقل) على سبيل المثال وضعت تحت شكلها المستخدم كصورة حيادية، أما كلمة، مثل: (يَخْصِمُ) التي وردت في الآية: ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ [يس: ٤٩]، والتي وردت بشكلها الأصلي (يختصم) في أكثر من آية، منها: ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْصِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٤]، فقد أوردنا لها صورتين حياديتين. ومثلها كلمة: ﴿ يَهْدِي ﴾ [يونس: ٣٥]، مع (يهتدي) التي وردت في آيات متعددة منها: ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ [يونس: ١٠٨]. وقال محمد خير حلواني: "إنَّ سبب تبدل التاء في مثل هذه الأفعال هو أن التاء وقعت بعد أحرف مطبقة، والتاء ليست مطبقة، ولذلك استُبدلَ بها حرف مُجانس للأحرف السابقة، فجيء بالطاء المطبقة لهذه الغاية، أو إنَّ التاء تأثرت بما قبلها فجهرت وصُيِّرت مطبقة، وهذا يحولها إلى طاء" (٢).

قال الدكتور تمام حستان: "وقد اشتملت اجراءات العدول هنا على القلب والإدغام والنقل والحذف والمناسبة، وكل ذلك لطلب الخفة" (٣).

- قال تعالى: ﴿ فَلَا تَبْتَسِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: ٣٦]،

قال الطبري: " (تَبْتَسِسُ)، وهو (تفتعل) من (البؤس)، يقال: (ابتأس فلان بالأمر يبتئس ابتئاساً) " (٤)، و"الابتئاس افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر" (٥)، أي لا تحزن؛ "ومعنى الافتعال هنا التأثر بالبؤس الذي أحدثه الخبر المذكور" (٦). وقال الواحدي: "قال الفراء، والزجاج: لا تحزن. وقال ابن عباس: لا تغتم. يقال: ابتأس الرجل إذا بلغه شيء يكره، فحزن له" (٧)، وقال أبو هلال العسكري: "أي: لا تغتم. والابتئاس: حزن في استكانة" (٨). وقال

(١) المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته: ٣٤.

(٢) المغني الجديد في علم الصرف: ١٠٣.

(٣) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٤٧.

(٤) جامع البيان للطبري: ٣٠٦/١٥، وينظر: الدر المصون: ٣٢١/٦.

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات النسفي (ت ٧١٠هـ): ٥٧/٢.

(٦) التحرير والتنوير: ٦٥ / ١٢.

(٧) الوسيط للواحدي: ٥٧٢ / ٢.

(٨) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: ١٢٧.

الرَّاعِب: "أي: لا تلزم البؤس ولا تحزن"^(١)، وقال الدكتور فاضل السامرائي: "أي لا تحزن لما كانوا يفعلونه من استهزاء وتكذيب وإيذاء"^(٢). وأوردها الدكتور تمام حسان شاهداً على استصحاب تاء الافتعال دون أن تنقلب عن صورتها الأصلية^(٣).

ثانياً: الإبدال في صيغتي التفاعل والتفعل:

الأمر في التفاعل والتفعل يختلف عما تقدّم في الافتعال، لسبب يعود إلى ثابتين مهمين من ثوابت النظام اللغوي العربي: أولهما: كراهية توالي الأمثال، وثانيهما: أمن اللبس.

١- جاء في الحديث عن تاء الافتعال أنه لا فرق في أحكامها بين الماضي والمضارع وما عداهما من الصيغ. أما بالنسبة للتفاعل والتفعل فهناك فرق في رتبة الحروف وفي الإجراء بين هاتين الصيغتين وبين ما رأينا في الافتعال، وبخاصة بين الماضي والمضارع. ذلك أن رتبة فاء الكلمة والتاء الزائدة تختلف في الافتعال عنها في التفاعل والتفعل، كما يبدو من مجرد النظر إلى أسماء الصيغ. أمّا بين الماضي والمضارع فحسبنا أن نتأمل في أنّ بنية المضارع تبدأ بأحد حروف المضارعة بخلاف الماضي. فلو كان لدينا فعل ماضٍ مثل: (تَتَبَّعَ الباحثُ مفرداتَ الجملة) وأردنا أن نصرف الباحث عن تتبع المفردات إلى تتبع العلاقات قلنا: (لا تَتَبَّعَ المفردات ولكن تَتَبَّعَ العلاقات بينها)، وعندئذ نجد لدينا في فعل النهي ثلاثاً من التاءات المتوالية بلا فاصل فعلم وجه الحكم بكراهية توالي الأمثال، وكذلك نعلم سبب إدغام المثليين^(٤). ومن الشواهد القرآنية التي تشهد لظاهرة ادغام المثليين كراهية توالي الأمثال، ما يلي:

- قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨]، قال الأخفش: "وقال: ﴿أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ لأنه من (تثاقلتم) فأدغم التاء في التاء فسكنت فأحدث لها ألفاً ليصل إلى الكلام بها"^(٥). وقال القرطبي: "وأصله تثاقلتم، أدغمت التاء في التاء لقرّبها منها، واحتاجت إلى ألف الوصل لتصل إلى

(١) المفردات في غريب القرآن: ١٥٣.

(٢) على طريق التفسير البياني: ١٣٦/٣.

(٣) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٤٥، ٤٧.

(٤) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٤٨.

(٥) معاني القرآن للأخفش: ٣٥٨/١.

النطق بالساكن، ومثله: ﴿أَدَارِكُوا﴾ [الأعراف: ٣٨] و﴿فَادْرِكْتُمْ﴾ [البقرة: ٧٢] و﴿أَطِيرْنَا﴾ [النمل: ٤٧] و﴿وَأَزَيَّنْتَ﴾ [يونس: ٢٤]"^(١). وقال علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ): "وَألف الوصل داخلة على هذه الأفعال الماضي والأمر والمصدر لسكون الفاء في جميع ذلك، والابتداء في جميعها بالكسر، ومثال الأمر: ﴿أَسْتَهْزِئُوا﴾ [التوبة: ٦٤] - ﴿أَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ [١٥٨] [الأنعام: ١٥٨] - ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٠، لقمان: ٢١]. ومن هذه الأفعال قوله عز وجل: ﴿أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨] - ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدَارِكُوا﴾ [الأعراف: ٣٨] - ﴿بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرِ﴾ [النمل: ٦٦] - ﴿أَهْتَرْتُمْ﴾ [الحج: ٥، فصلت: ٣٩] - ﴿أَطِيرْنَا بِكَ﴾ [النمل: ٤٧]، تبدأ الألف في ذلك كله بالكسر على الأصل المقرر وكان الأصل: (تثاقلتم) (وتداركوا) - (وتطيرنا بك) فأدغمت التاء فلم يمكن الابتداء بها لسكونها فَجِيءَ بِهَمْزَةِ الْوَصْلِ، وَكُسِرَتِ عَلَى مَا سَبَقَ"^(٢). وقال محمود صافي: " (أثاقلتم)، أصله تثاقلتم، ثم قلبت التاء ثاء للإدغام بعد سكونها وزيادة همزة الوصل لمناسبة السكون وكان وزنه تفاعلت ثم أصبح أفاعلت أو أتماعلت قياساً على وزن اضطرب افتعل حيث لا يتغير الوزن بوجود الإبدال في الكلمة"^(٣). فكلمة (أثاقلتم) من المضارع يتثاقل على وزن (يتفاعل)، وعند الإتيان بصيغة الماضي منه (تثاقل) على وزن (تفاعَلَ)، يتم تسكين التاء للتخفيف فتصير الكلمة (تثاقل)؛ "ولأنه لا يصح الابتداء بالساكن جلبت الألف الموصولة للابتداء بها مع بقاء حركة التاء (السكون التخفيفي) كما هي، ثم قلبت التاء الساكنة إلى مماثل فاء الكلمة (حرف التاء) تبعاً لقانون المماثلة الرجعية حيث أثر الصوت الثاني (الثاء) في الصوت الأول (التاء)، فأصبح لدينا مماثلان جاز إدغامهما في صوت واحد، فوصلت الكلمة إلى صيغتها النهائية وهي (أثاقلتم) كما تم توظيفها في الآية القرآنية"^(٤). وإذا كان فاء (التفاعل) قريباً في المنخرج من تاء (تفاعل) كحرف التاء مثلاً، "جاز أن تقلب التاء ثاء للتخفيف فتدغم فيها فيسكن أول المثليين في المدغم فتجلب همزة الوصل ليتمكن الابتداء

^(١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله القرطبي: ١٤٠/٨، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن: ٥٩٠/١، فتح القدير

للسوكاني: ٤١٢/٢.

^(٢) جمال القراء وكمال الإقراء: ٧٣٩.

^(٣) الجدول في إعراب القرآن: ٣٣٩/١٠.

^(٤) أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية: ٩٣.

بالمساكن، فتقول (أناقل) بتشديد التاء بوزن (أفعل) بتشديد الفاء، مقلوباً من (تناقل)، كما كان (أفعل) بتشديد الفاء مقلوباً من (تفاعل). وفي الأساس: (وأناقل إلى الدنيا: أخلد إليها)^(١). وجاء في القاموس: "تناقل عنه تباطأ"^(٢). وقال الدكتور أحمد مختار عمر (ت ١٤٢٤هـ): "أناقل القوم: تناقلوا، تخاذلوا، لم يهبوا للنجدة وقد استنهبوا لها. و) أناقلتم إلى الأرض): توبيخ على ترك الجهاد"^(٣). وقال الدكتور تمام حسّان: "وهنا موضع يكون الإدغام فيه أقوى من البيان، وهو أن تسكن التاء وتتلوها (ث د ذ ز ط)"^(٤)، وفي (أناقلتم) أسكنت التاء وتلتها التاء فحصل الإدغام كراهية توالي الأمثال.

- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَنَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢]

قال الأخفش: "أما قوله: ﴿وَإِذْ قَنَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا﴾، فإنما هي (فتدارأتم) ولكن التاء تدغم أحياناً كذا في الدال لأن مخرجها من مخرجها. فلما أدغمت فيها حولت فجعلت دالاً مثلها، وسكنت فجعلوا ألفاً قبلها حتى يصلوا إلى الكلام بما قالوا: (اضرب) فألحقوا الألف حين سكنت الضاد. ألا ترى أنك إذا استأنفت قلت: (ادارأتم)، ومثلها (يدأرون) و(تدأرون) و﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، ومثله في القرآن كثير. وإنما هو (يتدأرون) فأدغمت التاء في الدال لأن التاء قريبة المخرج من الدال، مخرج الدال بطرف اللسان وأطراف الشنيتين ومخرج التاء بطرف اللسان وأصول الشنيتين. فكل ما قرب مخرجه فافعل به هذا"^(٥). وجاء في تفسير الراغب الأصفهاني: "ادارأتم أي تدافعتم، وأصل الدرء الاعوجاج، فالتدأرو أن يعوج كل على الآخر بمخالفته له، وقال الخليل: كوكبٌ دري، فقيل: من الدرء أي تدافع الضوء، ودرأت عنه الحد منه، ووزن (ادارأتم)، من الفعل تفاعلتم، أصله تدارأتم، فأريد الإدغام تخفيفاً، فأبدل من التاء دالاً فسكن للإدغام، واجتلب لها ألف الوصل، فحصل على اتفاعلتم، وقال بعض الأدباء: ادارأتم افتعلتم، وهو غلط من أوجه:

(١) أساس البلاغة: ١١٠/١.

(٢) ينظر: القاموس المحيط: ٩٧٢.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر: ٣٢٠/١.

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٩٤.

(٥) معاني القرآن للأخفش: ١١٤/١.

أنّ (ادّارآتم) على ثمانية أحرف، وافتعلتم على سبعة أحرف. وأنّ الذي يلي ألف الوصل تاء، فجعلها دالاً. وأنّ الذي يلي الثاني دال، فجعلها تاء. وأنّ الفعل الصحيح العين لا يكون ما بعد تاء الافتعال منه إلا متحركاً، وقد جعله ههنا ساكناً. وأنّ ههنا قد دخل بين التاء والدال زائد، وفي افتعلتم لا يدخل ذلك. وأتّه أنزل الألف منزل العين، وليست بعين. وأنّ تاء افتعل قبله حرفان وبعده حرفان، و(ادّاراً) بعد التاء ثلاثة أحرف. وأنّ عين افتعل في المستقبل مكسور، وعين (ادّارآتم) في المستقبل مفتوح^(١). وقال أبو البقاء: "فإن سئل عن الوزن ليبين الأصل من الزائد بلفظه الأول أو الثاني، كان الجواب أن يقال: وزن أصله الأول تفاعلتهم؛ والثاني: اتفاعلتهم؛ والثالث: افتعلتم"^(٢)، وجاء في الجدول في إعراب القرآن: "(ادّارآتم)، أصله تدارآتم من الدرء وهو الدفع، اجتمعت التاء مع الدال وهما قريبتا المخرج فسهل الإدغام بينهما ولكن بقلب التاء دالاً. فلما بدأ الفعل بالسكن بسبب الإدغام أضيفت همزة الوصل فقيل ادّارآتم وزنه اتفاعلتهم المنقلب من تفاعلتهم، ويجوز أن يكون افتعلتم"^(٣).

- قال تعالى: ﴿ وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ۚ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۗ ﴾ [عبس: ٣-٤]

قال النحاس: "وأصل يزكّي: يتزكّي، فأدغم التاء في الزاي وكذلك يذكّر"^(٤)، وقال ابن بابشاذ (ت ٤٦٩ هـ): "وتقول في (افتعل) من الذكر: (اذذكر)، وأصله بالتاء"^(٥)، وقال محمود صافي: "يزكّي: فيه إبدال تاء التفعّل زياً للمجانسة، أصله يتزكّي، ثم أدغمت مع فاء الكلمة بعد تسكينها وزنه يتفعّل. وفيه إعلال بالقلب أصله يتزكّي - بياء في آخره - تحرّكت الياء بعد فتح قلبت ألفاً"^(٦). وقال أبو حيان في (يذكّر): "وقرأ الجمهور: (أو يذكّر) بشد الذال والكاف، وأصله (يتذكر) فأدغم"^(٧)، وقال محمود صافي: "يذكّر: فيه إبدال تاء التفعّل ذالاً للمجانسة،

(١) تفسير الراغب الأصفهاني: ٢٢٩/١، وينظر: المفردات في غريب القرآن: ٣١٤، البرهان في علوم القرآن: ٢٩٩/١-٣٠٠.

(٢) التبيان في إعراب القرآن: ٧٨/١.

(٣) الجدول في إعراب القرآن: ١٦٢/١.

(٤) إعراب القرآن للنحاس: ٩٤/٥، وينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤٣٧/٥.

(٥) مقدمة في أصول التصريف: ١٦٦.

(٦) الجدول في إعراب القرآن: ٢٤٢/٣٠.

(٧) البحر المحيط: ٤٠٦/١٠.

قياسه كقياس يَزْكِي^(١). وقيل: "كلمة (يَذْكُر) فعل مضارع على وزن (يَتَفَعَّل) حدث فيه مماثلة رجعية حيث تمَّ تسكين تاء التفعّل للتخفيف فأصبح الفعل على صورة (يَتَفَعَّل)، ثمَّ حدثت المماثلة الرجعية عندما أُنزِل الصوت الثاني (الذال) في الأول (التاء) فقلب إلى مماثل للثاني، فوجدَ لدينا عندئذ متماثلان فلزم إدغامهما"^(٢). ويقول الدكتور فاضل السامرائي في هذا المجال: "قد يستعمل القرآن الكريم المفردة أحياناً مبدلة وأحياناً غير مبدلة وذلك نحو (يتذكر) و (يذَّكُر)، فأصل هذا الإبدال هو الفك (يذَّكُر) أصله (يتذكر) فأبدلت التاء ذالاً وسكنت وأدغمت في الذال الثانية"^(٣)، ويفرّق القرآن بين صيغتين فهو "يستعمل بناء (يتفعّل) لما هو أطول زمناً، وقد يستعمله في مقام الإطالة والتفصيل. ويستعمل (يَفَعَّل) للمبالغة في الحدث والإكثار منه، فاستعمل القرآن الكريم (يتذكر) للتذكر العقلي ولما كان يحتاج إلى طول وقت، واستعمل (يذَّكُر) لما كان فيه هزّة للقلب وإيقاظ له ولما كان فيه مبالغة وقوّة في التذكّر"^(٤). وقال الدكتور تمام حسن: "الرتبة بين التاء وفاء الكلمة في كل ذلك عكس ما قرره بيت ابن مالك في الألفية بالنسبة للافتعال، وذلك بقوله: (أثر مطبق). وكما ذكرنا ما يرد على الافتعال من إجراءات العدول عن أصل الوضع بالنسبة للافتعال يمكن أن نشير هنا إلى ما يرد منها بالنسبة للتفاعل والتفعّل. والأمر هنا أبسط مما كان في حال الافتعال، لأنه لا يتعدى قلب التاء إلى مثل ما يليها لتصير تاءً أو دالاً أو غير ذلك كما نراه في الشواهد الأخيرة، ثم ادغام المثليين أحدهما في الآخر، فالأمر لا يتعدى القلب والادغام"^(٥).

- قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ [الصفوات: ٨]

قال الواحدي (ت ٤٦٨ هـ): "وقُرئ (يَسْمَعُونَ) بالتحديد، وأصله (يتسمعون)، فأدغم التاء في السين"^(٦)، وقال الرازي: "لا يَسْمَعُونَ) بتشديد السين والميم وأصله يتسمعون، فأدغمت التاء في السين لاشتراكهما في الهمس، والتسمّع تطلب السماع يقال: تسمّع؛ سمع أو لم

(١) الجدول في إعراب القرآن: ٢٤٢/٣٠.

(٢) أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية: ٩٣.

(٣) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ٣٦.

(٤) المصدر نفسه: ٣٨-٣٩، ٤٦-٤٧.

(٥) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٤٩.

(٦) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي: ٥٢٢/٣.

يسمع" ^(١)، وقال القرطبي: "وأصل (يسمعون) يتسمعون فأدغمت التاء في السين لقربها منها. واختارها أبو عبيد، لأن العرب لا تكاد تقول: سمعت إليه وتقول تسمعت إليه" ^(٢)، وقال أبو حيان: "قُرِيءَ: لا يسمعون، والأصل: لا يتسمعون" ^(٣). جاء في الهادي شرح طيبة النشر: " (لا يسمعون) بتشديد السين والميم، على أنّ الأصل (يتسمعون) مضارع (تسمع) الذي هو مطاوع (سمع) مضعّف العين، ثم أدغمت التاء في السين، لقربهما في المخرج: إذ (التاء) تخرج من طرف اللسان، وأصول الثنايا العليا، و (السين) تخرج من طرف اللسان، وأطراف الثنايا السفلى، كما أنهما مشتركان في الصفات الآتية: الهمس، والاستفال، والانفتاح، والإصمات. وحسن حملة على (تسمع) لأن (التسمع) قد يكون، ولا يكون معه إدراك سمع، وإذا نفي (التسمع) عنهم فقد نفي سمعهم من جهة (التسمع) ومن غيره، فذلك أبلغ في نفي السمع عنهم" ^(٤). وقال الدكتور تمام حسّان: "الفعل في هذه الآية معدول به عن (يتسمعون)، الذي يشمل على تاء بعدها سين، على حين تحولت التاء في الآية إلى سين وأدغمت السين في السين فصارتا سينا مشددة، وإذا اسكنا التاء حصلنا من شدتها على الصمت، وإذا اسكنا السين حصلنا من رخاوتها على الصفيير وكلا الحرفين مهموس، ولا شك أن الصفيير المهموس أدل على معنى التسمع من الصمت لأننا في العادة لا نتسمع إلى الصمت وإنما نتسمع إلى الهمس" ^(٥).

٢- أمّا الثابت الآخر (وهو أمن اللبس)، فيمتد البحث في شأنه ليشمل الصور الثلاث للفعل ماضياً ومضارعاً وأمرأً، ويشمل مع ذلك معنيين من معاني الشخص النحوي هما الخطاب والغيبة. أضف إلى ذلك ما يعرض من اللبس عند الترخص بحرف تاء المضارعة من الصيغ التي تبدأ بتاء الفاعل أو التفعّل فلا يدري المستقبل عندئذ ما إذا كان الفعل ماضياً أم مضارعاً، إلى أن تقوم قرينة لتعيين أحد احتمالات المعنى ^(٦)، والشواهد التالية دليل على ذلك:

^(١) مفاتيح الغيب: ٣٢٠/٢٦.

^(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٥ / ٦٥، وينظر: معاني القراءات للأزهري: ٢ / ٣١٦، فتح القدير للشوكاني: ٤ / ٤٤٤.

^(٣) البحر المحيط: ٦٣٥/٢.

^(٤) الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر: ١٧٨/٣.

^(٥) البيان في روائع القرآن: ٨٢/٢-٨٣.

^(٦) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٤٩، ٥٠.

- قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۗ ﴾ [البقرة: ١٣٧]. قال السمين في الدر المصون: "قوله: (وإن تولوا) قرأ الجمهور (تولوا) بفتح التاء والواو واللام المشددة، وفيها احتمالان، أحدهما: أن الفعل مضارع تولى، وحذف منه إحدى التاءين تخفيفاً نحو: ﴿ نَزَّلَ الْمَلَكُ الْكَلِمَةَ ﴾ والرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ [القدر: ٤]. والثاني: أنه فعل ماضٍ مسند لضمير الغائبين، وجاء الخطاب على إضمار القول" (١).

- قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۗ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٢]، قال الزَّخَّشَرِيُّ: " (فإن تولوا) يحتمل أن يكون ماضياً، وأن يكون مضارعاً بمعنى: فإن تتولوا" (٢)، وقال السمين: "قوله تعالى: (فإن تولوا): هذا يَحْتَمِلُ وجهين، أحدهما: أن يكون مضارعاً والأصل: (تتولوا) فَحَذَفَ إحدى التاءين، والكلام جارٍ على نسقٍ واحد وهو الخطاب. والثاني: أن يكون فعلاً ماضياً مسنداً لضميرٍ غيب، فيجوز أن يكون من باب الالتفات، ويكون المراد بالغيب المخاطبين في المعنى، وهو نظيرُ قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتِ بِرَبِّكُمْ ﴾ [يونس: ٢٢]" (٣).

- قال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٩]، قال أبو السعود: " (فإن تولوا) إمَّا من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف إحدى التاءين أي تتولوا" (٤)، وذهب الشوكاني إلى أنه: "يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى، فيكون ماضياً، مسنداً لضمير الغيبة، فيكون من باب الالتفات من المخاطب إلى الغائب" (٥). وقال أبو البقاء: "يجوز أن يكون اللفظ ماضياً ويجوز أن يكون مستقبلاً تقديره: يتولوا ذكره النحَّاس، وهو ضعيف ؛ لأن حرف المضارعة لا

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٢٨٣/٦.

(٢) الكشاف: ٣٥٤/١، وينظر: البحر المحيط: ١٠٤/٣.

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ١٢٦/٣-١٢٧.

(٤) إرشاد العقل السليم: ٢٥/٢.

(٥) فتح القدير للشوكاني: ٣٨٢/١، وينظر: إعراب القرآن وبيانه: ٤٩٣/١.

يحذف"^(١). وخالفه ابن هشام قائلاً: "وهذا فاسد لأن المحذوف الثانية وهو قول الجمهور والمخالف في ذلك هشام الكوفي ثم إنَّ التنزيل مشتمل على مواضع كثيرة من ذلك لا شك فيها نحو: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤]، ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ أَلْمُوتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفُوهَ فَعَدَّ رَأَيْتُمْوهُ وَأَنْتُمْ نُنظَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣]^(٢). وجاء في الوافي في شرح الشاطبية أن: "الفعل في هذا الموضع وفي سورة البقرة وثلاثة مواضع أخرى من القرآن لا تشديد فيها؛ لأنها كلها أفعال ماضية. أما في آل عمران فيحتمل أن يكون ماضياً فلا يشدد، وأن يكون مضارعاً فيشدد، ولكنه لم يشدد ولم يذكر في هذه التاءات لعدم القطع بكونه مضارعاً، والخلاصة: أن التشديد خاص بالمواضع الخمسة للقطع بكونها أفعالاً مضارعة، وأما غيرها فلا تشديد فيه؛ إما لكونه مقطوعاً بأنه ماضٍ، وإما لكونه مشكوكاً في كونه مضارعاً أو ماضياً"^(٣). قال محمود صافي: "(تولوا)، فيه إعلال بالحذف، أصله (تولواوا)، التقى ساكنان الألف مع واو الجماعة فحذفت الألف وبقيت الفتحة على اللام قبلها دلالة عليها فأصبح تولوا وزنه تفَعَّوا بفتح العين للدلالة على الألف المحذوفة"^(٤).

- قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ [التحریم: ٤].

قال القرطبي: "(وإن تظاهرا عليه) أي تتظاهرا وتعاوننا على النبي ﷺ بالمعصية والإيذاء"^(٥). وقال البيضاوي: "وإن تظاهرا عليه بما يسوؤه، وقرأ الكوفيون بالتخفيف"^(٦). جاء في السراج المنير: "(وإن تظاهرا) الكوفيون بتخفيف الظاء، والباقون بتشديدها أي: تتعاوننا"^(٧)، وقال أبو السعود: "بإسقاط إحدى التاءين وقُرى على الأصل وبتشديد الظاء، وتظاهرا أي: تتعاوننا عليه بما يسوؤه"^(٨)، وورد في التفسير المظهر: "قرأ الكوفيون بتخفيف الظاء بحذف أحد

(١) التبيان في إعراب القرآن: ٢٦٨/١.

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٨٠٨-٨٠٩.

(٣) الوافي في شرح الشاطبية: ٢٢٦.

(٤) الجدول في إعراب القرآن: ٢٤٤، ٢٧٩.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٨ / ١٨٩.

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٢٤/٥.

(٧) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: ٣٢٩/٤.

(٨) إرشاد العقل السليم: ٢٦٧/٨.

التاءين والباقون بالتشديد وادغام أحد التاءين في الظاء وأصله تظاهرا^(١)، وقال الأزهري في معاني القراءات: "قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب: (تَظَاهِرُونَ) مشددة، وقرأ الكوفيون: (تَظَاهِرُونَ) بتخفيف الظاء. من قرأ (تَظَاهِرُونَ) بالتشديد فالأصل فيه تَظَاهِرُونَ، فأدغمت التاء في الظاء لِقُرْبِ المخرجين، وشددت الظاء، ومن قرأ بالتخفيف فالأصل فيه (تَظَاهِرُونَ) بتاءين أيضاً، فحذفت التاء الثانية لاجتماعهما. وتفسير تَظَاهِرُونَ: تَتَعَاوَنُونَ، يقال: ظاهرَ فلانَ فلانا: إذا عاونهُ. وقال الله تعالى: (وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ) معناه: وإن تعاوننا"^(٢). وقال الباقولي: "والأصل: تتظاهرون، و: تتظاهرا، فلما اجتمعت تاءان حذفت إحداهما"^(٣). وقيل: "ظاهر الأصل تتظاهرون وتتظاهرا فمن شدد أدغم التاء في الظاء ومن خفف حذف إحدى التاءين وأيتهما المحذوفة فيه اختلاف لأهل العربية"^(٤).

قال الدكتور تمام حسّان: "هذه الصور المتطابقة من شأنها أن تؤدي إلى اللبس في التركيب إلا أن تقوم قرينة على المعنى المراد، وفي هذه الحالة (حالة اللبس) ينبغي أن نذكر قول ابن مالك في الألفية: (وإن بشكل خيف لبس يجتنب). وينبغي لهذا الشرط من الألفية أن يكون قاعدة في الاستعمال"^(٥). "لأنّ اللغة العربية وكل لغة أخرى في الوجود تنظر إلى أمن اللبس باعتباره غاية لا يمكن التفريط فيها"^(٦). لأنّ اللغة الملبسة لا تصلح واسطة للإفهام والفهم.

(١) التفسير المظهرى ٩ / ٣٤٣.

(٢) معاني القراءات للأزهري: ١ / ١٦٢.

(٣) إعراب القرآن للباقولي-منسوب خطأ للزجاج: ٣ / ٨٤٩.

(٤) إبراز المعاني من حرز الأماني: ٣٣٤.

(٥) الفكر اللغوي الجديد: ١٨٢.

(٦) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٣٣.

● بنية الكلمة:

البنية إطار ذهني مجرد للكلمة المفردة، وليست هي الكلمة ذات المعنى المفرد. وربما قَرَّب ذلك للفهم أن نقول إنَّ البنية مفهوم صرفي لا ينطق، وإنَّ الكلمة مفهوم معجمي منطوق بالقوة، وإنَّ اللفظ مفهوم استعمالي تتحقَّق به الكلمة بالفعل بوساطة النَّطق أو الكتابة في محيط الجملة. ومغزى هذا التفريق أننا نفهم معنى البنية أو المبنى فهماً صرفياً محددًا ينأى بهذا المفهوم أن يختلط بالعناصر المعجمية المستعملة بالقوة، إذ تكون صامتة على صفحة المعجم أو بالفعل، إذ تكون جارية على اللسان أو على القلم. بنية الكلمة المشتقة تتمثَّل في صيغتها الصرفية، وإذا كان للكلمة المشتقة معنىً مفرد يمكن الاطِّلاع عليه في المعجم، فإن هذا المعنى المعجمي يقوم على ركيزتين من المعاني الصرفية العامة: إحداها معنى الأصول الثلاثة من حيث إنَّها تلخص علاقات اشتقاقية بين طائفة من الكلمات، فهذا التلخيص هو معناها، والركيزة الثانية ما ينسب إلى الصيغة الصرفية من معنى عام كالطلب والمطاوعة والاتخاذ والتدرج، إلخ... وكلتا الركيزتين معنى عام. فمبنى الكلمة المشتقة هو صيغتها الصرفية، وإن لهذه الصيغة معنى وظيفياً صرفياً ونحوياً، ومبنى الكلمة الجامدة التي ليست لها صيغة صرفية هو صورتها الذهنية، ومعنى البنية بنوعيه المذكورين هنا معنى وظيفي عام يختلف عن المعنى المعجمي المفرد الذي يرصد للكلمة في المعاجم؛ ويحدد المعنى الوظيفي المذكور وظيفة بنية الكلمة وعلاقتها بما يجاورها من المباني في السياق^(١).

ويُعدَّل عن أصل البنية إما بإجراء تصريفي فتتحول صورة اللفظ الأصلية، وإما بنقل المعنى بتضمين لفظ معنى آخر، أو إنابته عنه، وإما بتسخير اللفظ لتوليد معاني هامشية لم تكن في الأصل اللغوي المجرد، وذلك بواسطة الحكاية أو تنكير اللفظ أو تعريفه أو تعميم الإشارة إلى المقصود باستعمال الموصول أو إفادة معنى الشرط من خلال الموصول أيضاً أو إعطاء الضمير وظيفة غير وظيفة الربط كإفادة الشأن أو الفصل.

"فمن طبيعة الاستعمال اللغوي أن يسعى فيه إلى طلب الخفة اقتصاداً للجهد الحركي في النطق وتلك الظاهرة لا نعلم لغة بمنأى عنها ولقد حرصت اللغة العربية أو بعبارة أخرى حرص الذوق العربي على كراهية توالي المثلين والمتقارنين والمتعارضين وكان حفيماً بتوالي المختلفين والمتناسبين، ومن هنا وجدنا إجراءات عدولية تصريفية تتبع في صياغة البنية كالإدغام والإخفاء والإقلاب والإعلال والإبدال والنقل والقلب والحذف والمناسبة علاجاً لمشاكل تجاوز الأصوات الذي يتسم بالثقل، وقد وجدنا لهذا

(١) ينظر: البيان في روائع القرآن: ٢٩/١ - ٣٠.

العدول عن الأصل طابعاً عرفياً في الاستعمال رقى به إلى مستوى التقييد له، ومن هنا نشأت القواعد التصريفية^(١). وتحرص اللغة أكبر الحرص على أمن اللبس، لأن اللغة أداة اتصال بين أطراف مختلفة، فإذا كانت العبارة عُرضَةً لِلْبَسِ لم يتحقق الغرض المرجو من الاتصال، ومن هنا قامت الشروط الصوتية والصرفية والنحوية حارساً على تحقيق القرائن التي يتبين بها المعنى، وحسبنا أن نقرأ في هذا المجال عبارة ابن مالك التي يقول فيها: (وإن بشكل خيف لبس يجتنب)^(٢). أمّا حين يتحقق القدر الكافي من القرائن للدلالة على المعنى فقد كان الفصحاء يترخّصون في بعض القرائن، لا يفرّقون في ذلك بين شعر ونثر. فأما في الشعر فقد نسب الأقدمون ذلك إلى الضرائر ونحن نعلم أنه كان للشاعر مندوحة في بعض رخصه ولكنه فضل الترخص وهو أدرى بما يقول، وأما في غير الشعر؛ فقد تباينت أوصاف الترخص بين الشاذ والنادر والقليل والغلط والقبلي والمصنوع والمنحول وغير ذلك وقد كان القدر المشترك بين كل ذلك أنه ترخص في القرينة عند وضوح المعنى بدونها. وهذا الترخص مقبول من الفصحاء بشرط واحد عبر عنه بعضهم بعبارة (الرخصة مشروطة بمحلها)^(٣)، وقال أبو هلال العسكري: "والتوسع يلزم موضعه المستعمل فيه ولا يتعداه"^(٤)، أي أنّ المُحدَثين وهم غير فصحاء لا يُقبَلُ منهم الترخّص في اللغة وإنما يُعدّ ذلك منهم من قبيل الخطأ في الاستعمال.

وإذا كان موقف النحاة من العدول موقف الموافقة؛ فإنهم لم يرضوا عن الترخص. وإذا كانوا لم يعترضوا على القياس على العدول سواء كان بقاعدة تصريفية كما في (قال) و(يقول) و(قل)، أم بغير قاعدة، ولقد أبدى النحاة سخطهم على الترخص فزعموه أحياناً شذوذاً وأحياناً أخرى قلة أو ندرة أو نسبه إلى قوم بعينهم. وكل ما أظهره النحاة للترخص من تسامح أنّهم قبلوا الرخصة بشرط ارتهاها بمحلها وعدم القياس عليها وأنهم جعلوا من أصولهم أصلاً يقول: (الشذوذ لا يناهز الفصاحة). وهذا الأصل أيضاً يصف موقف القراء من مدخل القراءات التي سموها (شاذة)، وكما دخلنا إلى العدول من مدخل القرائن النحوية يحسن أن ندخل إلى الترخص من هذا المدخل نفسه لأن الترخص بحكم التسمية تسامح في المحافظة على القرينة وإهدار لها. وهكذا نجد في كلام الفصحاء ترخصاً في البنية حيناً وفي الإعراب حيناً آخر وفي الربط حيناً ثالثاً كما نجده أحياناً في الرتبة أو التضام. أما المناسبة المعجمية فإنها تأذن في العدول كما في (الجواز) ولا تأذن للترخص لأن الترخص يذهب بالفائدة. وأما

(١) البيان في روائع القرآن: ٧٧/٢-٧٨.

(٢) شرح ابن عقيل: ١١٧/٢، شرح الأشموني: ٤١٦/١.

(٣) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٧٦.

(٤) الفروق اللغوية للعسكري: ٣٤.

دلالة السياق فإن الترخص فيها يؤدي إلى اللبس وليس في تنعيم الكلام رخصة. وفيما يلي بيان بالترخص في قرينة البنية:

"إذا عُرِفَ الانسان بتكوين جسمه وملامحه، فإن الكلمة تُعرَفُ بصورتها التي عُرِفَتْ بها. فإذا تغيَّرت الصورة، قام الاحتمال بعدم التعرّف على الكلمة، إلا أن يكون فيما يحيط بها دليل على هوية الكلمة. والقرائن التي يمكن الترخص فيها في اللغة العربية هي البنية والاعراب والربط والرتبة والتّضام، وكتب النحو مليئة بتأويل ذلك بإرجاعه إلى أصلٍ من أصولهم بواسطة القول بالزيادة أو الحذف أو الفصل أو الاضمار أو التقديم أو الاعراب المحلي أو التضمين أو نيابة شيء عن شيء أو التعويض أو الفك أو السبك أو الإعلال أو الإبدال أو النقل أو القلب... الخ. والقرآن كما ذكرنا جاء بلسان عربي فكان في أعلى طبقات الفصاحة وكان فوق الحدود الضيقة التي انحصرت فيها قواعد النحاة إذ عنى النحاة بالمطرّد ولكن اللغة تشتمل على المطرّد وغيره وليس غير المطرّد يطعنون في فصاحته لأن الشذوذ لا ينافي الفصاحة"^(١). ويتم الترخص في قرينة البنية "بتغيير هيكلها، أو بحذف بعض حروفها، أو زيادة حرف أو أكثر عليها، أو تغيير حرف منها"^(٢).

ونبدأ النظر في طرق الترخص في بنية بعض الكلمات التي وردت في القرآن:

- طرق الترخص في البنية:

١- تغيير هيكل بنية الكلمة:

ميكال = ميكائيل.

- قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، قال الأخفش في معاني القرآن: "ومن العرب من يقول (جبرئيل) فيهمزون ولا يهمزون، وكذلك (إسرائيل) منهم من يهمز ومنهم من لا يهمز، ويقولون (ميكائيل) فيهمزون ولا يهمزون ويقولون (ميكال) كما قالوا (جبريل)"^(٣). وجاء في زاد المسير: "فأمّا ميكائيل، ففيه خمس لغات: إحداهن: (ميكال)، مثل: مفعال بغير همز، وهي لغة أهل الحجاز، وبها قرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم. والثانية: (ميكائيل) بإثبات ياء

^(١) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٧٧.

^(٢) المصدر نفسه: ٢٣١.

^(٣) معاني القرآن للأخفش: ١٤٥/١-١٤٦.

ساكنة بعد الهمزة، وهي لغة تميم وقيس، وكثير من أهل نجد، وبها قرأ ابن عامر، وابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم^(١). وجاء في تفسير الرّازي: "قال ابن جني: العرب إذا نطقت بالأعجمي خلطت فيه"^(٢). وقال أبو حيان في البحر: "ميكائيل: الكلام فيه كالكلام في جبريل، أعني من منع الصرف. وبَعْدَ قول من ذهب إلى أنه مشتق من ملكوت الله، أو ذهب إلى أنّ معنى ميكا: عبد، وإيل: اسم من أسماء الله تعالى، وقد تصرّفت فيه العرب. قالوا: ميكال، كمفعال"^(٣)، وجاء في حُجّة القراءات: "قال الكسائي (ت ١٨٩هـ): قوله: جبرئيل وميكائيل وإبراهيم، فإنها أسماء أعجمية لم تكن العرب تعرفها فلما جاءتها أعربت فلفظت بها بألفاظ مختلفة"^(٤). وقال أحمد مختار عمر: "ميكائيل: ميكال، علم على أحد الملائكة المقرّبين"^(٥). وقال الدكتور تمام حسّان: "ميكال هو ميكائيل"^(٦).

سينين = سيناء

- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونَ ۝١ وَطُورِ سَيْنِينَ ۝٢﴾ [التين: ١-٢]. قال الفراء: "سيناء، مثل سينين: وهو معنى واحد وموضع واحد"^(٧). وقال الشوكاني: "قال أبو علي الفارسي: سينين فعليل، فكررت اللام التي هي نون فيه، ولم ينصرف سينين كما لم ينصرف سيناء لأنه جعل اسماً للبقعة"^(٨)، وقال الزركشي: "﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ وهو طور سيناء"^(٩)، وقال السيوطي في معترك الأقران: "إنه تغيير بنية الكلمة"^(١٠). وقال ولي الله الدهلوي في الفوز الكبير في باب إبدال اسم باسم: "﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ أي: طور سيناء،

(١) زاد المسير في علم التفسير: ٩١/١، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٨/٢.

(٢) مفاتيح الغيب: ٦١٤/٣.

(٣) البحر المحيط: ٥١٠/١، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣١٥/٢.

(٤) حجة القراءات: ١٠٨.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢١٤٦/٣.

(٦) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٧٧.

(٧) معاني القرآن للفراء ٢/٣٩٢، وينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢/١٢٩٤، ومشكل إعراب القرآن لمكي: ٨٢٥/٢.

(٨) فتح القدير للشوكاني: ٥٦٧/٥.

(٩) البرهان في علوم القرآن: ١/٦٢، وينظر: الإتيان في علوم القرآن: ١/٦٠.

(١٠) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: ١/٣١.

﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِلَّ يَاسِينَ﴾ [الصفافات: ١٣٠]، أي على إياس، قلب الاسمان للازدواج^(١). وجاء في تفسير العز بن عبد السلام: "طور سيناء وطور سينين لمؤاخاة الفواصل"^(٢). وقال عبد العزيز المطعني: "أنه تغيير في صيغة الكلمة، والأصل: سيناء"^(٣). وهو ما أشار إليه الدكتور تمام حسّان أنه من باب التحويل الصرقي^(٤)، وقال: "قد يكون ذلك التغيير في البنية مراعاة للفاصلة"^(٥).

٢- حذف بعض حروف الكلمة:

وأما الترخص في البنية بحذف بعض حروفها فأوضح صورته: حذف ياء المتكلم أو ياء المنقوص المقترن بأل أو الفعل المعتل الآخر بالياء أو الواو^(٦):

- حذف ياء المتكلم، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، موضع الشاهد كلمة (دَعَانِ)، حيث حذفت ياء المتكلم منه، قيل: "هي هنا ياء متطرفة زائدة في التلاوة على رسم المصاحف العثمانية"^(٧)، قال الطاهر ابن عاشور: "وحذفت ياء المتكلم من قوله: ﴿دَعَانِ﴾ في قراءة نافع وأبي عمرو وحزمة والكسائي لأن حذفها في الوقف لغة جمهور العرب عدا أهل الحجاز، ولا تحذف عندهم في الوصل لأن الأصل عدمه ولأن الرسم يبنى على حال الوقف"^(٨)، وقال محمود صافي: "حذفت الياء في (دعاني) رسماً للتخفيف"^(٩)، وقال العثيمين (ت ١٤٢١ هـ): "وقوله تعالى: ﴿دَعَانِ﴾ أصلها دعاني - بالياء، فحذفت الياء تخفيفاً"^(١٠).

(١) الفوز الكبير في أصول التفسير: ١١٥-١١٦.

(٢) تفسير العز بن عبد السلام: ٦٥/٣.

(٣) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ٣١٧/١.

(٤) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٠٠.

(٥) ينظر: مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٧٦، ٢٧٨.

(٦) البيان في روائع القرآن: ٢٣١.

(٧) إتخاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ١٥٢.

(٨) التحرير والتنوير: ١٧٩/٢.

(٩) الجدول في إعراب القرآن: ٣٧٦/٢.

(١٠) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة: ٣٤٢/٢.

- حذف ياء المنقوص المقترن بأل، في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ (٣٢) [الشورى: ٣٢]، موضع الشاهد كلمة (الجوار)، حيث حذفت منه الياء، قال ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ): " (الجواري) بياء في الوصل، إلا أن ابن كثير يقف أيضاً بياء، وأبو عمرو بغير ياء، ويعقوب يوافق ابن كثير، والباقون بغير ياء في الوصل والوقف، قال أبو علي: والقياس ما ذهب إليه ابن كثير، ومن حذف فقد كثر حذف مثل هذا في كلامهم" (١). وقال محمد سالم محيسن (ت ١٤٢٢هـ): "قيد موضع الخلاف في (الجوار) بالتي بعدها متحرك، ليخرج (الجوار) التي بعدها ساكن، فإنه لا خلاف في حذف الياء في الحالين من أجل الساكن" (٢).

- حذف الواو من الفعل المعتل الآخر بالواو، في قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ ﴾ [القمر: ٦]، قال الزجاج: "فأما حذف الواو من (يدعو) في الكتاب فلأنها تحذف في اللفظ، لالتقاء الساكنين، وهما الواو من (يدعو) واللام من (الداعي)، فأجريت في الكتاب على ما يُلفظُ بها، وأما الداعي فإثبات الياء فيه أجود. وقد يجوز حذفها، لأن الكسرة تدلّ عليها" (٣). وقال ابن جني: "حذفت فيه الياء تخفيفاً" (٤). وجاء في روح البيان: "(يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ) أصله؛ يوم يدعو الداعي بالواو والياء، لما حذف الواو من يدعو في التلغظ لاجتماع الساكنين، حذفت في الخط أيضاً اتباعاً للفظ، وأسقطت الياء من الداعي للاكتفاء بالكسرة تخفيفاً، قال بعضهم: حذفت الياء من الداعي مبالغة في التخفيف إجراءً ل(أل) مجرى ما عاقبها، وهو التنوين، فكما يحذف الياء مع التنوين كذلك مع ما عاقبه" (٥). وعلل الزركشي حذف الواو ب: "سرعة الدعاء وسرعة الإجابة" (٦).

(١) زاد المسير في علم التفسير: ٦٦/٤.

(٢) الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر: ٤١١/١.

(٣) معاني القرآن وإعراجه للزجاج: ٨٦/٥.

(٤) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ٢٣٣/٢.

(٥) روح البيان: ٢٦٩/٩.

(٦) البرهان في علوم القرآن: ٣٩٨/١.

٣- إبدال حرف مكان حرف:

بَكَّة = مَكَّة

- قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦]، قال الطَّبْرِيُّ: "وأصل (البك) : الزحم، يقال منه: (بك فلانٌ فلاناً) إذا زحمه وصدمه، (فهو يبُكُه بكًا، وهم يتباكُون فيه)، يعني به: يتزاحمون ويتصادمون فيه. فكأن (بَكَّة) (فَعْلَة) من (بَكَّ فلان فلاناً) زَحَمَهُ، سُمِّيت البقعة بفعل المزدحمين بها. فإذا كانت (بكة) ما وصفنا، وكان موضع ازدحام الناس حَوْلَ البيت، وكان لا طَوافَ يجوز خارج المسجد، كان معلومًا بذلك أن يكون ما حَوْلَ الكعبة من داخل المسجد، وأنَّ ما كان خارج المسجد فـ(مكة)، لا (بَكَّة). لأنه لا معنى خارجه يوجب على الناس التَّبَاكُ فيه. وإذ كان ذلك كذلك، كان بيننا بذلك فسادُ قول من قال: (بَكَّة) اسم لبطن (مَكَّة)، ومَكَّة اسم للحرم"^(١). أما الزجَّاج فذكر بأنَّ: "مَكَّة تصلح أن يكون اشتقاقها كاشتقاق بَكَّة والميم تبدل من الباء، يقال: ضربة لازب ولازم، ويصلح أن يكون الاشتقاق من قولهم: (امتك الفصيل) ما في ضرع الناقة إذا مصَّ مصًّا شديدًا حتى لا يبقى فيه شيئاً. فتكون سميت بذلك لشدة الازدحام فيها، والقول الأول، أعني: البدل، أحسن"^(٢). وقال الماوردي: "وفي (بَكَّة) ثلاثة أقاويل: أحدها: أنَّ بَكَّة المسجد، ومَكَّة: الحرم كله، وهذا قول ابن شهاب، وضمرة بن ربيعة. والثاني: أنَّ بَكَّة هي مَكَّة، وهو قول أبي عبيدة. والثالث: أن بَكَّة موضع البيت، ومَكَّة غيره في الموضع يريد القرية، وروي ذلك عن مالك. وفي المأخوذ منه بَكَّة، قولان: أحدهما: أنه مأخوذ من الزحمة، يقال تباك القوم بعضهم بعضاً إذا ازدحموا، فبَكَّة مُزْدَحِمُ النَّاسِ لِلطَّوَّافِ. والقول الثاني: أنها سميت بَكَّة، لأنها تَبَكُّ أعناق الجبابرة، إذا ألدوا فيها بظلم لم يمهلوا"^(٣). وقال الرَّحْمَشَرِيُّ: "(ببَكَّة) البيت الذي ببكَّة، وهي عَلمٌ للبلد الحرام: ومكة وبكة لغتان فيه، وقيل: مَكَّة: البلد، وبكَّة: موضع المسجد"^(٤). وقال القرطبي: "قال مجاهد: بَكَّة هي مَكَّة. فالميم على هذا مبدلة من الباء، كما قالوا: طين لازب ولازم"^(٥). وقال أبو السعود العمادي: "وبكَّة لغة في مَكَّة فإن

(١) جامع البيان للطبري: ٢٣/٦، وينظر: الأوائل للعسكري: ٤٢٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ٤٤٥.

(٣) النكت والعيون: ٤١٠/١، وينظر: تهذيب اللغة: ٣٤٢/٩.

(٤) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣٨٧/١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٣٨/٤.

العرب تعاقب بين الباء والميم كما في قولهم ضربة لازب ولازم والنميط والنييط، وقولهم أمر راتب وراتم وسبد رأسه وسمدها وأغبطت الحمى وأغمطت وهي علم للبلد الحرام^(١)، وقال الدكتور فاضل السامرائي: "سبب إيرادها بالباء في آل عمران أنّ الآية في سياق الحج فجاء بالاسم (بَكَّة) من (البَكِّ) الدال على الزحام، لأنه في الحج يبكّ الناس بعضهم بعضاً، أي يزدحم بعضهم بعضاً، وليس السياق كذلك في آية الفتح، فجاء بالاسم المشهور له؛ أعني (مكة) بالميم، فوضع كل لفظ في السياق الذي يقتضيه"^(٢). وقال الدكتور تمام حسّان: "بَكَّة هي مَكَّة"^(٣).

٤- زيادة حرف على بنية الكلمة:

إل ياسين = إلياس .

- قال تعالى: ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠]

قال الثعلبي: "ومن قرأ إل ياسين فقد قيل: إنها لغة في إلياس، مثل إسماعيل وإسماعين وميكائيل وميكائين، وقال الكسائي: العرب تثني وتجمع الواحد"^(٤). وقيل أنّ: "إلياس اسم أعجمي، والعرب إذا استعملت الأسماء الأعجمية في كلامها غيرتها بضروب من التعبير، فيقولون: إبراهيم وإبراهام وإبرهام، وميكائيل وميكائين وميكال، وإسماعيل وإسماعيل، وإسرائيل وإسرائيلين، وشبهه. فكذاك إلياس وإلياسين هو واحد"^(٥). وجاء في غرائب التفسير للكرماني: "قوله: (إِلِ يَاسِينَ)، لغة في إلياس"^(٦)، وقال القرطبي: "والمراد إلياس عليه السلام، وعليه وقع التسليم ولكنه اسم أعجمي. والعرب تضطرب في هذه الأسماء الأعجمية ويكثر تغييرهم لها. قال ابن جني: العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعباً، فياسين وإلياس وإلياسين شيء

(١) إرشاد العقل السليم: ٦٠/٢، وينظر: المفردات في غريب القرآن: ١٣٩-١٤٠.

(٢) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ٥١-٥٢.

(٣) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٧٧.

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١٦٩/٨، وينظر: معاني القراءات للأزهري: ٣٢٢/٢، إعراب القرآن للباقولي:

٨٦٠/٣.

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦١٥٧/٩.

(٦) غرائب التفسير وعجائب التأويل، تاج القراء الكرماني: ٩٨٤/٢.

واحد"^(١). وجاء في تفسير الجلالين والدر المنثور وتفسير أبي السعود وتفسير المراغي: "هو إياس"^(٢)، وقال سيد قطب: "ونقف لنلّم بالناحية الفنية في الآية: (سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ) فقد روعيت الفاصلة وإيقاعها الموسيقي في إرجاع اسم إياس بصيغة (إِلْ يَاسِينَ) على طريقة القرآن في ملاحظة تناسق الإيقاع في التعبير"^(٣)، وقال محمود صافي: "إلياسين: قيل هو اسم آخر لإلياس فهو مفرد، وقيل جمع مذكّر سالم لكلّ من آمن مع إلياس على طريقة التغليب كما يقال: المهالبة والأشاعرة نسبة إلى المهلب والأشعريّ، وهو في الأصل جمع إلياسيّ - نسبة إلى إلياس - ثم استثقلت الشدّة على الياء فحذفت إحدى الياءين، فلمّا جمع جمع مذكّر سالمًا إتقى ساكنان إحدى الياءين وياء الجمع، فحذفت أولاهما لالتقاء الساكنين فصار إلياسين. والقول بإفراده أصحّ"^(٤). وجاء في البلغة في أصول اللغة: "أنه من باب ذكر الجموع على التغليب"^(٥)، وقال الدكتور تمام حسّان: "هو إلياس وهو من باب التحويل الصرفي"^(٦).

٥- إيجاد صورة للبنية غريبة على الشائع من الاستعمال:

كُبَارًا = كَبِيرٌ أَوْ أَكْبَرٌ.

- قال تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا كُبَارًا﴾ [نوح: ٢٢]

قال الطَّبْرِيُّ: "والكُبَار: هو الكبير، كما قال ابن زيد، تقول العرب: أمر عجيب وعجاب بالتخفيف، وعجّاب بالتشديد؛ ورجل حُسّان وحُسّان، وجمّال وجمّال بالتخفيف والتشديد، وكذلك كبير وكُبّار بالتخفيف والتشديد"^(٧)، وقال الزجاج: "يقال: مكر كبير وكُبّار وكُبّار في معنى واحد"^(٨). وقال الماوردي: "والكُبّار أشدّ مبالغة من كبير"^(٩). وقال يحيى العلوي صاحب

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١١٨/١٥، وينظر: التفسير القيم: ٤٤٩.

(٢) ينظر: تفسير الجلالين: ٥٩٥، الدر المنثور: ١٢٠/٧، إرشاد العقل السليم: ٢٠٤/٧، تفسير المراغي: ٨١/٢٣.

(٣) في ظلال القرآن: ٢٩٩٨/٥.

(٤) الجدول في إعراب القرآن: ٨١/٢٣-٨٢.

(٥) البلغة إلى أصول اللغة: ١٣٣.

(٦) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٠٠، مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٧٧.

(٧) جامع البيان للطبري: ٣٠٢/٢٣.

(٨) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢٣٠/٥، وينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١٥٧/٥، غريب القرآن لابن قتيبة:

٤٨٧، مقاييس اللغة: ١٥٣/٥، تهذيب اللغة: ١٢١/١٠.

(٩) النكت والعيون: ١٠٣/٦، وينظر: البحر المحيط: ٢٨٥/١٠.

الطراز: "قوة اللفظ لأجل المعنى إنما تكون بنقل اللفظ من صيغة إلى صيغة أكثر منها حروفاً"^(١). وذكر الدكتور فاضل السامرائي: "فُعَال (بضم الفاء وتشديد العين) ويتردّ جمعاً لوصف صحيح اللام على فاعل لمذكر كصائم وصوّام وندر في فاعلة كصُدّاد، وهذا الجمع يدل على كثرة القيام بالفعل كالزراع والحفّاظ والقراء، وقد يدل على الحركة أيضاً، وأشهر دلالة لهذا البناء هي التكثر والمبالغة في القيام بالفعل فإن لم يكثروا من القيام بالفعل فلا يطلق عليهم هذا الجمع فليس كل من يزرع شجرة مثلاً هو من الزراع حتى يكثر من ذلك وتكون الزراعة حرفة أو كالحرفة له، فهذا الجمع لتكثر القيام بالفعل لا لتكثر العدد، (فُعَال) إذن لتكثر القيام بالفعل لا لتكثر القائمين به"^(٢). وقال أيضاً: "إنّ ما كان في الصفة المشبهة على (فَعِيل) يصح بناؤه على (فُعَال) للمبالغة في الوصف كطويل وطُوّال وجميل وجُمّال، فإذا أردنا الزيادة في المبالغة شددنا العين فقلنا: (فُعَال)، ك(كُبّار) و(عُجّاب). وأغلب الظن أن هذا البناء أي (فُعَال)، هو أصل ما وافقه كالكُلاب والنُشّاب والعُكّاز وليس العكس وذلك لكثرتة في المبالغة وقتلته في الآلة، ويصحُّ في كل فعيل تحويله إلى فُعَال وفُعَال للمبالغة، فالأصل (فَعِيل) منقول من الصفة المشبهة ثم عُدِلَ إلى فُعَال بالتخفيف ثم فُعَال بالتشديد لزيادة المبالغة"^(٣). وقال الدكتور تَمّام حَسّان: "قد يكون لمراعاة الفاصلة، وهو بمعنى كبير أو أكبر"^(٤).

عُجَاب = عَجِيب أو أَعْجَب.

- قال تعالى: ﴿أَجْعَلِ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

قال الطَّبْرِيُّ: "أي أن هذا لشيء عجيب"^(٥)، وقال الزَّجَّاج: "عجَاب) في معنى عجيب"^(٦)، وقال السمرقندي (ت ٣٧٣هـ): "يعني: لأمر عجيب. والعرب تحوّل فعيلًا إلى فُعَال. وهاهنا

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، يحيى بن حمزة العلوي: ١٦٣/٢.

(٢) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ١٤٨-١٥٠.

(٣) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ١١٧-١١٨.

(٤) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٧٨.

(٥) جامع البيان للطبري: ١٤٩/٢١، وينظر: مفاتيح الغيب: ١٢٤/٢٨، الجامع لأحكام القرآن: ١٤٩/١٥، اللباب في

علوم الكتاب: ٣٧٧/١٦، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ٣٨٠، تفسير الجلالين: ٥٩٨، بصائر ذوي التمييز

في لطائف الكتاب، الفيروزآبادي: ٢١/٤.

(٦) معاني القرآن وإعراجه للزجاج: ٣٢١/٤.

أصله شيء عجيب"^(١). وقال الماوردي: "عجاب بمعنى عجيب كما يقال رجل طوال وطويل، وكان الخليل يفرق بينهما في المعنى فيقول: العجيب هو الذي قد يكون مثله، والعجاب هو الذي لا يكون مثله، وكذلك الطويل والطوال"^(٢). وقال أبو حيان: "قرأ الجمهور: عَجَاب، وهو بناء مبالغة، كرجل طُول وسُرَاع في طويل وسريع. وقرأ علي، والسلمي، وعيسى، وابن مقسم: بتشديد الجيم، وقالوا: رجل كَرَام وطعام طَيَّاب، وهو أبلغ من فَعَالِ المخفض"^(٣). وجاء في الإتيان: "أنه من باب إثارة بعض أوصاف المبالغة على بعض، ف (عَجَاب) أوثر على (عجيب) لذلك"^(٤). وقال الزركشي: "وأما (فَعَال) بالتخفيف والتشديد نحو عَجَاب وكُبَّار، قال تعالى: (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ)، وقال: (ومكروا مكراً كُبَّاراً)، قال المعري في (اللامع العزيزي): (فَعِيل) إذا أريد به المبالغة نقل به إلى (فَعَال) وإذا أريد به الزيادة شددوا فقالوا: (فَعَال) ذلك، من عجيب وعُجَاب وعُجَاب"^(٥). وقال الدكتور فاضل السامرائي: "وعدل من صيغة (عَجِيب) إلى (عُجَاب) وهي أشدَّ عجباً من عجيب، وذلك أنَّ (فَعَالاً) أبلغ من (فَعِيل) عند العرب"^(٦). وقال الدكتور تمام حسان: "هذا من المؤثر الأسلوب الصرفي في إنشاء صيغ جديدة للمبالغة، وعجاب بمعنى عجيب أو أعجب"^(٧).

كِدَابًا = تَكْذِيبًا

- قال تعالى: ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴾ [النبا: ٢٨]، قال الأخفش: "وقال (وكذبوا بآياتنا كذاباً) لأن فعله على أربعة أراد أن يجعله مثل باب (أفعلت) (إفعالاً) فقال (كذاباً)، فجعله على عدد مصدره. وعلى هذا القياس تقول: (قاتل) (قيتالاً) وهو من كلام العرب"^(٨). وقال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وكذب هؤلاء الكفار بحُججنا وأدلتنا تكذيباً. وقيل: (كِذَابًا)، ولم

(١) بحر العلوم، أبو الليث السمرقندي: ٣ / ١٥٨، مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت ٢٠٩): ١٧٦/٢.

(٢) النكت والعيون: ٥ / ٧٨.

(٣) البحر المحيط: ٩ / ١٣٨.

(٤) الإتيان في علوم القرآن: ٣ / ٣٣٩.

(٥) البرهان في علوم القرآن: ٢ / ٥١٣.

(٦) معاني الأبنية في العربية: ٩٨، أسئلة بيانية: ١٦٠.

(٧) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٠٠، مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٧٧.

(٨) معاني القرآن للأخفش: ٢ / ٥٦٤.

يقول توكذبيآ تصديراً على فعله^(١). وقيل: "أي: تكذبيآ"^(٢). وقال البيضاوي: "وكذبوا بآياتنا كذباً: تكذبيآ. وفعل بكسر أوله وتشديد ثانيه بمعنى تفعيل مطرد، شائع في كلام الفصحاء"^(٣)، وجاء في نضرة النعيم: "كذب) أحد مصادر المشدد (أي كذب) ؛ لأن مصدره قد يجيء على تفعيل مثل: تكليم، وعلى فعل مثل: كذب، وعلى تفعلة مثل: توصية وعلى مفعّل مثل: مُمزق"^(٤)، وقال أحمد مختار عمر: "كذب، يكذب، تكذبيآ وكذباً"^(٥)، وقال الغلابي (ت ١٣٦٤هـ): "وسمِع مصدر (فعل) على (فعل)، قليلاً، فقالوا: (كلمته كلاماً)، وفي التنزيل: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَابًا﴾، أي تكذبيآ"^(٦). وذهب الدكتور تمام حسان إلى أنّها بمعنى: "تكذبيآ"^(٧).

(١) جامع البيان للطبري: ١٦٨/٢٤.

(٢) تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني (ت ٤٨٩هـ): ١٤٠/٦، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٥٩٢/٣.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٨٠/٥.

(٤) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: ٥٣٨١/١١.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة: ١٩١٥/٣.

(٦) جامع الدروس العربية، مصطفى الغلابي: ١٦٧/١.

(٧) ينظر: مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٧٨.

● اتفاق بنية اللفظين:

قد تتفق صورة اللفظين ويختلف معناهما الوظيفي أو المعجمي، فينشأ بينهما الجناس، ويحيط بهما اللبس، فإذا ورد من ذلك شيء في القرآن، كان للنص من القرائن الحالية أو المقالية ما يُعَيِّنُ معنىً واحداً للكلمة^(١)، وسنضرب لذلك أمثلة؛ اثنين منها لاتفاق الصورة واختلاف المعنى الوظيفي، والثالث لاتفاقها مع اختلاف المعنى المعجمي:

- اتفاق الصورة واختلاف المعنى الوظيفي:

- الأول: قوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾^(٢) [النمل: ٤٩]، قال الدكتور تمام حسان: "المعروف أن لفظ (تقاسموا) يصلح فعلاً ماضياً كما يصلح أن يكون أمراً فلو كان ماضياً لأعرب بدلاً من (قالوا) وتعلق به الجار والمجرور بعده أو كان الجار والمجرور بداية مقول القول. وإذا كان أمراً فهو ابتداء مقول القول، وليس للجار والمجرور إلا أن يتعلق بالفعل"^(٣). وقال أبو البقاء: "قوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا ﴾، فيه وجهان: أحدهما: هو أمرٌ؛ أي أمرٌ بعضهم بعضاً بذلك؛ فعلى هذا يجوز في (لَنُبَيِّتَنَّهُ) النون؛ تقديره: قولوا لنبيته، والتاء على خطاب الأمر المأمور؛ ولا يجوز الياء. والثاني: هو فعل ماضٍ؛ فيجوز الأوجه الثلاثة وهو على هذا تفسير ل(قالوا)"^(٤). وقال ابن عادل (ت ٨٨٠هـ): "قوله: ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا ﴾ يجوز في (تقاسموا) أن يكون أمراً، قال بعضهم لبعض: احلّفوا على كذا، ويجوز أن يكون فعلاً ماضياً، وحينئذ يجوز أن يكون مفسراً ل(قالوا) كأنه قيل: ما قالوا؟ فقيل: تقاسموا. ويجوز أن يكون حالاً على إضمار(قد)، أي: قالوا ذلك متقاسمين"^(٥)، وقال السمين: "قوله: (بالله) إن جعلت (تقاسموا) أمراً تعلق به الجار قولاً واحداً، وإن جعلته ماضياً احتل أن يتعلق به، ولا يكون داخلاً تحت المقول، والمقول هو (لنبيته) إلى آخره. واحتل أن يتعلق بمحذوف هو فعل القسم، وجوابه (لنبيته) فعلى هذا

(١) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣٢٧.

(٢) المصدر نفسه: ٣٢٨.

(٣) التبيان في إعراب القرآن: ١٠١٠/٢.

(٤) الباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي النعماني: ١٥ / ١٧٨، وينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض

معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: ٦٥/٣، إعراب القرآن وبيانه: ٢٢٢/٧.

يكون مع ما بعده داخلاً تحت المقول^(١). وقال محمود صافي: "تقاسموا: فاعل وتفاعل: صيغتان للمشاركة، تفيد كل منهما أن أكثر من واحد اشتركا في الفعل، لذلك دعيت بصيغة المشاركة، وجملة: (تقاسموا...) في محلّ نصب مقول القول"^(٢). وقال محي الدين درويش: "تقاسموا فعل أمر أي احلفوا"^(٣)، وأضاف الدكتور تمام حسّان: "ويشهد لإرادة المعنى الثاني دون الأول أنّ منطوق الآية كشف عن قصة التدبير والمكيدة التي يدل عليها قولهم ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾، وإذا كان الأمر كذلك فإن على كل منهم أن يقسم ألا يشي بالآخرين ومن هنا طُلب القسم والاستيثاق من الكتمان"^(٤).

- الثاني: قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩]، وقوله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]، قال الشوكاني: "آتيك فعل مضارع، وأصله آتيتك بـهمزتين، فأبدلت الثانية ألفاً، وقيل: هو اسم فاعل"^(٥)، وجاء في مغني اللبيب: "يحتمل (آتيك) أن يكون فعلاً مضارعاً ومفعولاً، وأن يكون اسم فاعل ومضافاً إليه مثل: ﴿وَإِنِّي لَأَمِينٌ﴾ [النمل: ٤٠]، ويؤيده أنّ أصل الخبر الأفراد"^(٦)، وهو ما قاله الرَّحْمَنِيُّ^(٧) والرَّازِيُّ^(٨) وأبو البقاء^(٩) والألوسي^(١٠). وقال الدكتور تمام حسّان: "وفي النصين نجد لفظ (آتيك) تصلح فعلاً مضارعاً فاعله مستتر ومفعوله الكاف، وكذلك تصلح اسم فاعل مضافاً إلى الكاف، والذي يشرح المعنى الأول أنّهما كانا

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٨ / ٦٢٤.

(٢) الجدول في إعراب القرآن: ١٩ / ١٨٢.

(٣) إعراب القرآن وبيانه: ٧ / ٢٢٢.

(٤) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣٢٨.

(٥) فتح القدير للشوكاني: ٤ / ١٦١، وينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤ / ٢٦١.

(٦) مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٤٩٨.

(٧) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٣ / ٣٦٨.

(٨) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٤ / ٥٥٧.

(٩) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢ / ١٠٠٩.

(١٠) ينظر: روح المعاني: ١٠٠ / ١٩٧.

يعارضان إيقاع حدث لم يقع ويناسبه الفعل المضارع أما اسم الفاعل المضاف فإنه يدل على وقوع الحدث فعلاً^(١).

- اتفاق الصورة واختلاف المعنى المعجمي:

- الثالث: قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، قال الخليل في كتاب العين: "الأيد: القُوَّة، وبلغت تميم الآد، ومنه قيل: أَدَّ فلانٌ فلاناً إذا أعانته وقَّواه. والتأييد: مصدر أيَّدته أي قَوَّيْتُهُ. وقوله تعالى: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) أي بقُوَّة. وإيادُ كُلِّ شيءٍ ما يُقَوَّى به من جانبيهِ، وهما إياداه، وإياد العسكر الميمنة والميسرة، وكلُّ شيءٍ كان واقياً لشيءٍ فهو إياده"^(٢)، وذكر الطبري: "عن مجاهد، وعن قتادة، قوله (بأيدي): أي بقُوَّة"^(٣). وقال الواحدي: "بقدره وقوة"^(٤)، وعليه قول القرطبي^(٥). وقال الفخر الرازي: "بأيدي أي قوة، والأيد القوة هذا هو المشهور وبه فسر قوله تعالى: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧]، يحتمل أن يقال إن المراد جمع اليد، ودليله أنه قال تعالى: ﴿قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ اسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَانَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَكَونَ﴾ [يس: ٧١]، وهو راجع في الحقيقة إلى المعنى الأول، وعلى هذا فحيث قال: خلقت، قال: بيدي وحيث قال: بنينا قال: بأيدي، لمقابلة الجمع بالجمع"^(٦). وجاء في البحر: "بأيدي: أي بقوة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة، وهو كقوله: ﴿دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧]، وقوله: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، أي بناءها، فالجملة حالية، أي بنيناها موسعوها، كقوله: جاء زيد وإنه لمسرع، أي مسرعا، فهي بحيث أن الأرض وما يحيط من الماء والهواء

(١) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣٢٨.

(٢) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ): ٩٧/٨.

(٣) جامع البيان للطبري: ٤٣٨ / ٢٢.

(٤) الوسيط للواحدي: ١٨٠/٤.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥٢/١٧.

(٦) مفاتيح الغيب: ١٨٧-١٨٨.

كالنقطة وسط الدائرة... وقيل: لموسعون قوة وقدرة، أي لقادرون من الوسع، وهو الطاقة^(١). وقال ابن كثير: " (بأيد) أي: بقوة. قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والثوري، وغير واحد، (وإنما لموسعون)، أي: قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد، حتى استقلت كما هي"^(٢). قال أبو العباس المراكشي: "إنما كتبت (بأييد) بياءين فرقاً بين الأيد الذي هو القوة وبين الأيدي جمع يد، ولا شك أن القوة التي بنى الله بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر في أدراك الملكوتي في الوجود"^(٣). وقال الأزهري: "قال أبو عبيد عن الأصمعي: هو الأيد والآد للقوه والتأييد مصدر أيده، أي قوته، قال الله عز وجل: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [المائدة: ١١٠]، وقُرئ: إذا آيدتك أي: قويتك"^(٤). وقال ابن منظور: "واليد: القوة. وأيده الله أي قواه. وما لي بفلان يدان أي طاقة"^(٥). وجاء في ظلال القرآن: "والأيد: القوة. والقوة أوضح ما ينبئ عنه بناء السماء الهائل المتناسك المتناسق. بأي مدلول من مدلولات كلمة السماء. سواء كانت تعني مدارات النجوم والكواكب. أم تعني مجموعة من المجموعات النجمية التي يطلق عليها اسم المجرة وتحوي مئات الملايين من النجوم. أم تعني طبقة من طبقات هذا الفضاء الذي تتناثر فيه النجوم والكواكب.. أم غير هذا من مدلولات كلمة السماء"^(٦). وقال عبد العزيز المطعني: "فقد أراد بـ (الأيدي) المعنى البعيد الذي هو القدرة، وقد قرن بها ما يلائم المعنى القريب الذي هو الجارحة المخصوصة، وهو (بنيانها) لأن البناء يكون باليد، والذي يبدو أن الآية من قبيل الاستعارة التمثيلية وإذ معناها يرجع إليها عند التحقيق"^(٧). فتفسير كلمة أيد هي قوة و القوة مفردة فلو كانت أيد جمع لكان تفسيرها قوى، وليس قوة، فدل التفسير على أن كلمة أيد مفردة و هذا يوافق مصدرها الأيد والآد. وقال الدكتور تمام حسان: "ويصلح لفظ بأيد لمعنيين أحدهما الأيدي (جمع يد) والثاني الأيد"

(١) البحر المحيط: ٥٦٠/٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٤٢٤/٧.

(٣) عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل: ٩١، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣٨٧/١.

(٤) تهذيب اللغة: ١٤/١٦١.

(٥) لسان العرب: ١٥/٤٢٢.

(٦) في ظلال القرآن: ٦/٣٣٨٥.

(٧) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ٤٢٢/٢.

(وهو القوة) ومنه التأيد أي التقوية والقدرة^(١)، و"يشهد للمعنى الثاني أن الله إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون. وأما قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ^ط أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ [ص: ٧٥]، أي بدون عون أو وكيل^(٢).

(١) الفكر اللغوي الجديد: ١٧٦، وينظر: مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣٢٨.

(٢) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣٢٧-٣٢٨.

● أمن اللبس في بنية الكلمة:

- قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء: ١٠٣]، قال السمرقندي: "قال بعضهم: فإذا فرغتم من الصلاة فادكروا الله بالقلب واللسان على أي حال كنتم قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم إن لم تستطيعوا القيام، ويقال: فإذا قضيت الصلاة، أي إذا صليتم في دار الحرب فصلوا على الدواب، أو قياماً أو قعوداً أو على جنوبكم إن لم تستطيعوا القيام، إذا كان خوفاً أو مرضاً"^(١). وقال الزَّخَشَرِيُّ: "فإذا صليتم في حال الخوف والقتال فادكروا الله فصلوها (قياماً) مسافين ومقارعين (وقعوداً) جاثين على الركب مرامين (وعلى جنوبكم) متخنين بالجراح"^(٢). وقال السمين: "و(قياماً وقعوداً) حالان من فاعل (يذكرون). و(وعلى جنوبهم) حال أيضاً، فيتعلق بمحذوف، والمعنى: يذكرونه قياماً وقعوداً ومضطجعين، فعطف الحال المؤولة على الصريحة، و(قياماً) و(قعوداً) جمعان ل (قائم) و (قاعد). وأجيز أن يكونا مصدرين"^(٣). وقال أبو زهرة (ت ١٣٩٤هـ): "وقوله تعالى: ﴿ قِيَمًا وَقُعُودًا ﴾، مصدران وُضِعَا مَوْضِعَ الوصف وموقعهما في الإعراب أنهما حالان"^(٤). وذكر محمود صافي أن: "قياماً، إما مصدر قام يقوم باب نصر، وزنه فعال بكسر الفاء، وإما جمع قائم اسم فاعل من قام يقوم، وقد قلبت الواو همزة لجيئها بعد ألف فاعل، وأصله قاوم، وفي قيام إعلال بالقلب أصله قواماً وهو مصدر أو بلفظ المصدر. (قعوداً)، (إمّا) مصدر سماعي لفعل قعد يقعد باب نصر وزنه فُعُول بضمّتين، وإما جمع قاعد اسم فاعل من قعد على وزن فاعل"^(٥). وقال الدكتور تمام حستان: "ويلاحظ أن لفظي (قياماً) و(قعوداً) يصلحان جمعاً لقائم وقاعد كما يصلحان مصدرين للفعلين (قام) و (قعد) على الترتيب وفي كلتا الحالتين يعربان حالاً ولكن الذي يحدد المعنى على إرادة الجمع هو قوله (وعلى جنوبكم) لأن ذلك يجعل المعنى على تحديد البيئات أي قائمين وقاعدين ومضطجعين وهذا أولى وأوجه من المعنى

(١) بحر العلوم: ١/ ٣٣٤.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١/ ٥٦٠.

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٣/ ٥٣١، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٦/ ١١١، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: ١/ ٢٧٤.

(٤) زهرة التفاسير: ٣/ ١٥٤٧.

(٥) الجدول في إعراب القرآن: ٤/ ٤١٢.

الآخر" (١).

- قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا يَبْتَغِي دَرَجَاتٍ مِّنْ عِندِ رَبِّهِ لَعَلَّ يُسْقِنَهُ لِيَلِدَ كَثِيرًا مِّنْ ذُرِّيَّتِهِ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴿ [الأعراف: ٥٧]، قال الزجاج: "ومن قرأ بُشْرًا بالتونين فهو جمع: يقال: ربح بشور، أي تبشر بالغيث. ومن قرأ بشراً بالضم، فهو على أصل الجمع" (٢). وقال ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ): "بُشْرًا جَمْعُ بَشُورٍ وَبُشْرًا مُخَفَّفٌ مِنْهُ" (٣)، وقال السمين: "وقرأ عاصم: (بُشْرًا) بالباء الموحدة مضمومة وسكون الشين، وهو جمع بشيرة كنديرة ونذر. وقيل: جمع فاعيل كقليب وقلب ورغيف ورغف، وهي مأخوذة في المعنى من قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَيْنَهُ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ ﴾ [الروم: ٤٦]، أي تبشر بالمطر" (٤)، وقال بيان الحق النيسابوري (ت ٥٥٣ هـ) أي: "ساعيات، وقد فُرى (بشراً) جمع بشير؛ لأن الريح تبشر بالسحاب، وفُرى (بشراً) مصدر في موضع الحال، أي: باشرات بمعنى مبشرات" (٥). قال أبو حيان: "هذه غاية لإرسال الرياح والمعنى أنه تعالى يرسل الرياح مبشراتٍ أو مبشراتٍ إلى سوق السحاب وقت إقلاله إلى بلدٍ ميّت" (٦). وقال الألويسي: "بُشْرًا تخفيف بُشْرًا بضمين جمع بشور بمعنى مبشر أي أرسل الرياح مبشرات" (٧). قال أبو زهرة: "وبشراً: جمع بشير، كقليب جمع قليب، وأصلها (بُشْرًا)، وسكنت للتخفيف، والمعنى أن الرياح تنتشر، مبشرة بأن السحاب سيمطر مطراً يكون غيثاً، وهي تكون منتشرة معلمة بالبشرى بالماء الذي يحيي الأنفس، ويحيي موات الأرض" (٨). قال محمود صافي: " (بشراً)، جمع بشور، صفة مشتقة مبالغة اسم الفاعل وزنه فَعُولُ بفتح الفاء، أو جمع بشير، وبُشْرٌ بضم الباء وسكون الشين وهو مخفف من بُشْرٌ بضمين" (٩). وقال محي الدين

(١) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣٣٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٧١/٤.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن اسماعيل ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ): ٥٩/٨، وينظر: تاج العروس: ١٠/١٩٥.

(٤) الدر المصون: ٣٤٩/٥، وينظر: مفاتيح الغيب: ٢٨٧/١٤، فتح القدير للشوكاني: ٢٤٤/٢.

(٥) باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن: ٥٢٢/١.

(٦) البحر المحيط: ٧٧/٥.

(٧) روح المعاني: ٣٠/١٠.

(٨) زهرة التفاسير: ٢٨٧٢/٦.

(٩) الجدول في إعراب القرآن: ٤٣٧/٨.

درويش: "(بُشْرًا) بضمّ الباء وسكون الشين جمع بشير، أي مبشرات"^(١). وقال الدكتور تمام حسّان: "وقد كان يمكن للسامع أن يفهم (بُشْرًا) بمعنى (بُشْرَى) لولا أمران: الأول: التنوين في (بُشْرًا) مما يصرفها عن معنى ألف التأنيث المقصورة لأن المقصورة لا تنون عند إرادة التأنيث وإن نونت فيما عدا ذلك مثل: فتى وعصاً. والثاني: أن ما يتلو هذا اللفظ يعد شرحاً له فالرياح البشر جمع بشور وهي التي حددت الآية معناها بأنها: ﴿أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُفِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الأعراف: ٥٧]"^(٢).

● العدول عن الاصل:

صاغ النحاة ضوابط تصريفية وتأويلية للرد إلى الأصل ولتقدير ما ينسجم مع الأصل عند العدول عن الأصل^(٣): وسنضرب أمثلة على تلك الضوابط:

لُتْبَلُونُ:

- قال تعالى: ﴿لُتْبَلُونُ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، حيث حصلت في (لتبلون) التغييرات الآتية:

أ- اجتمعت في آخر الكلمة ثلاث نونات في الأصل فصارت الكلمة (لُتْبَلُؤُونَنَّ) المشددة بنونين.

ب- "حذفت نون الرفع (الأولى) لأجل نون التوكيد لكرهية توالي الأمثال (طبقاً للقاعدة)، ولأنها لا تتعلق بوجودها معنى بخلاف نون التوكيد"^(٤)، فأصبحت الكلمة لتبلؤوناً.

ج- "إلتقى ساكنان هما واو المد والعنصر الأول من نون التوكيد المشددة"^(٥).

د- "حذفت واو المد وهي لام الكلمة لدلالة الضمة التي قبلها عليها، وضمت الواو

^(١) إعراب القرآن وبيانه: ٣ / ٣٦٨.

^(٢) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣٣٢.

^(٣) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٠٢.

^(٤) الباب في علوم الكتاب: ١٠٠/٦، مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ١٥٧، تفسير الجلالين: ٩٤، السراج المنير:

٢٧٢/١، شرح شذور الذهب: ٩٤.

^(٥) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٠٢، مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ١٥٧.

لسكونها وسكون النون"^(١). و"لم تكسر لالتقاء الساكنين لأنها واو جمع فحرت بما كان يجب لما قبلها من الضم"^(٢)، ولم يجر حذفها لأنها ليس قبلها ما يدل عليها. "ولا يجوز همز الواو في (لتبلون) لأن حركتها عارضة، قاله النحاس وغيره. ويقال للواحد من المذكور: تَبْلِيَّ يا رجل. وللاثنين: تَبْلِيَّانِ يا رجلان. ولجماعة الرجال: تَبْلِيُونٌ"^(٣). فصارت الكلمة (لتبلون)^(٤). وقال السمين في هذه المسألة: "أصله: لتبلوونن، فالنون الأولى للرفع حذفت لأجل نون التوكيد، وتحركت الواو التي هي لام الكلمة وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، فالتقى ساكنان: الألف وواو الضمير، فحذفت الألف لئلا يلتقيا، وضمت الواو دلالة على المحذوف، وإن شئت قلت: استثقلت الضمة على الواو الأولى فحذفت فالتقى ساكنان، فحذفت الواو الأولى، وحركت الواو بحركة مجانسة دلالة على المحذوف. ولا يجوز قلب مثل هذه الواو همزة لأنها حركة عارضة ولذلك لم تقلب ألفاً وإن تحركت وانفتح ما قبلها"^(٥).

(١) زاد المسير في علم التفسير: ٣٥٧/١، وينظر: مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ١٥٧ - ١٥٨.

(٢) مفاتيح الغيب: ٤٥٣/٩، غرائب القرآن ورجائب الفرقان: ٣٢٣/٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٣٠٣/٤، التبيان في إعراب القرآن: ٣١٨/١.

(٤) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٠٢.

(٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٥٢٢/٣-٥٢٣، تاج العروس: ٥٢٤/٤٠، الخصائص: ١٤٩/١.

• طلبُ الخفَّةِ:

إن أصل الوضع يأتي عن طريق التجريد ولكن أصل الاشتقاق وأصل الصيغة يأتيان عن طريق الاستقراء من خلال مباني التصريف. ومن المعلوم أن طلب الخفة قضية أسلوبية، ولكن طلب الخفة لا يرقى في الأهمية إلى مستوى التركيب عند تعارض التركيب والأسلوب، إذ يكون التركيب عندئذ أولى بالرد إلى الأصل من طلب الخفة كما في الأمثلة الآتية:

- إدغام اللام في الراء:

- قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين ١٤]، قال سيبويه: "فإذا كانت اللام غير لام المعرفة نحو لام (هل) و(بل)، فإن الإدغام في بعضها أحسن، وذلك قولك: (هرأيت) لأنها أقرب الحروف إلى اللام وأشبهها بها، فصارعتا الحرفين اللذين يكونان من مخرج واحد، إذ كانت اللام ليس حرفاً أشبه بها منها ولا أقرب، كما أن الطاء ليس حرف أقرب إليها ولا أشبه بها من الدال. وإن لم تدغم فقلت: هل رأيت فهي لغة لأهل الحجاز؛ وهي عربية جائزة"^(١). وقال الزجاج: "﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بإدغام اللام في الراء وتفخيم الألف. وقد قرئت (بل ران)، بإمالة الألف والراء إلى الكسر. وقرئت (بل ران) بإظهار اللام والإدغام، والإدغام أجود لقرب اللام من الراء، ولغلبة الراء على اللام. وإظهار اللام جائز إلا أن اللام من كلمة، والراء من كلمة أخرى"^(٢). وقال الرخّشري: "وقرئ بإدغام اللام في الراء وبالإظهار، والإدغام أجود، وأميلت الألف وفخمت"^(٣). "وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: (بَلْ رَانَ)، بإدغام اللام في الراء، وقرأ نافع: (بَلْ رَانَ) غير مدغمة، وقرأ عاصم: (بَلْ) ويقف ثم يبتدئ (رانَ)، وقرأ حمزة والكسائي: بالإدغام وبالإمالة في (رانَ)، وقرأ نافع أيضاً: بالإدغام والإمالة، قال أبو حاتم: القراءة بالفتح والإدغام"^(٤)، وقال أبو حيان: " (بل ران)، قرئ بإدغام اللام في الراء، وبالإظهار وقف حمزة على بل وفقاً خفيفاً يسير التبيين الإظهار. وقال أبو جعفر بن البادش: وأجمعوا، يعني القراءة، على إدغام اللام في الراء إلا ما

(١) الكتاب لسيبويه: ٤٥٧/٤.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢٩٩/٥.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٧٢١/٤.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤٥٢/٥. زاد المسير في علم التفسير: ٤١٥/٤.

كان من سكت حفص على (بل)، ثم يقول: (ران)^(١)، وقال الرَّحْمَشَرِيُّ: "وقرئ بإدغام اللام في الراء، وبالإظهار، والإدغام أجود، وأميلت الألف وفحمت"^(٢). وقال الطاهر بن عاشور: وقرأ الجمهور بإدغام اللام في الراء بعد قلبها راء لتقارب مخرجيهما"^(٣). وقال ابن جزبي: " (بل ران): قرأها حفص بإظهار اللام وقرأ الباقون بالإدغام"^(٤)، وجاء في معاني القراءات للأزهري: "قال أبو منصور: من قرأ بإظهار اللام فلأن اللام من كلمة والراء من أخرى. ومن قرأ بالإدغام فلقرّب مخرج اللام من مخرج الراء، مع غلبة الراء على اللام"^(٥). وجاء في روح البيان للآلوسي: "والقول ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، قرأ حفص عن عاصم (بل) بإظهار اللام مع سكتة عليها خفيفة بدون القطع وبيئدئ (ران) وقرأ الباقون بإدغام اللام في الراء ومنهم: حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر عن عاصم يميلون فتحة الراء، قال بعض المفسرين هرب حفص من اجتماع ثقلي الراء المفخمة والإدغام، ويرد عليه (قل ربي) فانه لا سكتة فيه بل هو بإدغام أحد المتقاربين في الآخر فالوجه انه انما سكت حفص على لام (بل ران) وكذا على نون (من راق) خوف اشتباهه بثنية (البر) ومبالغة (مارق) حيث يصير (بران) و(مرّاق)^(٦). وقال سيبويه: "وقد تدغم هذه اللام والنون مع الراء، لأنك لا تخل بهما كما كنت محلاً بها لو أدغمتها فيهما، ولتقاربهن، وذلك: هرايت، ومرأيت"^(٧). وفسّر الدكتور تمام حسّان هذا الأمر بقوله: كان إظهار اللام الساكنة في (بل) أولى من إدغامها في الراء المتحركة في (ران)، لأنّ المنطوق عندئذ سيكون (بران) بتشديد الراء. أما إذا لم يرد هذا الاحتمال فإنّ اللام تدغم في الراء بحسب طلب الخفة، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، بإدغام لام (قل) في راء (ربي) طلباً للخفة^(٨).

(١) البحر المحيط: ٤٢٨/١٠-٤٢٩.

(٢) الكشف: ٧٢١/٤.

(٣) التحرير والتنوير: ١٩٩/٣٠.

(٤) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٦١/٢.

(٥) معاني القراءات للأزهري: ١٣٠/٣.

(٦) روح البيان: ٣٦٧/١٠.

(٧) الكتاب لسيبويه: ٤٤٨/٤.

(٨) ينظر: مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ١٤٣-١٤٤.

– إدغام (نعم) في (ما):

– إدغام (نعم) في (ما)^(١) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، قال سيبويه: "وأما قول بعضهم في القراءة: (إن الله نِعِمَّا يعظكم به)، فحرك، فليس على لغة من قال نَعْم فأسكن العين، ولكنه على لغة من قال نَعَم فحرك العين. وحدثنا أبو الخطاب أنها لغة هذيل، وكسروا كما قالوا لِعِبِّ"^(٢). وقال الزجاج: "هذه على أوجه (نِعِمَّا) بكسر النون والعين وإدغام الميم في الميم. وإن شئت فتحت النون، وإن شئت أسكنت العين فقلت (نعمًا)، إلا أنّ الأحسن عندي الإدغام مع كسر العين فأما من قرأ (نعم ما) بإسكان العين والميم، فهو شيء ينكره البصريون، ويزعمون أن اجتماع الساكنين أعني العين والميم غير جائز، والذي قالوا بئِنَّ، وذلك إنه غير ممكن في اللفظ، إنما يحتال فيه بمشقة في اللفظ"^(٣). وقال ابن عطية: "وأما من قرأ (نِعِمَّا) بكسر النون والعين، فحجته أن أصل الكلمة (نعم) بكسر الفاء من أجل حرف الحلق"^(٤). وقيل: "الأصل في قوله (نعمًا) نعم ما، إلا أنه أدغم أحد الميمين في الآخر"^(٥)، وقال القرطبي: "قال أبو علي: من قرأ بسكون العين لم يستقم قوله، لأنه جمع بين ساكنين الأول منهما ليس بحرف مد ولين وإنما يجوز ذلك عند النحويين إذا كان الأول حرف مد، إذ المد يصير عوضا من الحركة، وهذا نحو دابة وضوال ونحوه"^(٦). وقال الراغب: "وقوله: (فَنِعِمَّا هِيَ) قرئ مكسور النون والعين وكسر النون إتباع لكسر العين، وقرئ بفتح النون وكسر العين وقرئ بسكون العين وكسر النون وتشديد الميم وبتخفيف الميم أيضا، والسكون بعيد لالتقاء الساكنين، وليس أحدهما حرف مد ولين، والتخفيف كذلك لحذف لام الفعل أو الميم من ما، وكلاهما لا ينقاس"^(٧). وقال ابن عصفور (ت ٦٦٩هـ): "أمّا قول بعضهم في القراءة (نِعِمَّا): فحرّك، فلم يُحرّك العين

(١) ينظر: مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣٠٥.

(٢) الكتاب لسيبويه: ٤٣٩/٤-٤٤٠.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٦٧/٢.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٦٦/١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٣٣٥/٣.

(٦) مفاتيح الغيب: ٦١/٧.

(٧) تفسير الراغب الأصفهاني: ٥٦٩/١-٥٧٠.

للإدغام، بل جاء على لغة من يقول (نِعِم)، فَيُحَرِّكُ العَيْنَ، وهي لغة هذيل^(١). قال السمين: "وقرأ ابن كثير بكسر النون والعين وإدغام الميم في الميم: (فنعما). وأصله نعم فكسرت النون لكسرة العين، وتحتمل قراءة كسر العين أن يكون أصل العين السكون، فلما وقعت بعدها (ما) وأدغم ميم (نعم) فيها كسرت العين لالتقاء الساكنين. وهو محتمل"^(٢). وجاء في تاج العروس: "قال ابن الأثير: وأصله نعم ما، فأدغم وشدد، وما غير موصوفة ولا موصولة، كأنه قال: نعم شيئاً المال، والباء زائدة. وقال الجوهري: وإن أدخلت على نعم ما قلت: (نعما يعظكم به) تجمع بين الساكنين، وإن شئت حركت العين بالكسر"^(٣)، وجاء في إبراز المعاني: "واعلم أن: (نِعِمًا) كلمتان كتبنا متصلتين، والتقى المثالان فأدغمت الميم في الميم، واتفق القراء على الإدغام موافقة لحظ المصحف فإنهما كتبنا بميم واحدة، وهذا موضع اتفق عليه من باب الإدغام الكبير؛ لأن الميم من نعم متحركة مفتوحة، وقد أدغمت في الميم من ما الداخلة عليها، وكان الأصل نعم ما كما تقول: بئس ما، ولما أريد الإدغام لم يمكن مع سكون العين قبلها فكسرت، فمن القراء من أشبع الكسر في الموضعين معاً، وهم ابن كثير، وورش، وحفص، وكل من فتح النون، ومنهم من أخفى الكسر، واختلسه تنبيهاً على أن أصل هذه العين السكون، وهم أبو عمرو، وقالون، وأبو بكر"^(٤)، وقال الأزهري: "قال أبو عبيد: قرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم وأبو عمرو: (فنعما) بكسر النون وجزم العين وتشديد الميم، وقرأ حمزة والكسائي: (فنعما) بفتح النون وكسر العين"^(٥). وقال السيوطي: "وفي (ما) مع (نعم) و (بئس) وجهان حكاهما ابن قتيبة الفصل على الأصل والوصل لأجل الإدغام في نعما وحملت بئسما عليها وقد رسما في المصحف بالوصل"^(٦). وجاء في الميزان في أحكام تجويد القرآن: "نِعِمًا) أصلها (نعم ما) فكسرت العين، وسكنت الميم الأولى، وأدغمت في الثانية المتحركة بالفتح (إدغاما كاملاً بغنة) فصارت ميماً واحدة مشددة"^(٧). وقال الطاهر بن عاشور:

(١) الممتع الكبير في التصريف: ٤١٥.

(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ٦٠٩/٢، ٦٦٦٢/١٠.

(٣) تاج العروس: ٥١٥/٣٣.

(٤) إبراز المعاني من حرز الأماني: ٣٧٤.

(٥) تهذيب اللغة: ١٠/٣.

(٦) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ٥١٣/٣، وينظر: أدب الكتاب لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ): ٢٣٧.

(٧) الميزان في أحكام تجويد القرآن: ١٣٩.

"و(نعماً) أصله (نعم ما) رَكَّبَتْ (نعم) مع (ما) بعد طرح حركة الميم الأولى وتنزيلها منزلة الكلمة الواحدة، وأدغم الميمان وحَرَّكَتْ العين الساكنة بالكسر للتخلص من التقاء الساكنين"^(١). وذكر في الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر: "الأصل (نعم) بفتح النون، وكسر العين، فكسرت النون اتباعاً لكسرة العين، ثم سكنت العين تخفيفاً، وجاز الجمع بين ساكنين، لأن الساكن الثاني مدغم"^(٢)، وجاء في النحو الوافي: "ويقول أكثرهم إن: (ما) توصل خطأً بآخر الفعل: (نعم وبئس) وتدغم هي و (ميم) نعم، وتكسر عندئذ (العين) للتخلص من السكون الناشيء من الإدغام"^(٣)، وأصل هذا اللفظ (نعم ما)، وقد رسمت موصولة هكذا (نعما) وأجمع القراء على إدغام الميمين، ولكن الخلاف بينهم حاصل في حركتي النون والعين؛ والإجماع على إدغام الميمين في (نعم ما) يشبه الإجماع على إدغام النونين في (تأمننا)؛ إذ رسمت (نعما) بميم واحدة مشددة ورسمت (تأمننا) بنون واحدة مشددة، لكن أصل هذه (نعم ما) وأصل تلك (تأمننا).

- إدغام نون الرفع في نون الوقاية:

- إدغام نون الرفع في نون الوقاية^(٤)، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤]. قال الواحدي: "وتأمروني بنون مشددة على إسكان الأولى وإدغامها في الثانية"^(٥)، وقال القرطبي: "قرأ نافع (تأمرؤني) بنونٍ واحدةٍ مخففةٍ وفتح الياء، وقرأ ابن عامر (تأمرؤني)، بنونين مخففتين على الأصل. الباقيون بنون واحدة مشددة على الإدغام، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، لأنها وقعت في مصحف عثمان بنون واحدة، وقرأ نافع على حذف النون الثانية وإنما كانت المحذوفة الثانية، لأن التكرير والتثقيب يقع بها، ولا يجوز حذف النون الأولى أيضاً، لأنها دلالة الرفع"^(٦)، وجاء في معاني القراءات: "قال أبو منصور: مَنْ شَدَّدَ النونَ فلأنهما نونان، إحداهما: نون الجمع، والثانية: نون الإضافة"^(٧). وفي حجة

(١) التحرير والتنوير: ٩٦/٥.

(٢) الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر: ٩٥/٢.

(٣) النحو الوافي، عباس حسن: ٣٧٢/٣.

(٤) ينظر: مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣٠٥.

(٥) الوسيط للواحدي: ٥٩٢/٣.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٦/١٥.

(٧) معاني القراءات للأزهري: ٣٤١/٢.

القراءات: " (تأمرونيّ) بالتشديد، الأصل: تأمروني، النون الأولى علامة الرفع والثانية مع الياء في موضع النصب، ثم أدغموا الأولى في الثانية فيصير: (تأمرونيّ)"^(١)، وقال محمود صافي: "ونحو (تأمروني) يجوز فيه الفك والإدغام (تأمرونيّ) والنطق بنون واحدة. وقد فُرىَّ بهن في السبعة. وعلى الأخيرة (أي القراءة بنون واحدة تأمروني) فقيّل: النون الباقية نون الرفع، وقيل: نون الوقاية، وهو الصحيح"^(٢). وقال محي الدين درويش: "النون مشددة على الأصل وقد خففت بحذف الثانية، ونون تأمروني نون الرفع كسرت للمناسبة وحذفت نون الوقاية لاجتماع المثليين"^(٣). والمحذوف هو النون الأولى، نص على ذلك سيبويه حيث قال: "وإذا كان فعل الجميع مرفوعاً ثم أدخلت فيه النون الخفيفة أو الثقيلة حذفت نون الرفع، وذلك قولك: لَتَفْعَلَنَّ ذَاكَ وَلَتَذْهَبَنَّ، لأنّه اجتمعت فيه ثلاث نونات فحذفوها استثقلاً. وتقول: هل تفعلنّ ذاك، تُحذف نون الرفع لأنّك ضاعفت النون، وهم يستثقلون التضعيف، فحذفوها إذ كانت تُحذف، وهم في ذا الموضع أشدّ استثقلاً للنونات، وقد حذفوها فيما هو أشدّ من ذا"^(٤). وجاء في شرح الكافية الشافية أن: "نون الوقاية لا يجوز حذفها مفردة مع فعل غير (ليس). فلو حذف نون الوقاية، وأبقي نون الرفع لتعرض بذلك إلى حذف نون الرفع عند دخول الجازم والناصب. وإذا حذف نون الرفع لم يعرض لنون الوقاية ما يقتضي حذفها. وحذف ما لا يجوز إلى حذف أولى من حذف ما يجوز إلى حذف"^(٥).

(١) حجة القراءات: ٦٢٥.

(٢) الجدول في إعراب القرآن: ٢٠٦/٢٤.

(٣) إعراب القرآن وبيانه: ٤٤٢/٨.

(٤) الكتاب لسبويه: ٥١٩/٣.

(٥) شرح الكافية الشافية: ٢٠٩/١، وينظر: السَّماع والقياس: ٩٠.

الفصل الثاني

خصائص نحوية وظواهر لغوية

المبحث الأول: خصائص نحوية

- محور القرب والبعد في تضام عناصر النص القرآني
- عود الضمير
- عود الضمير إلى أقرب مذكور
- عود الضمير إلى أبعد مذكور
- المسافة بين طرفي الاسناد
- نسخ جملة الخبر
- التعديّة
- الموصوف وصفته
- الجار والمجرور ومتعلقه
- الحرف ومدخوله
- الفصل بين المتعاطفين
- المستثنى منه والمستثنى
- التكرار تجنباً لأثر البعد.

المبحث الأول: خصائص نحوية:

محور القرب والبعد في تضام عناصر النص القرآني:

"لا بد لكل نظام أن يبنى على محاور من العلاقات المترابطة إيجاباً وسلباً يشتمل كل منها على قطبين أو أكثر، ويصدق ذلك على كافة أنواع الأنظمة، ومنها نظم اللغة العربية. لقد عُني النحاة العرب منذ بدء التفكير في قضايا النحو العربي بتناول هذه المحاور العلائقية، وبكيفية ربطها بين عناصر الكلام، فخرجوا من ذلك بالكشف عن أثر هذه المحاور في ضبط القواعد التي تصف اللغة وطرق استعمالها. ولننظر أول الأمر في محور أقسام الكلم، فلهذا المحور أقطاب متعددة منها الاسم والفعل والحرف، والعلاقة بين كل قطب منها وبين الآخر علاقة تقابل وسلب، بمعنى أنّ القطبين لا يجتمعان في عنصر واحد في جملةٍ بعينها، ولكن كل قطب منها في الاستعمال يتقاطع مع أقطاب المحاور الأخرى، فإذا نظرنا إلى عناصر جملة مثل: (أكل الغلام التفاحة) وجدنا تقاطع أقطاب المحاور من أقسام الكلم إلى الشخص والعدد والنوع والتعيين والذكر والإعراب والتضام والعلاقة السياقية والترتبة ونحوها مما تعتمد وظيفة اللفظ المفرد في هذه الجملة بذاتها عليه. وهذا التقاطع بين أقطاب المحاور هو اللبّات التي تتحقق بها شروط الصياغة، وبها يقوم صرح المعنى، ويؤمّن بها اللبس، ومعنى أن العناصر المتقاطعة أقطاب المحاور أنّ كل واحد منها يقابله قطب آخر أو أكثر في حدود المحور الذي ينتمي إليه. فالاسم مثلاً يقابله الفعل والحرف، والغائب يقابله المتكلم والحاضر، والمفرد يقابله المثنى والجمع، والمذكر يقابله المؤنث، والمعرفة يقابله النكرة، والظاهر يقابله المضمّر والمستتر والمحذوف، ويمكن للقطب أن يتفرع إلى أقطاب فرعية، فالفعل مثلاً له قطبان: الحدث والزمن، وللمؤنث قطبان: الحقيقي والمجازي، ولالإعراب إما علامة أصلية أو فرعية، وهلم جرا. ولقد حظي معظم المحاور السابق ذكرها بالكلام المُسهّب من النُحاة ما عدا محور المسافة بقطبيه: القرب والبعد، فهذا المحور لم يجد عناية به إلا في حدود ضيقة من نظرية النحو العربي، كما يلي:

١- اسم الإشارة قد يشير إلى قريب أو بعيد.

٢- المنادى قد يكون قريباً أو بعيداً.

٣- الضمير يعود إلى أقرب مذكور.

ويقف الأمر عند هذا الحد، ولكن تطبيق هذا المحور لا ينحصر في هذه الصياغات النحوية، وإنما يمتد إلى غيرها من الأبواب النحوية التي يتخطاها إلى الأساليب والبلاغة على نحو ما يتضح في الفقرات التالية:

من الواضح أنّ أَيْةَ علاقَةٍ نحوِيَّةٍ أو أسلوبيَّةٍ بين عنصرين من عناصر السياق إنّما تكون أكثر وضوحاً مع قُرب أحدهما من الآخر منها عند بعده عنه، وليس ذلك مقصوراً على الثلاثة المجالات المذكورة منذ قليل، وإنّما يتخطاها إلى مجالات عديدة أخرى كطرفي الإسناد وكالفعل وما يتعدى إليه وكالموصوف وصفته والمعطوف وكالشرط وجوابه والمسافة بين المتلازمين وكالجار والمجرور ومتعلقه وكطرفي الالتفات والتكرار، وهَلْمَ جَرًّا. فالقرب بين الطرفين في كل ذلك يُعِينُ على وضوح المعنى، ولكنّ أَمَنَ اللبس المترتب على وجود قرينة يَتَضَحُّ بها المعنى سواء كانت لفظية أو معنوية يسمح في الكثير من الأحوال بمطل أول الطرفين أو الفصل بينهما بعنصر أصلي أو زائد أو بجملة معترضة، وبذلك يقع الترخص في قرب أحد العنصرين من الآخر مادام المعنى واضحاً واللبس مأموناً^(١).

– عَوْدُ الضَّمِيرِ:

العَوْدُ لغة: "تثنية الأمرِ عَوْدًا بَعْدَ بَدءٍ، بدأ ثم عاد. والعَوْدَةُ مرّة واحدة"^(٢)، و"عادَ إليه يَعُودُ عَوْدَةً وعوداً: رجع. وفي المثل (العود أحمد)"^(٣). و"المعاد: كل شيء إليه المصير. والآخرة معاد للناس. والله تعالى، المبدئ المعيد، وذلك أنه أبدأ الخلق ثم يعيدهم. وتقول: رأيت فلاناً ما يُبْدِي وما يُعِيدُ، أي ما يتكلم ببادئةٍ ولا عائدةٍ"^(٤). وقال ابن سيده: "رَجَعَ عَوْدًا على بَدءٍ من غير إضافة. وَلَكَ العَوْدُ والعَوْدَةُ والعَوَادَةُ أي لك أن تعود في هَذَا الأمر"^(٥).

وعود الضمير في الاصطلاح: "هو عود ضمير الغائب إلى اسم متقدم عليه مذكور يفسر غموضه ويزيل إبهامه، وضمائر المتكلم والمخاطب لا تحتاج إلى هذا المرجع أو العائد، لأن المتكلم والمخاطب يفسران ضمائرهما في وقت الكلام، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥]، وَيُسَمَّى أيضاً: رجوع الضمير. ولضمير الغائب مرجع واحد في الأصل، لكن قد يتعدّد هذا المرجع ويكون مقتضى الكلام مقتصراً على واحد، فيرجع

(١) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٧-٩.

(٢) كتاب العين: ٢/٢١٧.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ): ٢/٥١٣، وينظر: مجمع

الأمثال، الميداني (ت ٥١٨هـ): ٢/٣٤.

(٤) مقاييس اللغة: ٤/١٨١.

(٥) المحكم والمحيط الأعظم: ٢/٣٢٠-٣٢١.

الضمير إلى الأقرب إليه في الكلام"^(١). لأن "الأصل في الضمير عوده إلى أقرب المذكورات"^(٢). و"للجمهور أن يقولوا: وكذا عودُه للأقرب ليس بمطردٍ، فقد يخرج عن الأصل لدليل وإذا تعارض الأصولان تساقطا ونظر في الترجيح من خارج، بل قد يقال: عودُه إلى ما فيه العملُ بما أُولى"^(٣). إذاً "فلا اعتبارات الأسلوبية تحول دون ارتباط عود الضمير بقاعدة معينة، أي أن قول النحاة إن الضمير يعود إلى أقرب مذكور لا ينبغي أن يقبل على إطلاقه، إذ قد يتطلب الأسلوب والمعنى عودُه إلى أبعد مذكور"^(٤). و"ضمير الغيبة يفتقر إلى مرجعٍ يخصُّصُه ويُزيلُ إبهامَه. وهذا المرجع إما أن يكون متقدماً لفظاً ورتبةً وهذا هو الأصل في الإحالة بالضمير نحو: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ [هود: ٤٢]، وإما يكون متقدماً لفظاً لا رتبةً نحو (أهلك الظالم ظلمه) أو متقدماً في الرتبة دون اللفظ نحو قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾ [طه: ٦٧]، أو متأخراً لفظاً ورتبةً نحو: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]^(٥)، وهذا في باب ضمير الشأن والقصة ونعم وبئس والتنازع. و"إما أن يعود إلى غير مذكور، لا لفظاً ولا معنى، إن كان سياق الكلام يعينه، كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَكْسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]، فالضمير يعود إلى سفينة نوح المعلومة من المقام... والضمير يعود إلى أقرب مذكور في الكلام، ما لم يكن الأقرب مضافاً إليه، فيعود إلى المضاف. وقد يعود إلى المضاف إليه، إن كان هناك ما يُعِينُه كقوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]، فالضمير المستتر في ﴿جَعَلَكُمْ﴾ عائد إلى الله، لا إلى الرسول"^(٦).

وقال الدكتور تمام حسّان: "وقد يعود الضمير على مفهوم، فإذا عاد على مذكور طابقه من حيث الشخص والعدد والنوع، ومن هنا كان الضمير في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]، عائداً على الكافرين لا على الأبواب، ولو أعاده على الأبواب

(١) المعجم المفصل في النحو العربي، د. عزيزة فوال بابتي: ٧١٧-٧١٨.

(٢) مفاتيح الغيب: ٥٩/١٠، ١١٠/١٩.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٤/٣٩-٤٠.

(٤) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٣.

(٥) الخلاصة النحوية، د. تمام حسّان: ٩٢، وينظر: معجم الصواب اللغوي، د. أحمد مختار عمر: ٩٥٨/٢.

(٦) جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني: ١٢٥-١٢٦.

لقال (منها)، وأما عوده على مفهوم من الكلام السابق فنحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ ﴾ [فاطر: ١٨]، فالضمير المستتر في كان كما يقول النحاة: عائد مفهوم من الفعل (تدع) أي: ولو كان المدعو ذا قربي^(١). ولا يجوز الجمهور عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة. وخالفهم الأخفش (ت ٢١٥هـ) وابن مالك (ت ٦٧٢هـ) وغيرهما في ذلك^(٢).

– عود الضمير إلى أقرب مذكور:

عند غياب القرينة على المعنى المراد ينبغي للضمير أن يعود إلى أقرب مذكور، ولا سيما إذا كان في ذلك ما يُرَجِّحُ أحدَ احتمالات المعنى المتعددة، يشهدُ على ذلك:

– قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ٨١]، إذ إنَّ في الفعل ﴿ تَقُولُ ﴾ ضميراً مستتراً تقديره: (هي) يعود على الطائفة، أي أنَّ الطائفة المذكورة قالت: ﴿ طَاعَةٌ ﴾ وبَيَّنَّتْ معصية^(٣). ويُرَدُّ الدكتور تمام حسان على ما قاله القرطبي (ت ٦٧١هـ) في تفسيره: "أي بدلوا قول النبي ﷺ فيما عهده إليهم وأمرهم به"^(٤)، بقوله: "وليس الأمر كما قال القرطبي رحمه الله، لأن الآية لم تشتمل على قول قاله النبي ﷺ وإنما اشتملت على قولهم هم: (طاعة) ولو كان الأمر على غرار ما ذكره القرطبي وغيره لكان الضمير راجعاً إلى من تدل عليه الكاف في ﴿ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ لأنه أقرب المرجعين، أي إلى النبي ﷺ. ولكنَّ الإشارة في الآية لم تَجْرِ إلى ما قاله هو وإنما جَرَّتْ إلى إعلانهم نيَّة الطاعة وهم معه وإلى أنَّهم يبيِّتون غيرها بعد انصرافهم. من هنا يكون عود الضمير إلى الطائفة أوضح وأولى ويعضده قرب المسافة بين الضمير ومرجعه"^(٥). وقد قال كثير من المفسرين في تفاسيرهم بكلا

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان: ٢١٥.

(٢) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ١١٧/٢.

(٣) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٩/٥.

(٥) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٠.

السبب التركيبي، فلو أن مقول القول (وهو كل ما جاء بعد لفظ ﴿قَالُوا﴾ من الاقتباس السابق) جاء بعد الإخوة مباشرة (وهم أقرب مذکور إلى مقول القول) لكان الضمير عائداً إلى أقرب مذکور، ولَبُعِدَت المسافة بين كان واسمها إلى درجة تذهب بوضوح المعنى من جهة وبحسن السبب من جهة أخرى. ومن ثم وقع اسم كان وهو ﴿ءَايَتٌ لِّلسَّالِئِلِينَ﴾ في مكانه من الآية فاصلاً بين الضمير في ﴿قَالُوا﴾ وبين مرجعه وهو الإخوة. أما القرينة العقلية التي تدل على أن الضمير للإخوة فهي تتمثل في أمرين أحدهما أن السائلين كانوا يخاطبون النبي ﷺ، أي أنهم كانوا معاصرين له، ومن ثم لا يفهم من الكلام أنهم إخوة يوسف وأبناء يعقوب، والثاني أن الإخوة أضيفوا إلى ضمير يوسف في لفظ (إخوته) كما اضيف الأب إلى ضميرهم في ﴿أَيُّنَا﴾، فاجتماع الإضافتين قرينة تدل على أن الإخوة هم مرجع الضمير في ﴿قَالُوا﴾^(١)، وهكذا "يعود الضمير إلى الأبعد إذا أمن اللبس، أما إذا لم يؤمن اللبس فالعود إلى أقرب مذکور"^(٢). وقد صرح كثير من المفسرين بأن المقصود من قوله تعالى: ﴿قَالُوا﴾، هم أخوة يوسف دون التطرق إلى مرجع الضمير^(٣).

- ومن عود الضمير إلى أبعد مذکور عند وجود القرينة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَاتَلْتُم نَفْسًا فَادَرَأْتُم فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: ٧٢، ٧٣]، حيث يقول الدكتور تمام حسّان بأن: "الضمير في (بعضها) يعود إلى البقرة التي ذكرت في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنَّا نَخْذِنَا هَٰذَا حُرُوفًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة: ٦٧]، ولا شك في أن المسافة بين الضمير في (بعضها) ومرجعها من البعد بحيث يتطلّب إرجاع الضمير قدراً من التذكّر، وبخاصة أن القتل كان ﴿نَفْسًا﴾ بلفظ مفرد مؤنث يتفق في هذين المحورين مع الضمير في (بعضها). غير أن الفعل (اضربه) أضفى على النفس المقتولة من التذكير ما يحول بينها وبين أن تكون مرجعاً للضمير في (بعضها) وبذا يعود إلى

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١١.

(٢) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن، د. تمام حسّان: ١١٠.

(٣) التفسير الوسيط، الواحدي: ٦٠١/٢، و أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري: ٥٩٦/٢، و زهرة التفاسير، أبو زهرة:

البقرة ويكون المعنى: فقلنا اضربوا القليل ببعض البقرة المذبوحة وهو ذيلها^(١). وهذا ما أشار إليه كل من: الطَّبْرِيُّ (ت ٣١٠هـ)^(٢)، والسَّمْعَانِيُّ (ت ٤٨٩هـ)^(٣)، والبغوي (ت ٥١٠هـ)^(٤)، وأبو السعود (ت ٩٨٢هـ)^(٥)، والألوسي (ت ١٢٧٠هـ)^(٦).

- ومما يعود فيه الضمير إلى أبعد مذكور، قوله تعالى: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظَلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الكهف: ٣٢ - ٣٤]، قال الدكتور تمام حسّان: "لو أعدنا الضمير في ﴿ لَهُ ﴾ إلى أقرب مذكور لعاد الضمير إلى ﴿ نَهْرًا ﴾، ولكن جملة ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ ﴾ في موقعها من الكلام ربطت بين الضمير في ﴿ لَهُ ﴾ والضمير في (صاحبه) فجعلتهما مرجع واحد، وبذا حالت دون عود الضمير إلى النهر"^(٧). وما رآه الأقدمون هو "عود الضمير في (له) إلى (صاحب الجنتين)"^(٨). ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، فلو أعدنا الضمير في (أصابها) إلى أقرب مذكور لعاد إلى الذرية الضعفاء، ولكن الذرية قد تكون من الضعف بحيث لا يكون فقدتها كارثة تستحق الألم والندم، ولقد كان الجاهليون يعدون بناقهم لكونهم ذرية ضعيفة تمثل عبئاً عند الغارة ولا تمثل نصيراً عند الغزو. أما الجنة فقد فصلت الآية مزاياها حتى جعلتها أمراً يستحق أشد الحرص عليه والاعتزاز بملكيته، فلو أصابها الإعصار لكانت إصابتها كارثة لا يود إنسان عاقل أنه رُزِيَ بها، ولا سيما إذا كانت له ذرية ضعفاء لا يسعون

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١١-١٢.

(٢) جامع البيان للطبري: ٣٦٠/١.

(٣) تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني: ٩٤/١.

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٨٤/١.

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبي السعود محمد بن محمد العمادي: ١١٤/١.

(٦) روح المعاني: ٢٩٤/١.

(٧) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٢.

(٨) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٩٦/٣، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن: ١٦٢/٣، وفتح القدير: ٢٨٦/٣، وإرشاد العقل السليم: ٢٢١/٥، وزاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي: ١٤٠/٥، وروح المعاني: ٢٧٤/١٥.

لطلب الرزق، وإنما تمثل اللجنة مصدر رزق لهم، وهكذا يعود الضمير إلى أبعد مذكور، لأن المعنى يقتضي ذلك"^(١).

إذاً خلاصة الرأي في عود الضمائر هو رجوعها إلى أنسب مذكور بما يتناسب ويتلائم مع المعنى، لا إلى أقرب مذكور.

^(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٢، وينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٢٠/١، وزاد المسير: ٣٢٠/١، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٣٠/١، وجامع البيان للطبري: ٧٤/٣.

المسافة بين طرفي الإسناد:

"إذا تقارب طرفا الإسناد كان ذلك هو الأصل فيهما، ولكن توافر قرائن المعنى يرر البعد بينهما كثيراً، سواء كان هذا البعد ضئيلاً كالفصل بينهما بالمفردات أو ملحوظاً كتوسط الجملة المعترضة بينهما"^(١)، ومن الشواهد القرآنية على بعد المسافة بين طرفي الإسناد:

- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا فَآخِرَانِ يُقِيمَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَايْنَ﴾ [المائدة: ١٠٧]، حيث يرى الدكتور تمام حسان بأنه: "هنا وصف المبتدأ (آخِرَانِ)، بجملة باعدت بينه وبين الخبر، وسوّغت الابتداء به وهو نكرة، ثم جاء الخبر معرفة، وتقدير الآية: فآخِرَانِ قائمان مقامهما هما الأوليان بذلك. ولما كان الابتداء بالنكرة هنا له ما يسوغه وهو الوصف أصبح ارتباط الخبر بالمبتدأ أمراً أقرب للفهم على الرغم من ورود الخبر (الأوليان)، بعد الفعل (استحق) في موضع يقع فيه الفاعل غالباً"^(٢). وقد اختلف النحاة في إعراب (الأوليان)، وأجازوا في إعرابها سبعة أوجه، وقال الراغب الأصفهاني: "يجوز أن يكون قوله: (فَآخِرَانِ) مبتدأ، و (الأوليان) خبره"^(٣). وجوز الأخفش "وصف النكرة بالمعرفة، وجعل الأوليان صفة لآخِرَانِ"^(٤)، والفاء جزائية، وهي إحدى مسوغات الابتداء بالنكرة، وهذه النكرة ليست محضة؛ لأنها مخصوصة بالجار والمجرور، ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف نعت ل(آخِرَانِ). إذاً هي مخصوصة، ومعلوم أن المخصصة أقرب إلى المعرفة، فلما خصصت النكرة صح أن توصف بالمعرفة، هذا رأي الأخفش، فجعل الأوليان وهو معرف بأل نعتاً لقول: آخِرَانِ، مع أنه نكرة وسوّغ ذلك عنده لكونه موصوفاً بالجار والمجرور.

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٣، وينظر: فتح القدير للشوكاني: ٣١٢/١، مدارك التنزيل وحقائق التأويل:

١٤١/١، إرشاد العقل السليم: ٤/٢.

(٢) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٣.

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني: ٤٨٣/٥.

(٤) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ٩٥/٣.

- قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (٢) نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلِ هَذَا هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤) [آل عمران: ٢ - ٤]، يرى الدكتور تمام حسان: أن "المبتدأ في هذه الآية هو لفظ الجلالة والخبر هو ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾، وقد فصل بينهما بجملة معترضة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ وصفتين هما: (الحي القيوم)، فلا يحق لقائل هنا أن يقول إن الخبر هو جملة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ولا إن الخبر هو ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ليجعل ما يلي على سبيل الاستئناف^(١). وقال القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ): "يحسن في هذا القول أن يكون (نَزَلَ) خبر قوله (اللَّهُ) حتى يرتبط الكلام إلى هذا المعنى"^(٢). إن النظرة المتأنية إلى النص تبين أن "مناطق القول هو إن الله سبحانه يمن على رسوله ﷺ بأنه نزل عليه الكتاب بالحق؛ والقرينة الدالة على ذلك قوله تعالى بعد ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [آل عمران: ٤]. وقد سبقت الإشارة إلى أن وجود القرينة الدالة على المعنى ييسر اتخاذ القرار في شأن المؤشرات الأسلوبية ومنها البعد ما بين طرفي العلاقة"^(٣).

- وفي قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) [السجدة: ٢]، قال الدكتور تمام حسان: "المبتدأ لفظ (تنزيل الكتاب) والخبر (من رب العالمين) وما بينهما جملة معترضة، وهذا الذي اختاره أبو حيان^(٤) واعتمد عليه الزمخشري وقال: "والوجه أن يرتفع بالابتداء، وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه: اعتراض لا محل له والضمير في (فيه) راجع إلى مضمون الجملة، كأنه قيل: لا ريب في ذلك، أي في كونه منزلاً من رب العالمين، ويشهد لوجهته قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ [السجدة: ٣]، لأن قولهم: هذا مفترى، إنكار لأن يكون من رب العالمين، وكذلك قوله تعالى:

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٣.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٩٦/١.

(٣) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٤.

(٤) البحر المحيط: ٤٢٨/٨.

﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [السجدة: ٣]، وما فيه من تقدير أنه من الله، وهذا أسلوب صحيح مُحْكَم: أثبت أولاً أن تنزيهه من رب العالمين، وأن ذلك ما لا ريب فيه، ثم أضرب عن ذلك إلى قوله: (أم يقولون افتراه)^(١). لو ارتضينا أن "الخبر: ﴿لَا رَبَّ فِيهِ﴾"^(٢)، لكان المعنى نفيًا لكونه سبحانه قد ارتاب في التنزيل، والتقدير أن "تنزيل القرآن لم يصادف ارتياباً من الله سبحانه وتعالى. والمعروف أن نفي الدعوى يُفهم منه سبق ادّعاء وقوعها بمفهوم المخالفة"^(٣).

- قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤]، المبتدأ لفظ الجلالة وقد وصف بالموصول وصلته وما عطف على صلته قبل أن يأتي الخبر، وهو ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾. فإن قال قائل إنَّ "الخبر هو الاسم الموصول (الذي) وأن جملة (ما لكم من دونه الخ) جاءت على سبيل الاستئناف"^(٤)، فالجواب "أن الإخبار يكون بواسطة المجهول وبالمجهول لا بالمعلوم. ويقول الدكتور تمام حسّان: واضح أن المخاطبين كانوا يعرفون أن الله هو خالق السموات والأرض ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، ولكنهم كانوا يتخذون الأصنام أولياء وشفعاء ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وإذا كان الأمر كذلك فالخبر هو ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾"^(٥).

(١) الكشّاف: ٥٠٦/٣، وينظر: روح المعاني: ١١٧/٢١.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٥٤/٤، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ): ٣٥٧/٤، تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ): ٥٤٥/١، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢٨٩/٣، فتح القدير: ٢٤٧/٤، إرشاد العقل السليم: ٧٩/٧، روح المعاني: ١١٦/٢١.

(٣) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٤.

(٤) مفاتيح الغيب: ١٣٦/٢٥.

(٥) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٤.

- وقال الدكتور تمام حسّان: "الأصل في الفاعل أن يتصل بالفعل وفي المفعول أن ينفصل عن الفعل، بمعنى أن الرتبة هي (فعل+فاعل+مفعول). ومن هنا يصبح فصل الفاعل عن فعله أَدْعَى للالتباه من فصل المفعول عن هذا الفعل، على الرغم من أنّ بين الفعل المتعدّي والمفعول به علاقة تسمّى (التعدّية). فإذا نظرنا إلى موضع الفاعل ﴿إِيْمَانُهَا﴾ من فعله ومن المفعول به في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَايِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وجدناه مغايراً للرتبة الأصلية، فإذا تصورنا تقديمه بحيث يسبق المفعول به بحكم الأصل واجهنا عود الضمير إلى متأخر لفظاً ورتبة^(١)، وكما قال الباقولي (ت ٥٤٣هـ): "المفعول مقدّم على الفاعل، ووجب تقديمه هاهنا، لأن تأخيره يُوجب إضماراً قبل الذكر"^(٢). وإذا تصورنا تأخيره إلى آخر الكلام بحيث يلي ما وصف به المفعول من عبارة (لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) لوجدنا ضعف العلاقة بين (إيمانها) وبين فعله (ينفع) مما يؤدي إلى سوء السبك. قال فخر الدين الرازي: "في الآية تقدّم المفعول على الفاعل ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ [البقرة: ١٢٤]، والسبب في تقدّم المفعول هو إنهم يقدمون الأهم والذي هم بشأنه أعنى"^(٣). و"جاز الفصل بالفاعل بين الموصوف وصفته لأنه ليس بأجنبي إذ قد اشترك الموصوف الذي هو المفعول والفاعل في العامل، فعلى هذا يجوز ضرب هندا غلامها التميمية ومن جعل الجملة حالاً أبعد ومن جعلها مستأنفةً فهو أبعد"^(٤).

- وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ءَأُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ؕ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ؕ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [البقرة: ١٢١]، المبتدأ هو الاسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾، وجملة ﴿يَتْلُونَهُ...﴾ حال، واسم الإشارة ﴿أُولَٰئِكَ﴾ لربط الخبر بالمبتدأ المشار إليه

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٤-١٥.

(٢) إعراب القرآن للباقولي - منسوب خطأ للزجاج، أبو الحسن نور الدين علي بن الحسين الباقولي: ٦٧٦/٢.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٣/١٥٩.

(٤) البحر المحيط: ٤/٧٠٠.

بها، والخبر جملة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، "ولا يجوز أن نجعل الإشارة مبتدأ على نية الاستئناف"^(١)، لأن في ذلك إقراراً بأن اليهود كانوا يتلون التوراة حق تلاوتها مع أنَّهم بدَّلُوهَا وَحَرَّفُوهَا نَصَّهًا وَحَمَلُوهَا فَلَمْ يُحْسِنُوا حَمَلَهَا^(٢). وقال أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ): "لا يجوز أن يكون يتلونه خبر الذين؛ لأنَّه ليس كُلُّ من أُوتِيَ الكتابَ تَلَاه حَقَّ تلاوته؛ لأن معنى حق تلاوته العمل به"^(٣)، أما على "المعنى المقترح فإن الذين يتلون الكتاب حق تلاوته طائفة منهم دون جميعهم، وهكذا كانت القرينة عوناً على استحسان البعد بين المبتدأ والخبر"^(٤).

^(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٢٦/١، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ):

٣٤/٢.

^(٢) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٥.

^(٣) التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري: ١١١/١.

^(٤) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٥.

نسخ جملة الخبر:

الأصل في رتبة اسم (إِنَّ) أن يليها مباشرة وألا يفصل الخبر بينهما إلا أن يكون الخبر ظرفاً أو جاراً ومجروراً فيكون تقديمه والفصل بينهما أفضل:

- ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، حيث فصل الخبر المكوّن من جار ومجرور ﴿فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ﴾ بين إِنَّ واسمها ﴿لَآيَاتٍ﴾، قال الدكتور تمام حسان: "مناطُ الكلام هنا هو التنبيه إلى بعد المسافة بين إِنَّ واسمها المنفصل عنها بالخبر المجرور بالحرف. والذي برّر هذا البعد من الناحية النحوية، يتمثل في أن ما عُطِفَ على الخبر فهو من الخبر، وما عُطِفَ على الفاعل فهو فاعل، وما عُطِفَ على المفعول فهو مفعول، وهَلُمَّ جَرًّا، والحصيلة في تركيب الآية هي تقدم الخبر على الاسم مهما تعددت المعطوفات، ولاشك في أن تقدم الخبر مؤشّر أسلوبٍ معتاد يحمل من المعنى ما لا يحمله وقوعه في رتبة التأخر، والقرينة الدالة على المعنى دون التأثير بهذا البعد، فهي إلى جانب الحركة الإعرابية للاسم المتأخر وهي الكسرة نيابة عن الفتحة أن اللام المرحلقة^(١)، من شأنها أن تتصل باسم إِنَّ عند تقدم الخبر^(٢)، وكما قال أبو حيان: "دخلت اللام على اسم إِنَّ لحيلولة الخبر بينه وبينها، إذ لو كان يليها، ما جاز دخولها"^(٣)، وبهذا يتّضح المعنى ويجسّن السبب على رغم بعد المسافة.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، طالت المسافة بين إِنَّ وخبرها "لتعدد العطف على اسم إِنَّ،

(١) وقيل لام التوكيد: إعراب القرآن للدعاس: أحمد الدعاس - أحمد حميدان - إسماعيل القاسم: ٦٨/١.

(٢) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٥-١٦، البيان في روائع القرآن: ٤١/٢.

(٣) البحر المحيط: ٨٢/٢-٨٣.

وهو أمر لا تأثير له في وضوح المعنى^(١)، ثم جاء خبر إنَّ "في صورة جملة شرطية"^(٢)، توالى فيها المعطوفات على فعل الشرط، فلم يكن لذلك أثرٌ على وضوح المعنى؛ لأنَّ "ما عَطِفَ على الشيءِ فله حكمه ووظيفته النحويَّة، ثم يأتي جواب الشرط آخر الأمر مقترناً بالفاء لأتته جملة إسمية ويظلُّ المعنى واضحاً لوفرة القرائن"^(٣).

التَّعْدِيَّة:

التَّعْدِيَّة: "مُجَاوِزَةُ الشَّيْءِ إِلَى غَيْرِهِ، وَمِنْهُ تَعْدِيَةُ الْفِعْلِ عِنْدَ التُّحَاةِ، وَهُوَ جَعْلُ الْفِعْلِ لِفَاعِلٍ يَصِيرُ مَنْ كَانَ فَاعِلًا لَهُ قَبْلَ التَّعْدِيَةِ مَنْسُوبًا إِلَى الْفِعْلِ نَحْوُ: خَرَجَ زَيْدٌ فَأَخْرَجْتُهُ"^(٤)، فمفعول أخرجته هو الذي صيِّرته خارجاً^(٥). وللتعددية أسباب ثلاثة وهي: "الهمزة وتثقيل الحشو وحرف الجر. تتصل ثلاثتها بغير المتعدي فتصيره متعدياً، وبالمتعدي إلى مفعول واحد فتصيره ذا مفعولين: نحو قولك أذهبته، وفرحتَه، وخرجت به، وأحفرته بئراً، وعلمته القرآن، وغصبتُ عليه الضيعة. وتتصل الهمزة بالمتعدي إلى اثنين فتنقله إلى ثلاثة نحو أعلمت"^(٦).

- قال الدكتور تمام حسَّان: "الأصل في رتبة الفاعل أن يتصل بالفعل والأصل في المفعول أن ينفصل عن الفعل، وهكذا جاءت مكونات الجملة التي بين أيدينا في سياق قوله تعالى: ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥]، على أصل الصياغة، ولكن الفاعل جاء ممطولاً بصلة فيها وصف له وفيها معطوف على هذه الصلة وقد باعد ذلك بينه وبين المفعول الذي جاء على صورة المصدر المؤول من أن والفعل"^(٧)، لكنَّ الفعل متعدي يتطلب مفعولاً لو حذف ما دل عليه دليل، ومن ثم يتوقع القارئ العثور على هذا المفعول بعد انقضاء الفاعل، وهذا التوقع بذاته

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٦.

(٢) إعراب القرآن للنحاس، أبو جعفر النَّحَّاس (ت ٣٣٨هـ): ٥٨/١، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٧٠/١، وإعراب القرآن للدعاس: ٣٠/١.

(٣) البيان في روائع القرآن: ٤٢/٢.

(٤) تاج العروس، للزبيدي: ٣٩/٨، وينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (ت ١٠٣١هـ): ١٠٠-١٠١.

(٥) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ): ٦٢.

(٦) المفصل في صنعة الإعراب: ٣٤١.

(٧) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٧، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٩٩/١.

يُعَدُّ قرينة معنوية على هذا المعنى، وهكذا يُؤمّن اللبس ويحسنُ السّبك.

- قال سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، قال ابن عطية: "المعروف بالنسبة للفعل (أعطى) وما في معناه، وآتى هنا معناه أعطى"^(١)، أنّ المفعول الأول هو الآخذ والمفعول الثاني هو المأخوذ، بقطع النظر عن اعتبارات الرتبة في الجملة الحاضرة. "والآخذون في هذه الآية هم ذوو القربى، والمأخوذ المال. ففصل السياق بين الفعل ومفعوله الأول بالمفعول الثاني بتقديمه مع ما عطف عليه من جار ومجرور متعلق بالفعل آتى على المفعول الأول"^(٢)، قال أبو حيان (ت ٧٤٥هـ): "ذوي القربى وما بعده من المعطوفات هو المفعول الأول على مذهب الجمهور، المال هو المفعول الثاني"^(٣)، وقال أبو السعود (ت ٩٨٢هـ): "أنّ المفعول الثاني قدم على الأول للاهتمام به أو لأنّ في الثاني مع ما عطف عليه طولاً لو روعي الترتيب لفات تجاوب الأطراف في الكلام وهو الذي اقتضى تقديم الحال أيضاً"^(٤)، ويقول الدكتور تمام حسّان أنّ: "الرتبة التي جاءت في هذه الآية لو عكست بحسب الأصل لطال الفاعل بما عطفَ عليه وجاء المفعول الثاني كلمةً مفردةً على النحو التالي: (وآتى ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب المال على حبه)، وهكذا يسوء سبكُ النّص"^(٥). وقد جاءت الرتبة معكوسة أيضاً في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، لأنّ الرتبة لو جاءت على أصلها وهو (يؤتي من يشاء الحكمة) "لوقع اللبس من حيث يظن السامع أنّ الحكمة مفعول به للفعل (يشاء)، لا مفعول (يؤتي) فعكست الرتبة لأمن اللبس"^(٦)، ولذلك

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٤٣/١.

(٢) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٨.

(٣) البحر المحيط: ١٣٦/٢.

(٤) إرشاد العقل السليم: ١٩٣/١-١٩٤.

(٥) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٨.

(٦) البيان في روائع القرآن، د. تمام حسّان: ٢٨٨.

تقدم العام على الخاص بالمنزلة، والملاحظ أن النحاة كانوا يلمحون قرينة الإسناد بين طرفي الجملة كما كانوا يلمحونه أيضاً بين المعاني النحوية في داخل الجملة الواحدة، وهذا هو المعنى الذي نلاحظه في إعراب جملة مثل (يؤتي الحكمة من يشاء) حين نعرب (مَنْ) مفعولاً أولاً على الرغم من تأخرها، والحكمة مفعولاً ثانياً على الرغم من تقدمها، ويكون ذلك بإدراك ما بينهما من علاقة شبيهة بفكرة الإسناد إذن نقول: إن (مَنْ) هي الآخذ (والحكمة) هي المأخوذ. "تعلقت (الحكمة) ب(يؤتي) عدولاً عن الأصل من أجل أمن اللبس، لأن كونها مفعولاً ل(يؤتي) أقرب من كونها مفعولاً ل(يشاء)، والخلاصة أن مراعاة الآخذية والمأخوذية هنا هي الاعتبار الذي تم إعراب المفعولين طبقاً له وهو اعتبار من قبيل قرينة الإسناد"^(١)، ومراعاة معنى الآخذية والمأخوذية ما هي إلا المنزلة. فالكلام يترتب بالمنزلة أصلاً وعدولاً.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّ مِنِّي مَنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وِرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١]، قال الدكتور تمام حسّان: "فاعل الفعل (نبد) موصوف بجار ومجرور موصول في محل جر وصلته قبل أن يأتي المفعول به (كتاب الله)، ولكون الموصوف وصفته مترابطين كالشيء الواحد"^(٢)، لا نجد في تركيب الجملة أمراً يحول دون وضوح المعنى، أضف إلى ذلك أن "رتبة عناصر الجملة جاءت على أصلها"^(٣).

(١) المصدر نفسه: ١٩٤.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤٢٥/٢، روح المعاني: ٢٩١/١٤، الذخيرة، أبو العباس القرطبي (ت ٦٨٤هـ): ٢٩٦/٥، الأصول في النحو، ابن السراج (ت ٣١٦هـ): ٢٢٥/٢، اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري: ٢٣٥/١، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام: ٦٤٩/١.

(٣) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٨.

الموصوف وصفته:

قال الدكتور تَمَّام حَسَّان: "قد توصف النكرة بالمعرفة بشرط الفصل بين الموصوف النكرة وصفته بصفة أخرى نكرة، ومن شأن الصفة النكرة أن تخصص الموصوف النكرة فتقربه من التعريف، ومن ثم يصلح لأن يوصف بالمعرفة"^(١)، ويرى ابن الباذش (ت ٥٤٦هـ) أن: "سبب امتناع نعت النكرة بالمعرفة هو أن من حق المعرفة التقديم على النكرة، وحق النعت التأخر عن المنعوت فهما متدافعان، أما امتناع نعت المعرفة بالنكرة فلأن نعت المعرفة لإزالة التنكير العارض فيها، والنكرة يلزمها التنكير، فلا تزيل النكرة عن غيرها ما لا يجوز أن يزول عنها"^(٢). وهناك من العلماء من أجاز ما منعه غيرهم، فالأخفش أجاز وصف النكرة بالمعرفة عند تخصيصها مستدلاً بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ عُثْرَ عَلِيٍّ أُنْثَمَا أَسْتَحَقَّ إِثْمًا فَخَارَانِ يَوْمَانِ مَقَامَهُمَا مِنْ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ﴾ [المائدة: ١٠٧]، فالأوليان صفة لـ(آخران)^(٣)، وجوز بعضهم العكس مطلقاً، وذهب ابن الطراوة إلى جواز وصف المعرفة بالنكرة إذا كان الوصف خاصاً بالموصوف^(٤). وقال ابن الأنباري: "امتنع أن يجوز وصف النكرة بالمعرفة أو المعرفة بالنكرة؛ لأن كل واحد منهما ضد صاحبه؛ لأن النكرة شائعة، والمعرفة مخصوصة، والصفة في المعنى هي الموصوف، ويستحيل أن يكون الشيء الواحد شائعاً مخصوصاً في حال واحدة"^(٥). إن أمر منع وصف النكرة بالمعرفة والعكس لا يتعلّق بكون النكرة تدل على جنس، والمعرفة تدل على مفرد، فالطبيعة العامة للنكرة والمعرفة لا علاقة لها بعلة المنع؛ بل دليل أن كثيراً من النحاة قد أجاز ذلك، كما أن تعميم المنع غير دقيق، فمتى صارت النكرة بمنزلة المعرفة وكان نعتها بالمعرفة يخصها نُعتت، والعكس جائز، والذي أراه أن الأمر يتعلّق بطبيعة المعرفة والنكرة الموصوفة في النص، وما يدل على ذلك جواز وصف النكرة المخصّصة عند بعضهم. أمّا إذا أردنا أن نذهب إلى الأصول فهي تدل على صحة بعض ما ذهب إليه الرّبيعي (ت ٤٢٠هـ) وابن الباذش (ت ٥٢٨هـ)، فالأصول النحوية تقول: إن الأصل في المعارف ألا توصف مطلقاً؛ لأنها موضوعة على التخصيص، لكن طبيعة وضعها ككلمة موصوفة جعلها تحتاج إلى الصفة، وهذه الطبيعة هي أن هذه المعرفة المخصّصة صارت تحتاج إلى

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٢٠.

(٢) التذكرة: ٥٥٦.

(٣) ينظر: معاني القرآن للأخفش: ٢٦٦/١.

(٤) ينظر: الهمع: ١٧٢/٥، ١٧٣.

(٥) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: ٣٧٢/٢.

تخصيصٍ جديد، فأشبهت النكرة من هذا الوجه، فوصفت بمعرفة، والأصل في النكرة أن توصف لكونها غير مخصصة، والمقصود من هذا الكلام أن المعرفة لا توصف إلا لإزالة عارضٍ أثار على تخصيصها السابق، أو تنعيتها ثانياً وثالثاً لتؤكد تخصيصها، وقد تحدّث النحاة كثيراً عن الخصوص والعموم بين النعت والمنعوت، فالأصل في النعت كما قال الوراق: أن يكون تعريفه أنقص تعريفاً من المنعوت، ولا يجوز أن تنعت الاسم بالأخص^(١)، ولهذا كله أرى أن ما ذهب إليه الرّبيعي وابن الباذش صواباً، وهو رأي جملة من النحاة.

ولنتأمل الآيات الآتية التي أوردها الدكتور تمام حسّان كشواهد في هذا الموضوع:

- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ [سبأ: ٣]، قال أبو حيان: "فصل بجواب القسم بين المقسم به (وربي) الذي جاء مضافاً إلى الرسول ليدل على شدة القسم"^(٢)، وصفته (عالم الغيب) لأن جواب القسم كان رداً على جحدهم مجيء الساعة، وهذا القسم لتأكيد الإتيان"^(٣)، وقال الدكتور تمام حسّان: "ومن ثمّ كان إيراد الجواب مؤكداً بالنون الثقيلة هو الغرض الذي سيق الخطاب من أجله، فكان أولى بالتقديم من إيراد صفة من صفات الله تعالى لا مرأى في اتصافه بها"^(٤). وقد جاء هذا الفصل من أجل أن تتصل الصفة بما بعدها، وهذا يعني أن جواب القسم قد تقدم بمنزلة المعنى وأهميته وتأخرت الصفة في الأهمية المعنوية لتلتقي مع ما بعدها، من أجل أن يترتب الكلام بحسب قوة العلاقة المعنوية ومن أجل أمن اللبس.

- وقال الدكتور تمام حسّان في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أُمَّةٍ بِرَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا

(١) ينظر: علل النحو: ٥٢٣.

(٢) البحر المحيط: ٥١٩/٨.

(٣) فتح القدير للشوكاني: ٣٥٨/٤.

(٤) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٩.

لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴿١٥٨﴾ [الأُنعام: ١٥٨]، "فصل بين الموصوف وصفته الجملة (لم تكن آمنت...)"^(١) بواسطة الفاعل، وجاز الفصل بين الموصوف وصفته، لأنّ "الفاعل ليس بأجنبي"^(٢)، "لاشترك الموصوف والفاعل في العمل"^(٣)، ويضيف الدكتور تمام حسّان: "موقع هذا الفاعل من الآية لا يجوز تقديمه ولا تأخيره لأسباب نحوية وأسلوبية، أما نحويّاً فلو تقدم الفاعل على المفعول لعاد الضمير منه على متأخر لفظاً ورتبةً، وأما أسلوبياً فلو تأخر الفاعل إلى ما بعد استيفاء المفعول به لضعفت للعلاقة بينه وبين فعله، وساء سبك الجملة ولا سيما لأن هذا الفاعل كلمة مفردة"^(٤).

- وفي قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُّوا عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩]، قال الدكتور تمام حسّان: "جاء وصف المنافقين بأنهم ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وتعلق الجار والمجرور ﴿بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بالفعل ﴿بَشِّرِ﴾ فاصلاً بين الموصوف ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ وصفته ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ...﴾"^(٥) فكان "التركيب كأنه لف ونشر مرتّب، إذ جاء الأول للأول والتالي للتالي، فاستوفى الفعل ما تعلق به قبل أن يستوفى المفعول وصفته، لو تأخر الجار والمجرور إلى ما بعد صفة المفعول لكان ذلك سبباً في ضعف العلاقة بينه وبين الفعل، وهذا الضعف وجه من وجوه سوء السبك"^(٦).

- وفي قوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُحْمَةٌ ﴿١﴾ الَّتِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ﴿٢﴾﴾ [الهمزة: ١، ٢]، "جوّز الكوفية التخالف في المدح والذم فجعلوا (الذي) صفة لهزمة وجوّز

(١) الكشّاف: ٨٢/٢، مفاتيح الغيب: ١٤/١٨٨، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢/١٩٠، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١/٥٥١.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٢/٥٠٠.

(٣) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٨/٣٤٢.

(٤) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٩-٢٠.

(٥) إرشاد العقل السليم: ٢/٢٤٤، فتح القدير للشوكاني: ١/٦٠٦، إعراب القرآن للدعاس: ١/٢٢٨.

(٦) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٩-٢٠.

الأخفش وصف النكرة بالمعرفة إذا خصصت قبل ذلك بالوصف وجعل منه قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ﴾ [المائدة: ١٠٧]، قال السيوطي: "(الأوليان) صفة (لأخران) لأنه لما وصف تخصص"^(١). وأعرّبها ابن خالويه "نعتاً"^(٢)، وقال الطاهر بن عاشور: "واسم الموصول من قوله: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾، نعت آخر ولم يعطف ﴿الَّذِي﴾ بالواو لأن ذكر الأوصاف المتعددة للموصوف الواحد يجوز أن يكون بدون عطف"^(٣)، وقال الألوسي: "قطع فيه (الذي) مع عدم صحة اتباعه نعتاً للنكرة فلا يرد أن القطع إنما يكون في النعت والضمير لا ينعت"^(٤)، وقالوا: "(الذي) بدل من (كل)"^(٥). وقال أبو البقاء الكفوي: "البديل إنما جيء به عند التعذر ... لامتناع وصف النكرة بالمعرفة. كون الفاعل عمدة والمفعول فضلة إنما هو بالنظر إلى حصول أصل الكلام لا بالنظر إلى أداء المعنى المقصود به"^(٦). وقال ابن هشام في المغني أن: "(الذي) بدل أو صفة مقطوعة بتقدير: (هو) أو (أذم) أو (أعني)، هذا هو الصواب خلافاً لمن أجاز وصف النكرة بالمعرفة مطلقاً، ولمن أجاز به بشرط وصف النكرة أولاً بنكرة؛ وهو قول الأخفش"^(٧). وقال الدكتور تمام حسان: الفصل بين النكرة وصفتها بصفة أخرى نكرة شرط من شروط وصف النكرة بالمعرفة وفي الفصل زيادة في المسافة بينهما"^(٨).

- وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦، ٣٧]، قال أبو حيان: "(الذين) في موضع نصب صفة ل (مختال)، وإن كان نكرة، فهو مخصص نوعاً ما، فيسوغ لذلك وصفه بالمعرفة".

(١) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي: ١٤٦/٣.

(٢) إعراب القرآن وبيانه: ٥٧٨/١٠.

(٣) التحرير والتنوير: ٥٣٧/٣٠.

(٤) روح المعاني: ١٠٠/٤.

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٣٧/٥، البحر المحيط: ٥٤١/١٠، التبيان في إعراب القرآن: ١٣٠٣/٢، البيان في

غريب إعراب القرآن، أبو البركات بن الأنباري: ٥٣٥/٢، إعراب القرآن وبيانه: ٥٧٨/١٠.

(٦) الكليات: ١٠٣٤.

(٧) مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٧٤٧.

(٨) البيان في روائع القرآن: ٤٧/٢.

قال ابن عطية: "هذا مذهب الأخفش"^(١). وسبب الاختلاف بين الجمهور والأخفش أنه "عند الجمهور أن الصفة تطابق الموصوف تعريفاً وتنكيراً فلما قال (كل مختال فخور) هذه نكرة و (الذين يبخلون) معرفة فلا يجوز أن تعرب نعتاً لأنهما اختلفتا في التعريف والتنكير اختل الشرط. والأخفش يميز أنه إذا كانت النكرة مخصصة موصوفة أن تعرب نعتاً لقوله تعالى: (ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا)، (الذي) صفة لما بعدها، إذا كانت النكرة مخصصة بشيء يمكن. (وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته)، نكرة ومعرفة (الذي) صفة لمقام محمود، وعلى رأي الجمهور يقول أنها بدل. ويجوز قول: (وابعثه المقام المحمود) وهذه ليس فيها إشكال. وقال القرطبي: "الذين) في موضع خفض نعتاً ل(مختال)"^(٢). وقال أبو حيان: "يجوز عندي أن يكون صفة ل (من)"^(٣). وجاء في اللباب أنه: "صفة ل (من)؛ كأنه قيل: لا يجب المختال الفخور البخيل"^(٤). قال القرطبي: "ولا يجوز أن يكون صفة، لأن (من) و (ما) لا يوصفان ولا يوصف بهما"^(٥). وهذا مماثل لقوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحديد: ٢٣، ٢٤]، قال ابن عطية: "وقال بعضهم (الذين) في موضع نصب صفة ل(كُلِّ)، لأن كلاً وإن كان نكرة فهو يخصص نوعاً ما، فيسوغ لذلك وصفه بالمعرفة"^(٦).

وهذا يؤكد ما أشار إليه الدكتور تمام حسّان بقوله: "من شأن الصفة النكرة أن تخصص الموصوف النكرة فتقربه من التعريف، والفصل بين النكرة وصفتها المعرفة بصفة أخرى نكرة شرط لوصف النكرة بالمعرفة"^(٧).

(١) البحر المحيط: ١١٢/١٠، وينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: ٦٧٧/٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٩/١٧.

(٣) نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار، حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي: ١٥٥/٣.

(٤) اللباب في علوم الكتاب: ٣٧٦/٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٩٢/٥.

(٦) المحرر الوجيز: ٢٦٩/٥.

(٧) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٢٠-٢١.

الجار والمجرور ومتعلقه:

يرى النحاة أنّ الجار والمجرور ومثله الظرف لا بُدَّ أن يتعلّق بفعل، أو بما يشبه الفعل، أو ما هو بمعناه، فالمتعلّق بالفعل نحو (سرت في الطريق) وشبهه الفعل نحو (أنا سائر في الطريق) فهو متعلّق باسم الفاعل وهو شبهه بالفعل، ومثله اسم المفعول وبقيّة المشتقات والمصدر، وما هو بمعنى الفعل نحو (أين أنت مني؟) لأنّ معنى (أين أنت) بعدت، ونحو (هو أسد في المعركة) أي شجاع و (هو فرعون على قومه) أي ظالم. فإن لم يكن في الجملة ما يصحّ تعلّقه به، قدر له متعلّق مناسب، نحو (هو في الدار) أي كائن في الدار، ونحو (النفس بالنفس، والسن بالسن) أي النفس مقتولة بالنفس، والسن مقلوعة بالسن، ونحو (من لي بهذا؟) أي (من يتكفل لي بهذا؟). ومعنى التعلُّق الارتباط، ويكون التعلّق بما فيه صحة المعنى، فقولك مثلاً (شبهت خالدًا وهو يجود بماله بالبحر) يكون فيه (بالبحر) متعلقاً - أي مرتبطاً - ب(شبهت) لا ب(يجود)، إذ لو علّقت به (يجود) لصار المعنى (يجود بالبحر) وهو فاسد، وإذا علّقت به (شبهت) كان المعنى: شبهته بالبحر. وأمّا (بماله) فهو مرتبط ب(يجود) لا ب(شبهت)، لأنّ المعنى: يجود بماله إذ لو علّقت به (شبهت) لكان المعنى (شبهت خالدًا بماله) وهو فاسد، ونحوه:

- قوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ [النساء: ٩٥]، ف"ب(أموالهم) متعلّق ب(المجاهدين)، لا ب(فضّل)، و(على القاعدين) متعلّق ب(فضّل). فالمعنى يتغيّر بحسب تقدير الارتباط، والنحاة يسمّون هذا المتعلّق به عاملاً، فالتعلّق هو الارتباط المعنوي، سواء كان ذلك في الجار والمجرور والظرف، أم في غيرهما مما يقتضي الارتباط"^(١).

- وقوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، قال الدكتور تمام حسّان: "لو علّقنا الجار والمجرور بأقرب ما يصلح لذلك لجعلنا المعقبات تحفظ من إنفاذ أمر الله - تعالى الله عن ذلك - أما ما يستقيم به المعنى فهو التعليق بصفة مقدرة للفظ (معقبات) يتعلّق بها كل جار ومجرور بالآية، فالمعقبات موصوفة بأنّها من بين يديه ومن خلفه ومن أمر الله"^(٢)، وقال الأصبهاني: "وأصحُّ هذه الأقوال أن يكون المعنى: له مُعَقِّبَات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن

^(١) ينظر: معاني النحو: ٩٧-١٠١.

^(٢) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٢٧.

خلفه"^(١). قال أبو حيان: "وقيل: الضمير في له عائد على الله تعالى أي: لله معقبات ملائكة من بين يدي العبد ومن خلفه، والمعقبات على هذا الملائكة الحفظة على العباد وأعمالهم، والحفظة لهم أيضا، وهو قول مجاهد والنخعي... وقيل: الضمير في له عائد على الرسول ﷺ وإن لم يجر له ذكر قريب... والقول الأول في عود الضمير هو الأوّل الذي ينبغي أن يحمل عليه وعليه يفسر"^(٢)، وقال النسفي: "الضمير في (لَه) مردود على من كأنه قيل لمن أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب"^(٣)، والمقصود بالمعقبات ملائكة مسخرة من أمر الله، قال الرّازي: "المشهور الذي عليه الجمهور أن المراد من (المعقبات) الملائكة الحفظة"^(٤). وعن مجاهد: "في قوله ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، يعني: (بأمر الله)"^(٥)، وهكذا تختلف الآراء حول تعليق شبه الجملة (من أمر الله)، فهناك من يرى أنها تتعلق ب(معقبات)، أي: له معقبات من أمر الله، ورأي آخر يرى أنها تتعلق ب(يحفظونه)، أي: يحفظونه من أمر الله، و(من) بمعنى الباء. والذي يبدو لي أن الرأي الثاني هو الصحيح، حيث وصف الله تعالى (المعقبات) بشبه جملة وعطف عليها شبه جملة أخرى، ثم جاء بجملة فعلية، وذلك على عادة النص القرآني عند تعدد الأوصاف والأخبار والأحوال، حيث يبدأ بالوصف المفرد ثم بشبه الجملة ثم بالجملة، وهذه الأوصاف تترتب من الخاص إلى العام من حيث علاقتها بالموصوف، فالمفرد له علاقة معنوية أقوى مع الموصوف من شبه الجملة، وهذه أقوى من الجملة، أو يمكن القول: إنه يبدأ بالوصف الثابت ثم بالوصف العارض، كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٦٥﴾ [البقرة: ٢٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ [غافر: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ

(١) إعراب القرآن للأصبهاني: ١٧٧.

(٢) البحر المحيط: ٣٥٩/٦-٣٦٠، وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٦٨٩/٥، النكت في القرآن الكريم: ٢٧٢.

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٤٥/٢، وينظر: إعراب القرآن وبيانه: ٩١/٥.

(٤) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٢٧، وينظر: مفاتيح الغيب: ١٧/١٩، غريب القرآن لابن قتيبة: ٢٢٥.

(٥) تفسير مجاهد: ٤٠٥.

سَائِعٍ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴿١٢﴾ [فاطر: ١٢]. وقد حافظ النصُّ القرآني على هذا، فهو يقدم الأقصر على الأطول، وذلك بسبب قوة العلاقة المعنوية بين القصير وما قبله. وعلى هذا جاءت لغة العرب، حيث يبدوون بما هو أدلُّ على الموصوف وأقرب إليه، لا يمنعهم من ذلك إلا أمن اللبس.

- وقال الدكتور تمام حسان في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [الأحزاب: ١٦]، "قد تقوم قرينة على أنّ الجار والمجرور متعلق بأقرب مذكور، ففي هذه الآية لفظان يصلحان أن يتعلق الجار والمجرور بأي منهما، أولهما المصدر ﴿الْفِرَارُ﴾ والثاني الفعل ﴿فَرَرْتُمْ﴾، ويختلف تقدير التركيب مع التعليق بأحدهما عنه مع التعليق بالآخر على النحو التالي:

- قل لن ينفعكم الفرار من الموت أو القتل إن فررتم.

- قل إن فررتم من الموت أو القتل فلن ينفعكم الفرار.

فالفعل ﴿فَرَرْتُمْ﴾ حدث غير متوقع في الحالة الأولى ولكنه فعل شرط متوقع حدوثه في الحالة الثانية، والمعروف أنّ المصدر حدث بلا زمن وأنّ الفعل حدث وزمن وإنّ الزمن إن كان بعض معنى الفعل فهو كل معنى ظرف الزمان، فإذا ورد ظرف الزمان (إذاً) فإنه يشير إلى زمن سبق التعبير عنه، وهذا يتحقق هنا في الفعل لا في المصدر^(١)، وهكذا "يكون الجار والمجرور (من الموت) متعلقاً بالفعل ﴿فَرَرْتُمْ﴾"^(٢)، فيكون المعنى: إن فررتم من الموت فلن ينفعكم الفرار، وهو المراد والقرينة في ذلك: أنّ الرابط (إذا) الذي حل محل (الفاء) يقتضي شرطاً مقدّراً، وهذا الشرط المقدّر لا يفسره المصدر ﴿الْفِرَارُ﴾ وإنما يفسره الفعل ﴿فَرَرْتُمْ﴾ وعلى هذا يكون المقصود: إن فررتم من الموت فلن ينفعكم الفرار، وإذا فررتم إذا لا تمتعون إلا قليلاً، على زعم أنّ التنوين في (إذا) تنوين عوض عن جملة محذوفة كما يتضح من تقدير المعنى^(٣).

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٢٨.

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ٦١٥/٧.

(٣) ينظر: البيان في روائع القرآن: ٥٢/٢.

الحرف ومدخوله:

نسب النحاة ومنهم ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) وأبو حيان إلى هذه الآية: ﴿وَإِنْ كَلَّا لَيُوفِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [هود: ١١١]، تقديراً نحويّاً يجعل " (لَمَّا) جازمة؛ حُذِفَ المضارع المجزوم بها لدلالة ما بعده عليه"^(١)، قال الدكتور تمام حسّان، والتقدير: " (وإن كلاً لما يوفوا ليوفيتهم ربك أعمالهم)، وهكذا صارت الجملة الواحدة جملتين ثانيتهما مستأنفة، أي: منقطعة العلاقة النحوية بما سبقها، وإن ظلّت بينهما علاقة دلالية بمعنى الاستدراك، أي: لكن ليوفيتهم، والأمر فيما يبدو على غير ما قدره النحاة"^(٢)، وقبل أن نعارض تقدير النحاة ينبغي أن نسوق الآيات الكريمة التالية:

- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَلَّا لَيُوفِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [هود: ١١١]
- وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢]
- وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٥]
- وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]

قال الدكتور تمام حسّان: "لقد قدر النحاة ﴿لَمَّا﴾ في هذه الآيات بمعنى (إلّا) وربطوا بينها وبين (إن) في أول كل من هذه التراكيب، فجعلوا إن نافية ونسبوا معنى التركيب إلى القصر البلاغي"^(٣)، والأمر على غير ما يقوله هؤلاء. قال الرازي: "وقول من قال: (لما) بمعنى (إلّا) لا يُعرف في اللغة"^(٤). وقال ابن الأنباري: "قالوا: ولا يجوز أيضاً أن يقال إنَّ (إن) بمعنى (ما)، و(لَمَّا) بمعنى (إلّا)؛ لأنّنا نقول: إنَّ (إن) التي بمعنى (ما) لا يجيء معها اللام بمعنى إلّا، كما قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مریم: ٩٣]، وأما "لما" فلا يجوز أن يجعل ههنا بمعنى (إلّا)؛ لأنه لو جاز أن تجعل (لَمَّا) بمعنى (إلّا) لجاز أن يقال: ما قام القوم لما زيداً، وقام القوم لما زيداً، بمعنى إلّا زيداً، وفي امتناع ذلك دليل على فساده، وإنّما جاء (لَمَّا) بمعنى (إلّا) في الأيمان خاصة نحو قولهم: (عَمَرَكَ اللهُ لَمَّا فعلت

(١) ينظر البحر المحيط: ٦ / ٢١٨-٢١٩.

(٢) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٢٤-٢٥.

(٣) المصدر نفسه: ٢٦.

(٤) مختار الصحاح: ٢٨٥.

كذا)، أي إلا، ثم لو جعلت (لما) في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَلًّا لَّمَّا لِيُوقِنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [هود: ١١١]، بمعنى إلا لما كان لكل ما ينصبه؛ لأن إلا لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، فدل على صحة ما ذكرناه^(١).

والمعروف أن التكرار والزيادة وسيلتان من وسائل التوكيد، أما التكرار فأشهر استعماله في التأكيد ما يعرف باسم التأكيد اللفظي، وأما الزيادة فهي وسيلة مشهورة كذلك من وسائل التوكيد، ويشهد للتكرار قول الشاعر: [من الطويل]

ألا يا اسلمي يا دار مِيَّ على البلى
ولا زال مُنْهَلًا بِجَرَخَائِكَ الْقَطْرُ^(٢)

فقد كرر أداة النداء عندما دعاه حرصه على الدار إلى التعجيل بالدعاء لها بالسلامة قبل ذكر المنادى فكرر الحرف مع المنادى. يشهد للزيادة من أجل التأكيد قوله تعالى: ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ۗ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [الواقعة: ٧٥، ٧٦]، فلو زعمنا أَنَّ (لا) في ﴿ فَلَا أَقْسِمُ ﴾ أصلية للتعبير عن معنى النفي لوقعنا في التناقض بين نفي القسم وكونه قسماً عظيماً، وسنجد أَنَّ اللام في الآيات الثلاث الأخيرة، هي اللام المرحلقة التي تصاحب (إن) المخففة من الثقيلة والتقدير على التوالي: وإن كل لجميع لدينا محضرون، وإن كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا، وإن كل نفس لعلها حافظ، و(ما) زائدة في كل ذلك، ويصدق ذلك على (لما) التي في الآية الأولى، فاللام هي المرحلقة و(ما) هي الزائدة^(٣). وقال سيبويه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ [الطارق: ٤]، "(إن) مخففة من الثقيلة و (ما) زائدة"^(٤)، وقال أيضاً: "واعلم أنهم يقولون: إن زيداً لذهبت، وإن عمرو خير منك، لَمَا خففتها جعلها بمنزلة لكن حين خففتها، وألزمها اللام لئلا تلتبس ب(إن) التي هي بمنزلة (ما) التي تُنفى بها. ومثل ذلك: ﴿ إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾، إنما هي: (لعلها حافظ). وقال

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١٥٩/١-١٦٠.

(٢) هذا البيت من كلام ذي الرُّثَّة، غيلان بن عُقبَةَ العدوي (ت ١١٧هـ)، في ديوانه: ٥٥٩/١، وينظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى الأشموني (ت ٩٢٩هـ): ٣٣/١، الصحاح للجوهري: ٢٥٦٣/٦، الإنصاف: ٨٣/١، الكامل للمبرِّد: ١٢١/١، تاج العروس للزبيدي: ٤٢٩/٢٠، لسان العرب: ٤٩٧٨/٦.

(٣) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٢٦.

(٤) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ١٢٧/١.

تعالى: ﴿ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾، إنما هي: لجميع، و(ما) لغو^(١). وقال الزجاج: "ولام (لما) لام إن و (ما) زائدة مؤكدة لم تغير المعنى ولا العمل"^(٢). وقال الباقولي: "لما كان القسم مضمراً لزمّت اللام الفعل في جوابه، وفصلت بين اللام الأول ولام القسم بـ (ما) كي لا يجتمع لامان، إذ لو لم يدخل ما لقليل: وإن كلا لليوفينهم، ففصل بين اللامين، وهذا كي لا يجتمع لامان، كما أنهم قالوا: والله لو جئتني جئتك، فلما اجتمعت لامان جيء بـ (أن) عوضاً عن لام القسم، قال الله عز وجل: ﴿ وَأَلْوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهِمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ [الجن: ١٦]، تقديره: والله لو استقاموا، اجتمع اللامان فعدلوا إلى أن، فلذلك فصلوا هنا بـ (ما)، فـ (ما) إذا صلة زائدة بمنزلة قوله: ﴿ فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، قال سيويو: سألت الخليل عن قوله عز وجل (وإنّ كلاً لما ليوفينهم) فيمن خفف: ما بالهم جاؤوا بـ (ما) في مثل هذا، فقال: كرهوا توالي لامين"^(٣)، وقال القاسمي: "قيل: اللام الأولى موطئة للقسم، ولما اجتمع اللامان، واتفقا في اللفظ، فصل بينهما بـ(ما) فهي زائدة لإصلاح اللفظ. وقيل: اللام المذكورة هي الفارقة بين المخففة والنافية. وقيل: إنها جواب القسم كررت تأكيداً"^(٤)، وقال ابن هشام: "وما زائدة للفصل بين اللامين كما زادت الألف للفصل بين المهمزتين في نحو (أأندرتهم) وبين النونات في نحو اضربن يا نسوة"^(٥)، وقال العكبري: "و (ما) خفيفة زائدة لتكون فاصلة بين لام إن ولام القسم كراهية تواليهما، كما فصلوا بالألف بين النونات في قولهم: أحسنان عني"^(٦)، وقال البيضاوي: "اللام الأولى موطئة لقسم والثانية للتأكيد أو بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل"^(٧).

وقال الدكتور تمام حسّان: "ولمّا كان تركيبهما معاً شبيهاً بـ(لَمَّا) الجازمة وكانتا داخلتين على المضارع الذي من شأنه أن يلي (لَمَّا)، تكررت اللام لأمن اللبس، فكان تكرارها في الآية شبيهاً بتكرار حرف النداء في: (ألا يا أسلمي يا دار مبي)، والتكرار فيهما مقصود لإفادة

(١) الكتاب لسيويو: ١٣٩/٢-١٤٠، ١٥٢/٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٨١/٣.

(٣) ماءات القرآن، الباقولي: ١٢٠-١٢١.

(٤) محاسن التأويل = تفسير القاسمي: ١٣٣/٦.

(٥) مغني اللبيب: ٣٧٢.

(٦) التبيان في إعراب القرآن: ٧١٦/٢.

(٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٥٠/٣.

التأكيد ولا ضرورة في البيت فقد كان للشاعر مندوحة دون التكرار بأن يقول: ألا فاسلمي يا دار مي على البلى"^(١). وقال أبو زهرة: "اللامان لتوكيد القول؛ الأولى واقعة في خبر (إن)، والثانية موطئة للقسم أو العكس، ولا تغيير في المعنى بأي التقديرين، وكانت (ما) فاصلة بينهما لكيلا يثقل النطق بلامين وهي مع ذلك دالة على تأكيد ما تدل عليه اللام الأولى"^(٢). إنَّ المرءَ ليحترار أي وجه يختار فكما قال أبو حيان: "وما كان يحتمل وجهين لا حجة فيه على تعيين أحدهما"^(٣).

الفصل بين المتعاطفين:

المنفيان المتعاطفان قد يسبق نفي أولهما ب(ما) أو (لا) أو (غير)، فإذا نُفِيَ الأوَّلُ ب(ما) فَإِنَّ المعطوفَ قد يُنْفَى ب(ما) أو ب(لا) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، أي لم يحدث أي من الحدّثين بقطع النظر عن الحدّث الآخر، لأنّ الذين ادّعوا القتل غير الذين ادّعوا الصلب، وقوله جل شأنه: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَفْعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١]، أما إذا نُفِيَ الأوَّلُ ب(غير) أو ب(لا) فليس في الثاني إلا أن يعطف ب(لا)، نحو قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٧]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾﴾ [القيامة: ٣١]، إذ جاء نفي المعطوف ب(لا) لاجتماع الأمرين معاً تحت عنوان المعصية^(٤).

- قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْآبِيَةَ حَرَامًا وَقِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٩٧]، قال الدكتور تمام حسّان: "وقع الفصل بين الكعبة والشهر بالإبدال من الكعبة بذكر ﴿الْآبِيَةَ الْحَرَامَ﴾ وبثاني مفعولي (جعل) وهو ﴿قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾، فطالت المسافة بين المتعاطفين، ولكن القرينة الإعرابية وهي نصب (الشهر)، دلّت على أنّ (الشهر) معطوف على الكعبة"^(٥).

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٢٧، معجم اللغة العربية المعاصرة: ٣/٤٠٣٤.

(٢) زهرة التفاسير: ٣٧٦٠/٧.

(٣) البحر المحيط: ٣/٧٠٤.

(٤) ينظر: البيان في روائع القرآن: ٤٧/٢، خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٢١-٢٢.

(٥) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٢٤، وينظر: إعراب القرآن للنحاس: ١/٢٨٣، الدر المصون: ٤/٤٣٣، اللباب:

٥٣٨/٧، فتح القدير: ٢/٩٠، تفسير آيات الأحكام للسايس: ٤٠٤.

- وفي قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرِيْمٍ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيْحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٤٩﴾ [آل عمران: ٤٥ - ٤٩]، قال الدكتور تمام حسان أننا لو نظرنا في هذه الآيات عمّا يمكن أن يعطف عليه قوله: ﴿ وَرَسُولًا ﴾، ما وجدنا معطوفاً عليه أولى من لفظ ﴿ وَجِيهًا ﴾، أي أن الله يُبَشِّرُ مريم بالمسيح وجيهاً ورسولاً^(١)، ولا يحسن بالطبع عطفه على (كهلاً) لأن الرسول من شأنه أن يكلم الناس، وبذا "يكون النص على كلامه للناس حشواً لا مبرر له، والقرآن مُنَزَّهٌ عن الحشو"^(٢). وقال أبو حيان: "قاله ابن عطية، وهو بعيد جداً لطول الفصل بين المتعاطفين"^(٣). وقال القرطبي: "أي ونجعله رسولاً، أو يكلمهم رسولاً. وقيل: هو معطوف على قوله: ﴿ وَجِيهًا ﴾. وقال الأخفش: وإن شئت جعلت الواو في قوله: ﴿ وَرَسُولًا ﴾ مقحمة و(الرسول) حالاً للهاء، تقديره: (ويعلمه الكتاب رسولاً)"^(٤)، وذكر أبو حيان خمسة أوجه في إعراب: ورسولاً، وقال: "أولاًها أنه ليس فيه إلا إضمار فعل يدل عليه المعنى، أي: ويجعله رسولاً"^(٥).

- وقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقُرْآنِ حُسْنًا ﴿١٢﴾ [التحریم: ١١، ١٢]، قال الدكتور تمام حسان: "لو تمسكنا بمبدأ القرب بين المتعاطفين لكانت مريم عطفاً على القوم الظالمين، ولكن القرينة تحول دون ذلك، أولاً: بسبب الإعراب، فإعراب القوم الظالمين بالجر وإعراب مريم بالنصب، ثانياً: الموازنة بين

(١) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٢٤، إعراب القرآن للنحاس: ١٥٩/١، إعراب القرآن للدعاس: ١٣٦/١.

(٢) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٢٤.

(٣) البحر المحیط: ١٦١/٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٩٣/٤.

(٥) البحر المحیط: ١٦١/٣، وينظر: إرشاد العقل السليم: ٣٦/٢، تفسير القاسمي: ٣٢٠/٢، روح المعاني: ١٦٠/٢.

امراتين عاصيتين، هما امرأة نوح وامرأة لوط، وامرأتين صالحتين، هما امرأة فرعون ومريم ابنة عمران^(١)، وقال القرطبي: "أي واذكر مريم، وقيل: هو معطوف على امرأة فرعون"^(٢). فلا يمكن لمريم أن تكون من القوم الظالمين ولا أن تكون معطوفة عليهم في هذه الآية.

- قال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَىٰ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ۗ﴾ [النساء: ١٢٧]، قال الدكتور تمام حسّان: المفتي في هذه الآية هو الله سبحانه وتعالى وما اشتمل عليه كتابه، وموضوع الفتوى هو النساء والمستضعفين من الولدان، ولا يجوز رغم القرب أن نعطف (ما يتلى) على الضمير في (فيهن)، لأن ما يتلى هو بطبيعة الحال نصوص الفتوى، ولأن هذا العطف يقتضي تكرار حرف الجر^(٣)، وهذا قول الكوفيين الذين يجيزون العطف على المحرور من غير إعادة الجار. قال ابن الأنباري: "ما يتلى، في موضع رفع لأنه معطوف على اسم الله تعالى، ولأنه لا يجوز العطف على الضمير المحرور"^(٤)، أما "عدم جواز عطف (المستضعفين) على الضمير في (تنكحوهن) فأوضح من أن يشار إليه إن لم تقم من النحو قاعدة تحول دونه، أي أن القرينة هاهنا خارجية لا نحوية"^(٥)، و"المستضعفين) محرور لأنه معطوف على (يتامى النساء)"^(٦).

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٢٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٣/١٨، وينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٧٠/٨، البحر المحيط: ٢١٦/١٠، تفسير الجلالين: ٧٥٤، فتح القدير للشوكاني: ٣٠٥/٥، المجتبى من مشكل إعراب القرآن: ١٣٣٨/٤، إعراب القرآن للدعاس: ٣٦٠/٣، الجدول في إعراب القرآن: ١٠/٢٩.

(٣) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٢٣-٢٤، وقد ورد سهواً في الكتاب: (تكرار حرف العطف) والصحيح ما ذكرناه.

(٤) البيان في غريب اعراب القرآن: ١: ٢٦٧، وينظر: الانصاف: ٢٧٢/٢.

(٥) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٢٤.

(٦) البيان في غريب اعراب القرآن: ١/٢٦٨، مفاتيح الغيب: ٢٣٤/١١، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٤٠٠/١.

المستثنى منه والمستثنى

- في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴾ [هود: ٨١]، قال الدكتور تمام حسّان: "لو تمسكنا بمبدأ القرب لقلنا المستثنى منه هو لفظ ﴿ أَحَدٌ ﴾، ولكن المعنى على استثناء المرأة المذكورة من النهي عن الالتفات. أما قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴾، فقد جعل استثناء هذه المرأة من الأهل، والمعنى (فأسر بأهلك إلا امرأتك) على الرغم من بعد المستثنى من المستثنى منه. وقد فصل بين الطرفين بقوله تعالى: (واتبع أديبارهم ولا يلتفت منكم أحد)، فالمعنى واضح على الرغم من طول الفصل"^(١). وقال نظام الدين النيسابوري (ت ٨٥٠هـ): "يمكن أن يجاب بأنَّ (فأسر) وإن كان مطلقاً في الظاهر إلا أنه في المعنى مقيد بعدم الالتفات، إذ المراد (أسر بأهلك إسرائاً لا التفات فيه إلا امرأتك فإنك تسري بها إسرائاً مع الالتفات)"^(٢)، وقال الطبري: "وأما قوله: (إلا امرأتك)، فإن عامّة القراء من الحجاز والكوفة، وبعض أهل البصرة، قرأوا بالنصب (إلا امرأتك)، بتأويل: فأسر بأهلك إلا امرأتك"^(٣). وقال أبو حيان: "وجه النصب على أنه استثناء من قوله بأهلك، إذ قبله أمر، والأمر عندهم كالواجب"^(٤). قال ابن عطية: "وتأولت فرقة ممن قرأ: (إلا امرأتك) بالنصب، أنّ الاستثناء وقع من الأهل كأنه قال: (فأسر بأهلك إلا امرأتك)، وعلى هذا التأويل لا يكون إلا النصب، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: لو كان الكلام: (ولا يلتفت) - بالرفع - لصح الرفع في قوله: (إلا امرأتك) ولكنه نهي، فإذا استثنيت (المرأة) من (أحد) وجب أن تكون (المرأة) أبيض لها الالتفات فيفسد معنى الآية"^(٥). وقال الرّازي: "قال الواحدي: من نصب وهو الاختيار فقد جعلها مستثناة من الأهل على معنى فأسر بأهلك إلا امرأتك والذي يشهد بصحة هذه القراءة أن في قراءة عبد الله (فأسر بأهلك إلا امرأتك)

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٢٨-٣٠، وينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل: ١/٥١٧، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢/٧٦، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣/١٤٣.

(٢) غرائب القرآن ووعائب الفرقان: ٤/٤١.

(٣) جامع البيان للطبري: ١٥/٤٢٤.

(٤) البحر المحيط: ٦/١٨٩.

(٥) تفسير ابن عطية: ٣/١٩٦.

فأسقط قوله: (ولا يلتفت منكم أحد) من هذا الموضع^(١). وقال النحاس: "قال أهل العربية في معنى ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ﴾، إنَّ المعنى: فأسرٍ بأهلك إلا امرأتك"^(٢). نستنتج مما سبق أن الفصل لم يقف حائلاً دون المعنى الأصلي والمراد، ألا وهو كون المرأة مستثناة من الأهل وهو ما ذهب إليه الدكتور تمام حسّان.

- وفي معرض تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف: ٥٥]، قال الدكتور تمام حسّان: "المعنى والله أعلم: (وما حال بين الناس وبين الإيمان إلا أن حقت عليهم كلمة العذاب فكفروا لينزل العذاب بساحتهم). هنا أيضاً نجد العطف هو سبب البعد بين المسبب (المستثنى منه) والسبب (المستثنى) ولا بأس بهذا البعد بسبب العطف"^(٣). وقال الزحّاشي: "المعنى (وما منع الناس الإيمان والاستغفار إلا انتظار أن تأتيهم سنة الأولين وهي الإهلاك أو انتظار أن يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة قبلاً عياناً)"^(٤). وقال أبو حيان: "قال الزجاج: تقديره ما منعهم من الإيمان إلا طلب أن تأتيهم سنة الأولين. وقال الواحدي: المعنى ما منعهم إلا أني قد قدرت عليهم العذاب"^(٥)، وقال الزركشي: "وهذا مما استشكلوه فإنه يدل على حصر المانع من الإيمان في أحد هذين الشيئين"^(٦)، و﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾ عطف على ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾"^(٧)، وهو سبب لطول البعد بين المستثنى منه والمستثنى وهو مسموح في العطف فلا ضير فيه ولا يؤثر على المعنى.

(١) مفاتيح الغيب: ٣٨١/١٨.

(٢) إعراب القرآن للنحاس: ٢٤٣/٢.

(٣) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٢٩.

(٤) الكشاف: ٧٢٩/٢، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣٠٧/٢.

(٥) البحر المحيط: ١٩٣/٧.

(٦) البرهان في علوم القرآن: ٦٥/٢، وينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٩٧/٣.

(٧) الوسيط للواحدي: ١٥٤/٣.

- وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٢]، قال الدكتور تمام حسّان: "أنّ المستثنى منه نفي الإرسال مطلقاً لجميع الرسل، والمستثنى رسول أو نبي تمّنى. وقد طال المستثنى منه بالعطف في قوله تعالى: ﴿ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ مسبوqاً بالجار والمجرور ﴿ مِنْ قَبْلِكَ ﴾. والبعد بسبب العطف موضع تسامح، فهو ك(لا بعد)^(١)، والنص القرآني يرشد عند الاستقراء إلى كذب ما سبق هذا النص من أجله وهو قصة الغرانيق. وقال السمين الحلبي: "قوله: ﴿ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ ﴾: في هذه الجملة بعد (إلا) ثلاثة أوجه، أحدها: أنّها في محل نصب على الحال من (رسول) والمعنى: وما أرسلناه إلا حاله هذه، والحال محصورة. الثاني: أنّها في محل الصفة ل (رسول)، فيجوز أن يحكم على موضعها بالجر باعتبار لفظ الموصوف، وبالنصب باعتبار محله؛ فإنّ (من) مزيدة فيه. الثالث: أنّها في موضع استثناء من غير الجنس. يعني أنه استثناء منقطع"^(٢). وقال أبو البقاء: "قوله تعالى: ﴿ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى ﴾: قيل: هو استثناء من غير الجنس"^(٣). وقال محي الدين درويش: "ولك أن تجعل الاستثناء منقطعاً فتكون إلا أداة استثناء والجملة نصب على الاستثناء"^(٤). وقال محمود صافي: "إلا أداة حصر أو أداة استثناء، والشرط وفعله وجوابه في محلّ نصب على الاستثناء المنقطع"^(٥). هنا نجد أن العطف هو سبب البعد بين المستثنى منه والمستثنى ولا بأس بهذا البعد لأن المعطوفات كالشيء الواحد فلا يقدرح الطول في إرادة المعنى المراد. "والبعد بسبب العطف موضع تسامح"^(٦).

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم ٢٩.

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٢٩٢/٨.

(٣) التبيان في إعراب القرآن: ٩٤٥/٢، وينظر: إعراب القرآن العظيم المنسوب لتركيب الأنصاري: ٤٠٤.

(٤) إعراب القرآن وبيانه: ٤٤٩/٦.

(٥) الجدول في إعراب القرآن: ١٢٩/١٧، وينظر: المحتجب من مشكل إعراب القرآن: ٧٥٥/٢، إعراب القرآن للدعاس:

٣١٦/٢.

(٦) البيان في روائع القرآن: ٥٣/٢.

التكرار تجنباً لأثر البعد:

إنَّ آيَّةَ علاقة نحوية أو أسلوبية بين عنصرين من عناصر السياق إنما تكون أكثر وضوحاً مع قرب أحدهما من الآخر منها عند بعده عنه. ومن هنا يلزم وجود القرينة عند بعد أحدهما عن الآخر. "ولكن هذه القرينة قد لا تتحقق أحياناً مع مطل أول العنصرين أو بعده بالفصل أو الاعتراض، وعندئذ يتكرر ذكر العنصر الأوّل ليقترّب بالتكرار من العنصر الآخر، فيكون التكرار وسيلة لإنشاء القرب بعد البعد"^(١)، قال السيوطي: "التكرير أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة خلافاً لبعض من غلط وله فوائد منها: التقرير، وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرر وقد نبّه تعالى على السبب الذي لأجله كرر الأفاصيص والإنذار في القرآن بقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [١١٣]، ... ومنها إذا طال الكلام وحُشِيَ تناسي الأوّل أعيدَ ثانية تَطْرِيَةً له وتحديداً لعهدته"^(٢).

ومما جاء من التكرار في القرآن الكريم الشواهد التالية:

- في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩]، قال الدكتور تمام حسان أن: "التكرار يتمثل في عبارة ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ ولو نظرنا إلى الكلمة التي تسبق تكرار المطلق والكلمة الأخرى التي تأتي بعده لوجدناهما أيضاً مكررتين على صورة ﴿ كَفَرُوا ﴾ و ﴿ كَفَرُوا بِهِ ﴾، ولو لم تنفصل إحدى الكلمتين عن الأخرى بواسطة التكرار المذكور لبدت ثانية الكلمتين كأنها توكيد لفظي لأختها وليست جواباً للأداة الظرفية الزمانية (لما). وبذلك يتغير المعنى ويحدث اللبس. وهكذا جاء التكرار ليقرب المسافة بين (لما) وجوابها بعد تباعدهما"^(٣). قال الراغب الأصفهاني: "لَمَّا طالت القصة، واعترض فيما بينها ما فيه زيادة بيان أعاد الحكم"^(٤)، قال أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ): "الكلام إذا

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٣٠.

(٢) الإتيان في علوم القرآن: ٣/٢٢٥.

(٣) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٣١، وينظر: إرشاد العقل السليم: ١/١٢٨، البرهان في علوم القرآن: ٢/٣٨٧.

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني: ١/٣٤٠.

طال الفصل بينه وبين ما يتعلق به جاز إعادته ليتصل بالمتعلق به كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فلَمَّا طال الفصل قبل الجواب أعاد الفصل بالفاء، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾^(١). وقال ابن عطية: "اختلف النحاة في جواب لَمَّا وَلَمَّا الثانية في هذه الآية. فقال أبو العباس المبرد: جوابهما في قوله: ﴿كَفَرُوا﴾، وأعيدت لَمَّا الثانية لطول الكلام. وقال الأخفش والزجاج: لَمَّا الأولى لا جواب لها للاستغناء عن ذلك بدلالة الظاهر من الكلام عليه"^(٢)، فكأنه محذوف، واختاره الرَّحْمَشَرِيُّ وقدّره نحو: "كذبوا به واستهانوا بمجيئه"^(٣)، وقال أبو البقاء: "قيل: جواب لما الأولى لما الثانية وجوابها؛ وهذا ضعيف؛ لأن الفاء مع لما الثانية، وَلَمَّا لا تجاب بالفاء إلا أن يعتقد زيادة الفاء على ما يميزه الأخفش"^(٤)، وردّه ابن هشام كذلك لاقتراحه بالفاء^(٥). وذهب الفراء إلى أن الفاء في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾، "جواب لَمَّا الأولى، و﴿كَفَرُوا﴾، جواب لقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾"^(٦)، وعلّق أبو حيان على هذا قائلاً: "وأما قول الفراء فلم يثبت من لسانهم، لَمَّا جاء زيدٌ، فلَمَّا جاء خالد أقبل جعفر، فهو تركيب مفقود في لسانهم فلا نبتة، ولا حجة في هذا المختلف فيه، فالأولى أن يكون الجواب محذوفاً لدلالة المعنى عليه"^(٧). وخلاصة القول أنّ (كفروا به) جواب (لَمَّا) الأولى والثانية، وهو ما قال به المبرد، وأكّد الدكتور تمام حسّان على أنّ التكرار جاء ليقرب بين (لَمَّا) وجوابها لأمن اللبس^(٨).

- ومن الشواهد الأخرى على التكرار قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ

يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني، أبي شامة الدمشقي: ٤٠٧.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١٧٨/١.

(٣) الكشف: ١٦٤/١.

(٤) التبيان في إعراب القرآن: ٩٠/١.

(٥) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٢٢١.

(٦) معاني القرآن للفراء: ٥٩/١.

(٧) البحر المحيط: ٤٨٧/١، وينظر: مفاتيح الغيب: ٥٩٨/٣، الجامع لأحكام القرآن: ٢٧/٢.

(٨) ينظر: البيان في روائع القرآن: ٥٥/٢.

١٨٨]، حيث رأى الدكتور تمام حسّان أنه: "لو لم يوجد التكرار لَبَدَّتِ الآية على النحو التالي: (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا بمفازة من العذاب)، عندئذ يبدو الجار والمجرور ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ وكأنّه متعلق بالفعل الذي قبله مباشرة وهو ﴿يَفْعَلُوا﴾. وإذن يتغيّر المعنى ويحدث اللبس. ومن هنا جاء التكرار وسيلة تقريب بين طرفي العلاقة ليقرّب بين ﴿تَحْسَبَنَّهُمْ﴾ و ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ فيكون العنصر المكرر أشبه بقريئة على إرادة المعنى المقصود"^(١). و﴿بِمَفَازَةٍ﴾ "جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف هو المفعول الثاني لـ ﴿تَحْسَبَنَّهُمْ﴾"^(٢)، قال الطّبري: "كرر (لا تحسبن) تأكيداً لما طال الكلام، وهو صحيح كلام العرب وصريحه"^(٣). وقال الرّاعب الأصفهاني: "فلَمَّا فصل بينه وبين ما يتعلق به أُعيد ذكره"^(٤)، وقال أبو حيان: "وحسن تكرار الفعل فلا يحسبنهم لطول الكلام، وهي عادة العرب، وذلك تقريب لذهن المخاطب، وإذا كان فلا يحسبنهم توكيداً أو بدلاً، فدخول الفاء إنّما يتوجه على أن تكون زائدة، إذ لا يصح أن تكون للعطف، ولا أن تكون فاء جواب الجزاء"^(٥). قال الباقولي: "قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾ تكرار للأول، وتكون الفاء زيادة في الوجوه كلها، إذ لا وجه للعطف، ولا للجزاء"^(٦). وقال الزجاج: "لا تحسبنّ"، مكرر لطول القصة. قال: والعرب تعيده إذا طالت القصة حسبت وما أشبهها. إعلاما أنّ الذي جرى متصل بالأول، تقول: لا تظننّ زيدا إذا جاءك وكلّمك بكذا فلا تظننّه صادقا"^(٧). وقال النحاس: "كرّر (تحسبن) لطول الكلام ليعلم أنه يراد الأول كما تقول: لا تحسب زيدا إذا جاءك وكلّمك لا تحسبه مُنَاصِحاً"^(٨). وقال ابن جيّي: "الفاء زائدة، وتحسب الثانية بدل من تحسب الأولى"^(٩). وقال أبو البقاء: "الفعل الثاني تكرير للأول، وحسّن لما طال الكلام المتصل

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٣١.

(٢) الجدول في إعراب القرآن: ٤٠٩/٤.

(٣) جامع البيان للطبري: ٤٢٩/٧.

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني: ٤١٥/٥.

(٥) البحر المحيط: ٤٦٧/٣.

(٦) إعراب القرآن للباقولي - منسوب خطأ للزجاج: ٤٢٩/٢.

(٧) تفسير الراغب الأصفهاني: ١٠٣٤/٣، وينظر: الكشّاف: ٤٥١/١، مفاتيح الغيب: ٤٥٧/٩.

(٨) إعراب القرآن للنحاس: ١٩٣/١.

(٩) سر صناعة الإعراب: ٢٧٩/١.

بالأول^(١)، وقيل: "والباء الزائدة لا تمنع من عمل ما بعدها فيما قبلها وتجيء بمعنى (حيث) نحو: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ أي: بحيث يفوزون"^(٢). وهكذا يتبين لنا بأن التكرار وسيلة للتقريب بين طرفي العلاقة المتباعدتين وأمن اللبس الذي كان يحصل لولاه.

(١) التبيان في إعراب القرآن: ٣١٩/١.

(٢) ينظر: فقه اللغة وسر العربية: ٢٤٣، الكليات: ٢٢٩.

المبحث الثاني: خصائص تركيبية

- التركيب :

- الزيادة:

- زيادة حرفي النفي (ما، لا)
- زيادة حرف العطف (الواو)
- زيادة الضمير

- الحذف، أنواع الحذف

- حذف الحرف
- حذف الكلمة
- حذف شطر الجملة
- حذف كلام يقتضيه المعنى

- الفصل

- بين لولا وفعلاها
- بين الفعل ومفعوله
- بين الحال وصاحبه
- بين الموصوف وصفته
- بين المعطوف عليه والمعطوف

المبحث الثاني: خصائص تركيبية:

التركيب:

تحدى القرآن العرب أن يأتوا بسورة من مثله وأن يدعوا من استطاعوا من دون الله، فلم تستطع روائع الخطباء ولا سجع الكهان ولا شياطين الشعر أن تدنو من القرآن، لا بسبب الصرفة كما زعم بعض المعتزلة، فبعض الناس حاول أن يأتي بمثل القرآن، ولكن بسبب امتناع النص القرآني نفسه على من يحاول له محاكاةً وتقليداً. ولقد نشأت العلوم اللغوية في التراث العربي في رحاب القرآن وللإعانة على حسن فهمه، ولكنها بنت ملاحظاتها على كلام العرب ولم تُجَرِّ استقراءها على القرآن نفسه، فلما اكتملت في أيدي العلماء حقائق تلك العلوم وقواعدها عرضوها على النص القرآني فانسجمت مع بعضه وقصرت دون بلوغ البعض الآخر. وظلَّ القرآن فوق النحو وفوق البلاغة وفوق غيرها من علوم العربية وإن أعانت هذه العلوم على فهمه، ظل القرآن فوق هذه العلوم يتحدى قواعدها وحقائقها كما تحدى الفصحاء من مقاويل العرب من قبل فأصبح التحدي القرآني منتصراً في مجال النظرية والتطبيق على سواء.

ومن المعروف أنَّ السياق اللغوي يعتمد في فهمه على الخضوع لأنماطٍ تركيبيةٍ مُعيَّنة، ومن هنا جاءت الكَلِمُ أنواعاً لكلِّ منها موقعٌ خاصٌّ في الكلام، ولكل موقعٍ إعرابٍ يناسبه، ولكل كلمة اختصاص بما يدخل عليه أو امتناع على ما يتنافى معها، ولا بد لأجزاء الجملة من روابط تربط بعضها ببعض. فلا يجوز أن تأتي الكلم متجاورة كيفما اتَّفَق لها التجاور، فيقال مثلاً: (على جلس الكرسي الرجل)، إذ لا بد من إخضاع توالي الكلمات لشروط النمط التركيبي، فيقال: (جلس الرجل على الكرسي)، والمعروف أنَّ لكلِّ لغة إنسانية مجموعة من الأنماط قلَّت أو كثُرت، وترتبط الإفادة بهذه الأنماط، فإذا عرفنا أن نمط الجملة هو (الوضع) الذي تكون عليه من حيث الشروط النحوية التركيبية المتقدم ذكرها، أدركنا ما يقصده النحاة من قولهم: "الكلام هو اللَّفْظ المَرْكَبُ المفيدُ بالوضع"^(١)، أي المفيد بحكم النمط المحدد نحويّاً. والقرآن فوق هذه الأنماط يَعْلُو عليها ويتحدّها ويصل إلى المعنى فيبلغ غاية الإفادة ولو بدون (الوضع). ولأمر ما قال القُرَّاءُ: "القِرَاءَةُ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ"^(٢)، وقصدوا بذلك أنَّها لا يجوز إخضاعها (للوضع) النحوي بما يشتمل عليه من قواعد وقيود وشروط. ولعلَّ هذا يُعَدُّ جانباً

^(١) متن الآجرومية: ٥/١، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي: ٣٥/١.

^(٢) فضائل القرآن، للقاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، وينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٢٦٠/١.

مُهَمًّا من جوانب الإعجاز القرآني أفاض القدماء في شرحه ولكنهم لم يهتدوا إلى عدّه في وجوه الإعجاز. وللقرآن طرقة التي انفرد بها في صياغة الجملة العربية دون التزام منه (بالوضع) النمطي الذي اشترطه النحاة للوصول إلى الإفادة^(١).

وتحرص اللغة أكبر الحرص على أمن اللبس لأن اللغة أداة اتصال بين أطراف مختلفة، فإذا كانت العبارة عرضة للبس لم يتحقق الغرض المرجو من الاتصال ومن هنا قامت الشروط الصوتية والصرفية والنحوية حارساً على تحقيق القرائن التي يتبين بها المعنى، وحسبنا أن نقرأ في هذا المجال عبارة ابن مالك التي يقول فيها: وإن بشكل خيف لبس يجتنب^(٢). أمّا حين يتحقّق القدر الكافي من القرائن للدلالة على المعنى، فقد كان الفصحاء يترخصون في بعض القرائن لا يفرّقون في ذلك بين شعر ونثر. فأما في الشعر فقد نسب الأقدمون ذلك إلى الضرائر ونحن نعلم أنه كان للشاعر مندوحة في بعض رخصه ولكنه فضل الترخّص وهو أدري بما يقول، وأما في غير الشعر فقد تباينت أوصاف الترخّص بين الشاذ والنادر والقليل والغلط والقبلي والمصنوع والمنحول وغير ذلك، وقد كان القدر المشترك بين كل ذلك أنه ترخص في القرينة عند وضوح المعنى بدونها. وهذا الترخّص مقبول من الفصحاء بشرط واحد عبّر عنه بعضهم بعبارة: (الرخصة مشروطة بمحلها)، ويقول أبو هلال العسكري: والتوسع يلزم موضعه المستعمل فيه ولا يتعداه^(٣)، أي أنّ المُحدَثين وهم غيرُ فُصَحَاءٍ لا يُقبل منهم الترخّص في اللغة وإمّا يُعدّ ذلك منهم من قَبيل الخطأ في الاستعمال.

"والقرائن التي يمكن الترخّص فيها في اللغة العربية هي: البنية والإعراب والربط والتضام، وكتب النحو مليئة بتأويل ذلك بإرجاعه إلى أصل من أصولهم بواسطة القول بالزيادة أو الحذف أو الفصل أو الإضمام أو التقديم أو الإعراب أو التضمين أو نيابة شيء عن شيء أو التعويض أو الفك أو السبب أو الإعلال أو الإبدال أو النقل أو القلب... الخ. والقرآن كما ذكرنا جاء بلسان عربي فكان في أعلى طبقات الفصاحة، وكان فوق الحدود الضيقة التي انحصرت فيها قواعد النحاة، إذ عني النحاة بالمطرّد ولكنّ اللغة تشتمل على المطرّد وغيره وليس غير المطرّد يطعنون في فصاحته لأن الشذوذ لا ينافي الفصاحة، ومن هذا المنطلق نبدأ النظر في بنية بعض الكلمات التي وردت في القرآن الكريم"^(٤).

"والكلمة العربية من حيث بنيتها نوعان: تركيبية ومعجمية، فأما التركيبية فإنها تتناقض مع

(١) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٤٣.

(٢) شرح ابن عقيل: ١١٧/٢، شرح الأشموني: ٤١٦/١.

(٣) الفروق اللغوية للعسكري: ٣٤.

(٤) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٧٧.

التعريف الذي وصفه النحاة للكلمة إذ قالوا: الكلمة ما دل على معنى مفرد^(١)، لأن الكلمة التركيبية لا معنى لها إلا في السِّيَاق، فإذا دلت (في) على الظرفية فقد عبّرت عن علاقة بين كلمتين في السياق إحداهما ظرف والأخرى مظروف، وإذا عبّرت (الواو) عن العطف فمعناها هو العلاقة بين المعطوف عليه والمعطوف، ومعنى (إلا) علاقة بين المستثنى منه والمستثنى، ومعنى (إن) الشرطية علاقة ما بين الشرط والجواب... ومن الكلمات التركيبية الحروف والضمائر والموصلات والإشارات وجوامد الظروف... الخ. وواضح أنّ هذه المعاني هي وظائف وليست من قبيل المعاني المفردة، لأنّ المعاني المفردة هي معاني الكلمة المعجمية، إذ يدل لفظ (قلم) مثلاً على شيء مادي وليس على وظيفة نحوية^(٢).

ويشمل التّركيب: الزيادة والحذف والفصل:

أ- الزيادة:

قال الدكتور تمام حسّان: "فحوى القول بالزيادة أنّ النحويين حين حدّدوا معالم (الوضع) (أي النمط) حدّدوه على أساس عناصر معيّنة ليس منها هذا الذي يعرف بأنّه (زائد) وبذلك يصبح معنى لفظ (زائد)، أنّ هذا ليس من جملة العناصر التي يشتمل عليها (الوضع) الذي ربط النحويون به الإفادة. ولكنّ البلاغيين يجعلون لهذا الزائد (وظيفة) تقوية المعنى إذ يقولون: (زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى). فالزائد عند النحويين مؤكّد عند البلاغيين أي أنّ (ما زيدٌ بقائمٍ)، هي أوكدٌ من (ما زيدٌ قائمٌ)، ولقد حصّر النحويّون وعرفَ البلاغيّون مَواطِنَ الزيادة وحدّدوا أماكنها وشروطها حتى كادوا يخلقون لها أنماطاً فرعيّة. ولكن القرآن فوق كل ذلك إذ يجعل لنفسه حرّية التصرف في الزيادة على نحو لا يعترف بأنماط النحويين وحدودهم"^(٣)، وقال ابن جنيّ عن الحروف: "وأما زيادتها فلإرادة التّوكيد بها"^(٤)، ويقول الدكتور فاضل السامرائي: "بأن الحروف الزائدة والمؤكدة متعددة وكل منها يفيد نوعاً من التّوكيد أو زيادة فيه مما يزيد مساحة التعبير والمعنى"^(٥)، وقال الدكتور تمام حسّان: "إنّ نسبة الزيادة إلى عنصر لغوي ما، لا تعني أبداً أنّ ذكر هذا العنصر من قبيل الحشو، وإنما هو من قبيل زيادة المعنى، أو بعبارة أخرى من قبيل توكيد المعنى. ومن هذا القبيل زيادة حرف الجر وحرف النفي وحرف

(١) ينظر: معجم مقاليد العلوم للسيوطي: ٨٠، المفصل في صناعة الإعراب للزمخشري: ٢٤.

(٢) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٤٥.

(٣) المصدر نفسه: ١٤٦.

(٤) الخصائص: ٢٨٤/٢.

(٥) الجملة العربية والمعنى: ٢١٥.

العطف وغير ذلك"^(١). ومن طرق الزيادة ما يأتي:

١- زيادة حرف النفي:

أ- زيادة ما:

كما في الآيات الآتية:

- قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

- قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِّثْقَهُمْ لَعَنَهُمْ﴾ [المائدة: ١٣].

- قوله تعالى: ﴿أَتُرَكُونَ فِي مَا هَلَهْنَا ءَامِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٦].

قال الدكتور تمام حسان: "في هذه الشواهد الثلاثة زيادة (ما) بعد حرف الجرّ بينه وبين مجروره، وهي طريقة قرآنية. ورتباً كانت الزيادة في الشاهد الثالث مشتملة على حرف الجر بالإضافة إلى (ما)"^(٢). ويقول: "وقد تُزادُ (ما) بعد حروف الجر (الباء ومن وعن) ويبقى الجرّ"^(٣). وقال سيبويه: "وتكون توكيداً لغوياً، وذلك قولك: متى ما تأتي آتِكَ، وقولك: غضبت من غير ما جرم. وقال الله عز وجل: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِّثْقَهُمْ لَعَنَهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]، وهي لغوٌ في أنّها لم تُحدث إذ جاءت شيئاً لم يكن قبل أن تجيء من العمل، وهي توكيدٌ للكلام"^(٤). وقال بزيادته كثيراً من النحاة منهم: (الأخفش والنحاس وأبو البقاء والباقولي والراغب والسيوطي ومكي وغيرهم)^(٥). وقال الأصبهاني: "وأما الحروف فيستحسن زيادتها لاسيما (ما)"^(٦)، وذهب المرادي إلى أنّ: "(ما) تأتي زائدةً لمجرد التوكيد، وهي التي دخولها في الكلام كخروجها"^(٧)، وقال ابن الأنباري: "ما زائدة مؤكدة، وقول من قال: إنّ ما ليست زائدة وإنما هي نكرة في موضع جر، خلاف قول الأكثرين، لأن زيادة ما كثير في كلامهم، والقرآن

(١) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٧٨.

(٢) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٤٦.

(٣) الخلاصة النحوية: ١٦٩.

(٤) الكتاب لسيبويه: ٢٢١/٤.

(٥) ينظر: معاني القرآن للأخفش: ١٤٢/١، إعراب القرآن للنحاس: ١٨٦/١، التبيان في إعراب القرآن: ٣٠٥/١،

ماءات القرآن: ٥٠، تفسير الراغب الأصفهاني: ٢١٥/٤، معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٣٨/٣، مشكل إعراب

القرآن لمكي: ٢١١/١.

(٦) إعراب القرآن للأصبهاني: ٣٩٦.

(٧) الجني الداني: ٣٣٢.

نزل بلغتهم" (١). وذهب الرَّحْشَرِيُّ إلى أنها زائدة، فهو يقول: "ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله ونحوه: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ﴾" (٢)، وبه قال السمين الحلبي (٣). وكذلك قال الخوارزمي عن هذه الحروف الزائدة: "محصول ومذهب الناس في هذه الحروف على قولين: أحدهما: أنها زيدت للتوصل إلى الفصاحة فرمما لم يتمكن اللفظ المفرد في الوزن أو في شيء من الأمور اللفظية فإذا دُعِمَ بشيء من هذه الزوائد صلح. الثاني: أنها زيدت لتوكيداً للمعنى" (٤)، وقد بيّن الرضي سبب تسمية هذه الحروف بالزائدة مع إفادتها معنى التأكيد قال: "فإن قيل: فيجب ألا تكون زائدة إذا أفادت فائدة معنوية؛ قيل: إنما سُميت زائدة لأنه لا يتغير بها أصل المعنى بل لا يزيد بسببها إلا تأكيد المعنى الثابت وتقويته، فكأنها لم تفد شيئاً لَمَّا لم تغاير فائدتها العارضة الفائدة الحاصلة قبلها، ولا يجوز خلؤها من الفوائد اللفظية والمعنوية معاً وإلا لعدت عبثاً ولا يجوز ذلك في كلام الفصحاء، ولا سيما في كلام الباري تعالى، وأنبيائه وأئمة عليهم السلام" (٥)، و"يسميه بعضهم صلة، وبعضهم زائدة، والأول أولى، لأنه ليس في القرآن حرف إلا وله معنى. ويتصل بها الاسم والفعل، وتقع أبداً حشواً أو آخرًا، ولا تقع ابتداءً، وإذا وقعت حشواً، فلا تقع إلا بين الشيئين المتلازمين؛ وهو مما يؤكد زيادتها لإقحامها بين ما هو كالشيء الواحد" (٦). وقال الزجاج: " (ما) في التوكيد بمنزلة حق إلا أنه لا إعراب لها، والخافض والناصب يتخطأها إلى ما بعدها، فمعناها التوكيد، ومثلها في التوكيد (لا) في قوله: ﴿لَيْتَ لَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩]، معناه لأن يعلم أهل الكتاب" (٧)، وقال أيضاً: "ما حرف زائد للتوكيد عند جميع البصريين" (٨). وقال القرطبي: "ما صلة فيها معنى التأكيد، وليست بزائدة على الإطلاق، وإنما أطلق عليها سببويه معنى الزيادة من حيث زال عملها" (٩). وقال الرازي: "ذهب الأكثرون إلى أن (ما) في قوله: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾، صلة زائدة

(١) البيان في غريب إعراب القرآن: ٢٢٩/١.

(٢) الكشاف: ٤٣١/١.

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٤٦١/٣.

(٤) شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير: ١٢٨-١٢٩/٨.

(٥) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤٣٢/٤-٤٣٣.

(٦) معجم الأدوات في القرآن الكريم، راجي الأسمر: ٢٧٠.

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٠٣/١-١٠٤.

(٨) البرهان في علوم القرآن: ٧٨/٣.

(٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٨/٤.

ومثله في القرآن كثير، قالوا: والعرب قد تزيد في الكلام للتأكيد على ما يستغنى عنه" (١)، وقال المبرد: "ما زائدة مؤكدة لا يخل طرحها بالمعنى كقول الله عز وجل: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ﴾ وكذلك: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ﴾" (٢)، وقال ابن السراج: "لو كان ل(ما) موضع من الإعراب ما عملت الباء في (نقضهم)، وإنما جيء بها زائدة للتأكيد" (٣)، وقال أبو حيان في البحر: "وما هنا زائدة للتأكيد، وزيادتها بين الباء وعن ومن والكاف، وبين مجروراتها شيء معروف في اللسان، مقرر في علم العربية" (٤). وقال ابن جني: "وقد كثرت زيادة (ما) توكيداً" (٥)، وقال الوراق: "(ما) ليس لها معنى في نفسها إذا كانت زائدة، فحسُن إلغاؤها من بين سائر الحروف، لكثرة تصرفها وزوال معناها" (٦)، وقال ابن هشام: "ما زائدة مجرد تقوية الكلام" (٧). وقال الزركشي: "واعلم أن الزيادة واللغو من عبارة البصريين، والصلة والحشو من عبارة الكوفيين ... والأولى اجتناب مثل هذه العبارة في كتاب الله تعالى؛ فإن مراد النحويين بالزائد من جهة الإعراب لا من جهة المعنى، وقد اختلف في وقوع الزائد في القرآن؛ فمنهم من أنكروه؛ قال الطرطوسي في العمدة: زعم المبرد وثعلب ألا صلة في القرآن، والدهماء من العلماء والفقهاء والمفسرين على إثبات الصلّات في القرآن، وقد وجد ذلك على وجه لا يسعنا إنكاره، فذكر كثيراً. وقال ابن الحُبَّاز في التوجيه: وعند ابن السراج أنه ليس في كلام العرب زائد؛ لأنه تكلم بغير فائدة وما جاء منه حمله على التوكيد. ومنهم من جوزه وجعل وجوده كالعدم وهو أفسد الطرق. وقد ردّ على فخر الدين الرّازي قوله: إنّ المحققين على أنّ المهمل لا يقع في كلام الله سبحانه، حيث فجعل الزائد مهماً، وليس كذلك، لأن الزائد ما أتى به لغرض التقوية والتوكيد، والمهمل ما لم تضعه العرب، وهو ضد المستعمل وليس المراد من الزيادة حيث - ذكرها النحويون - إهمال اللفظ، ولا كونه لغواً فتحْتَاج إلى التنكّب عن التعبير بها إلى غيرها؛ فإنهم إنّما سمّوا (ما) زائدة هنا لجواز تعدّي العامل قبلها إلى ما بعدها، لا لأنّها ليس لها معنى، ومعنى كونه زائداً أنّ أصل المعنى حاصل بدونه

(١) مفاتيح الغيب: ٤٠٦/٩، ٢٥٨/١١.

(٢) المقتضب: ٤٨/١، ٥٢/٣.

(٣) الأصول في النحو: ٢٥٨/٢.

(٤) البحر المحيط: ٤٠٧/٣، وينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: ٤١٠/٣.

(٥) الخصائص: ٢٨٤/٢.

(٦) علل النحو: ٢١٩.

(٧) مغني اللبيب: ٤١٦.

دون التأكيد؛ فبوجوده حصل فائدة التأكيد، والواضع الحكيم لا يضع الشيء إلا لفائدة" (١). وقال ابن الأنباري في قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهٗ لَمَ حَكْمٌ﴾، " (ما) هَهُنَا مَا غَيَّرَتْ لَا لِفِظًا، وَلَا مَعْنَى، وَلَا حَكْمًا؛ لِأَنَّ التَّقْدِيرَ: فَبِرَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهٗ لَمَ حَكْمٌ" (٢). وقال الدكتور أحمد مختار عمر: "ما زائدة غير كافة إن وقع بعدها اسم مجرور" (٣). وقال الدكتور فاضل السامرائي: "و(ما) تزداد كثيراً بعد أدوات الشرط وطائفة من حروف الجر وغيرها" (٤). و"تسمى هي وغيرها من الحروف الزوائد صلةً وتأكيداً في اصطلاح المعربين فراراً من أن يتبادر إلى الذهن أن الزائد لا معنى له والحامل على هذه التسمية خصوص المقام القرآني والتعميم لطرد الباب وقطع المادة نحو: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهٗ لَمَ حَكْمٌ﴾، ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، أي: (فبرحمة)، و(عن قليل ليصبحن نادمين)" (٥). و(ما) زائدة في الإعراب، ولكنها في المعنى لتقوية معنى الرحمة" (٦)، وقال الرافعي: "إنَّ النحاة يقولون إنَّ (ما) زائدة أي في الإعراب، فيظن من لا بصر له أنَّها كذلك في النَّظْمِ وَيُقَيِّسُ عَلَيْهِ، مَعَ أَنَّ فِي هَذِهِ الزِّيَادَةِ لَوْنًا مِّنَ التَّصْوِيرِ لَوْ هُوَ حَذَفَ مِّنَ الْكَلَامِ لَذَهَبَ بِكَثِيرٍ مِّنَ حَسَنِهِ وَرُوَعْتَهُ" (٧). وقال الصَّبَّان: "ويظهر لي أنَّ (ما) زائدة بين الجار ومجروره نحو: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهٗ لَمَ حَكْمٌ﴾" (٨). وقال ابن مالك في الألفية:

وبعد من وعن وباءٍ زيد ما فلم يعق عن عملٍ قد علما (٩)

قال ابن عقيل في شرحه: "تزداد ما بعد من وعن والباء فلا تكفها عن العمل" (١٠)، فتبيّن أنَّ (ما) تزداد بعد عن ومن والباء فلا يبطل العمل بهذه الزيادة. وقال ابن الأثير: "ومن ذهب إلى أنَّ في القرآن لفظاً زائداً لا معنى له، فيما أن يكون جاهلاً بهذا القول، وإما أن يكون متسامحاً في دينه واعتقاده. وقول

(١) البرهان في علوم القرآن: ٧٢/٣-٧٣.

(٢) أسرار العربية: ٤١.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢٤٧/١.

(٤) الجملة العربية والمعنى: ٢١٥.

(٥) موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب: ١٥٧.

(٦) زهرة التفاسير: ١٤٧٤/٣.

(٧) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي: ١٥٩.

(٨) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: ٤١٠/٣.

(٩) ألفية ابن مالك: ٣٥.

(١٠) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٣١/٣، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٥٥/٣.

النحاة: إن (ما) في هذه الآية زائدة، وإنما يعنون به أنها لا تمنع ما قبلها عن العمل، كما يسمونها في موضع آخر كافة: أي أنها تكف الحرف العامل عن عمله، كقولك: إنما زيدٌ قائم، فما قد كفت (إن) عن العمل في زيد، وفي الآية لم تمنع عن العمل ألا ترى أنها لم تمنع (الباء) عن العمل في خفض (الرحمة)"^(١).

فالزيادة مصطلح نحويّ وليس من اللازم أن يكون المصطلح مطابقاً للدلالة المقامية، فهم يريدون به أن الحرف زائد من جهة الإعراب لا من جهة المعنى، ولا يصح إسقاطه لأنه لم يُؤتَ به للوصل بين الألفاظ في الجملة ولكن جيء به لمقاصد بيانية تُدرك بالحس العربي السليم وبسجيّة الفصاحة، وقال الزركشي في البرهان: "سئل بعض العلماء عن التوكيد بالحرف وما معناه، إذ إسقاط كل الحرف لا يخل بالمعنى، فقال: هذا يعرفه أهل الطباع، إذ يجدون أنفسهم بوجود الحرف على معنى زائد، لا يجدونه بإسقاط الحرف، إن كان معناه الزيادة التي دخولها كخروجها، فلا معنى لذكر الوظيفة البلاغية حينئذ، وإن كان المقصود أن الحرف إنما زيد في النظم لمعنى، فحينئذ ينبغي أن لا يسمى زائداً"^(٢).

وقد تعرّض ابنُ سنان الخفاجيّ (ت ٤٦٦ هـ) لهذه المسألة فقال: "فأمّا زيادة (ما) في قول الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِّيثَقَهُمْ﴾، فإنّ لها هنا تأثيراً في حُسنِ النّظْمِ وتمكيناً للكلام في النفس، وبعداً به عن الألفاظ المُبتدلة، فعلى هذا لا يكون حشواً لا يُفيد، وأهل النحو يقولون: إنّ (ما) في هذا الموضع صلةٌ مُؤكّدةٌ للكلام وقد يكون التوكيد عندهم بالتكرار كما يكون بالعلامة الموضوعية له، وإذا أفاد الكلام شيئاً فليس من الحشو المذموم لأنّ حقيقة الحشو هو الذي يكون دخوله في الكلام وخروجه على سواء. وإمّا الغرضُ به إقامة الوزن في الشعر أو ما يجري مجرى ذلك في النثر"^(٣). وقال عبد القاهر الجرجاني: "لا يجوزُ أن يقال إنّ زيادة (ما) في نحو: (فِيمَا رَحْمَةٍ) مجازٌ، أو أنّ جملة الكلام تصيرُ مجازاً من أجل زيادته فيه، وذلك أنّ حقيقة الزيادة في الكلمة أنّ تُعزى من معناها، وتذكر ولا فائدة لها سوى الصلّة، ويكون سقوطها وثبوتها سواءً"^(٤).

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٧٦/٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٧٤/٣.

(٣) سر الفصاحة: ١٥٦-١٥٧.

(٤) أسرار البلاغة: ٤١٧.

ب- زيادة لا:

كما وردت في الآيات الآتية:

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: ٣٤]

- قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ١٩ - ٢٢]

- قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ [القيامة: ١، ٢]

قال الدكتور تمام حسان: "من الواضح أن الزائد في هذه الشواهد، لفظ (لا) الذي قبل (السيئة) و(النور) و(الحرور) و(الأموات) و(أقسم)، وهذه زيادة لم توضح لها أنماط نحوية، ولكن القرآن فوق النحو، لأنه سنة متبعة^(١). قال سيبويه: "وأما (لا) فتكون ك(ما) في التوكيد واللغو"^(٢)، وقال الطبري:

"واختلف أهل العربية في وجه دخول (لا) مع حرف العطف في قوله: ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ ﴿٢٠﴾

﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ﴾ ﴿٢١﴾، فقال بعض نحويي البصرة: قال: ﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ﴾، فيشبه أن

تكون (لا) زائدة، لأنك لو قلت: لا يستوي عمرو ولا زيد في هذا المعنى لم يجز إلا أن تكون (لا)

زائدة، وكان غيره يقول: إذا لم تدخل (لا) مع الواو، فإنما لم تدخل اكتفاءً بدخولها في أول الكلام،

فإذا أدخلت فإنه يراد بالكلام أن كل واحد منهما لا يساوي صاحبه"^(٣)، وقال ابن الجوزي: "قوله

تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الأحياء: المؤمنون، والأموات: الكفار.

والثاني: أن الأحياء، العقلاء: والأموات: الجهال. وفي (لا) المذكورة في هذه الآية قولان: أحدهما: أنها

زائدة مؤكدة"^(٤). وقال أبو البقاء: "قوله تعالى: ﴿وَلَا النُّورُ﴾، ﴿وَلَا الْحُرُورُ﴾، (لا) فيهما زائدة؛

لأن المعنى الظلمات لا تساوي النور، وكذلك (لا) في ﴿وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾"^(٥). وقال الزركشي: "وأما قوله

تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾، فمن قال: المراد أن الحسنه لا تساوي السيئة ف(لا) عنده

زائدة ومن قال أن جنس الحسنه لا يستوي إفراده و(لا) تساوي إفراده وهو الظاهر من

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٤٦.

(٢) الكتاب لسيبويه: ٤/٢٢٢.

(٣) جامع البيان للطبري: ٤٥٨/٢٠.

(٤) زاد المسير في علم التفسير: ٥٠٩/٣.

(٥) التبيان في إعراب القرآن: ١٠٧٤/٢.

سياق الآية، فليست زائدة، والواو عاطفة جملة على جملة. وأمّا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝٢٠ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۝٢٢ ﴾ [فاطر: ١٩ - ٢٢]، فالأولى والثانية غير زائدة والثالثة والرابعة والخامسة زائدة^(١). وقيل: " (لا) التي بعد العاطف في الكلّ زائدة لتأكيد النفي"^(٢). "ف(لا) زائدة للتوكيد لأنه لمّا طال الكلام بالصلة بعد قَسَم المؤمنين أعاد معه (لا) توكيداً"^(٣)، وقال الطاهر ابن عاشور: "أُعِيدَت (لا) النافية بعد واو العطف على النفي، وكان العطف مغنياً عنها، فإعادتها لإفادة تأكيد نفي المساواة ومقام التوبيخ يقتضي الإطناب، ولذلك تعد (لا) في مثله زائدة"^(٤). فقد نفى المولى ﷺ التساوي بين كل مُتَقَابِلَيْنِ (الأعمى والبصير)، و (الظلمات والنور)، و (الظل والحور) و (الأحياء والأموات)، لكنّه لم يُكْرَرْ حرف النفي (لا) في المتقابلين الأوّلين، فقال: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝٢١ ﴾، ولم يقل: (وما يستوي الأعمى ولا البصير)، كما ذكر ذلك في بقية المتقابلات، فقال سبحانه: ﴿ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝٢٠ ﴾، ﴿ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ۝٢١ ﴾، ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۝٢٢ ﴾، وذلك لأنّ تكرار (لا) النافية يفيد تأكيد نفي التساوي في كل مدخول عليه على حدة، إضافة إلى إفادتها النفي بين المتقابلين بوجه عام. فما ذكرت فيه كلمة (لا) في الطرف المقابل، يحمل دلالة عدم التساوي النسبي بين أفراد كلٍّ من المتقابلين، إضافة إلى عدم التساوي العام بين المُتَقَابِلَيْنِ.

٢- زيادة حرف العطف:

- زيادة الواو:

- قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۝٧٥ ﴾

[الأنعام: ٧٥]

- قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥٥ ﴾ [الأنعام: ٥٥]

- قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيٰتِ لِقَوْمٍ لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٠٥ ﴾

[الأنعام: ١٠٥]

(١) البرهان في علوم القرآن: ٣٥٧/٤.

(٢) إعراب القرآن العظيم المنسوب لذكريا الأنصاري: ٤٥٧.

(٣) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: ٤٩٠/٣.

(٤) التحرير والتنوير: ١٧٨/٢٤.

قال الدكتور تمام حسّان: "وزيادة الواو واضحة قبل لام التعليل في كل هذه الشواهد وليس هذا الموضوع مما عدّه النَّحاة من مواضع الزيادة ولكن القرآن له طرقة التي لم يتسع لها النحو"^(١). وقال: "ومن زيادتها ما في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آل عمران: ١٤٠]، أي أنّ علة مداولة الأيام بين الناس إرادة الله أن يعلم الذين آمنوا، فتقدير الكلام: (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نداولها ليعلم الله)، وأيضاً قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٤]، ولا مفرّ من زيادة إحدى الواوين في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]، [يوسف: ١٥]، فإمّا أن يكون المعنى (فلما ذهبوا أجمعوا وأوحينا) ويكون (فلما ذهبوا وأجمعوا أوحينا)، وأيضاً: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا نُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وفي غيرها من الآيات"^(٢). وقال الرّازي: "اختلفوا في (الواو) في قوله: (وليكون من الموقنين) وذكروا فيه وجوها: أحدها: الواو زائدة والتقدير: تُرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ليستدل بها ليكون من الموقنين"^(٣). وقال ابن كثير: "قيل الواو زائدة، كما في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]، ﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]"^(٤). وجاء في البحر: "وقيل: الواو زائدة"^(٥). وقال الألوسي: "من الناس من جوز كون الواو زائدة"^(٦). وقال صلاح الدين العلائي (ت ٧٦١هـ): "اختلفوا في جواز زيادة الواو العاطفة لغير معنى فجوزهُ الكوفيون احتجاجاً بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾، وقوله: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [١٠٣] وَتَلَدَيْتُهُ أَنْ يَتَّبِعْتَهُمْ يَتَّبِعْتَهُمْ إِذَآ جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبِّكُمْ فَاَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، وذهب البصريون إلى أنّها ليست زائدة في شيء من ذلك ولا تجوز زيادتها لأنّ

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٤٧.

(٢) البيان في روائع القرآن: ٤١/١-٤٢.

(٣) مفاتيح الغيب: ٣٧/١٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ٦٥٢/١، ٢٦٠/٣.

(٥) البحر المحيط: ٥٦٤/٤.

(٦) روح المعاني: ١٨٧/٤.

الحروف وضعت للمعاني فذكرها بدون معناها يقتضي مخالفة الوضع ويورث اللبس وأيضاً فإن الحروف وضعت للاختصار نائبةً عن الجمل كالمهزة فإنها نائبة عن أستفهم وزيادتها ينقض هذا المعنى وتلك المواضع الواو فيها عاطفة على محذوف مقدر يتم به الكلام^(١). وجاء في اللباب: "أن زيادة (الواو) ضعيفة ولم يقل بها إلا الأخفش ومن تابعه"^(٢). هذا وأكثر المفسرين والنحويين لم يتطرقوا لهذه الواو، أو قالوا بأنها عاطفة^(٣)، وهو ما يؤكد قول الدكتور تمام حسّان أعلاه.

٣- زيادة الضمير:

قال الدكتور تمام حسّان: وقد نسب النحاة أشباه قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٣]، إلى لغة بعض القبائل (فقعس وديبر)، ولكن الواضح أن الواو هنا زائدة وكذلك أحد الضميرين في كل من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَمِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٣]، وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ [النمل: ٥]، ولا تبويب لذلك في النحو^(٤). وجاء في مشكل إعراب القرآن: "وأتى لفظ الضمير في (أسروا) على لغة من قال: (أكلوني البراغيث)"^(٥)، وهو قول الأخفش^(٦). ومذهب سيبويه: "أن الضمير في (أسروا) فاعل، وأن (الذين) بدل منه"^(٧)، ونُسب إلى سيبويه قوله: "ليس في القرآن لغة أكلوني البراغيث"^(٨). وقال ابن جني: "وتزاد الواو في الفعل علامة للجمع والضمير نحو (الرجال يقومون ويقعدون). وتزاد علامة للجمع مجردة من الضمير في قول بعض العرب: (أكلوني البراغيث) وعلى هذا أحد ما تُؤوَلت

(١) الفصول المفيدة في الواو المزيدة: ١٤٦-١٤٧.

(٢) اللباب في علوم الكتاب: ٢٣٩/٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٥٨/٧، البيان في غريب إعراب القرآن: ١/٣٢٨، الوجيز للواحد: ٣٦٩/١، إرشاد العقل

السلیم: ١٧٠/٣، الجدول في إعراب القرآن: ٢٤٣/٧.

(٤) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٤٧.

(٥) مشكل إعراب القرآن لمكي: ٤٧٧/٢، وينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣٩٤/٢.

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٧٢٧/٧.

(٧) الكتاب لسيبويه: ٤١/٢.

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (ت ٧٤١هـ): ١٨/٢، وينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد الثعالبي

(ت ٨٧٥هـ): ٨٠/٤، ولم أجد هذا القول في (الكتاب).

عليه الآية: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، فيمن لم يجعل في (وَأَسْرُوا) ضميراً^(١). وقال ابن الأنباري: "الواو حرف مجرد الجمع كالواو في قولهم: الزيدون والعمرتون"^(٢). وقال سعيد الأفغاني: "وقد أراد قوم أن يخرجوا هذه اللغة - أكلوني البراغيث - التي نسبت إلى بعض طيئ وبعض أزد شنوءة، فذهبوا في ذلك مذهبين: منهم من جعل الضمير فاعلاً والاسم المرفوع بعده بدلاً منه، ومنهم من جعله حرفاً دالاً على التثنية أو الجمع لا ضميراً، والفاعل الاسم المرفوع بعده. ولا حاجة إلى التخريج، فهذه الروايات إن صحّت فهي شاذة ولغتها رديئة ولم يخطئ من نبأها بلغة (أكلوني البراغيث). إلا أن ما يجب التنبيه إليه هنا هو أن بعضاً من فضلاء النحاة الأقدمين توهم فظن آية ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وحديث (يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ: مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ) من هذه اللغة، وليس ذلك بصحيح، ففاعل (أسرُوا) وهو واو الجماعة عائدٌ على (الناس) في أول السورة، و(الذين) فاعل (قال) المحذوفة، وأسلوب القرآن الكريم جرى على حذف فعل القول اكتفاءً بإثبات المقول في مواضع عدة، والحديث له أول: (إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل.. إلخ). وبقيت هذه اللغة الرديئة مفتقرة إلى شاهد صحيح لا ضرورة فيه"^(٣). وقال الشوكاني: "وكرر الضمير في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي الْأَخِرَةِ هُمْ الْآخِرُونَ﴾ للدلالة على الحصر"^(٤)، وقال ابن الأثير: "إنما تكررت لفظة (هم) للإيذان بتحقيق الخسار، والأصل فيها وهم في الآخرة الأخسرون، لكن لما أريد تأكيد ذلك جيء بتكرير هذه اللفظة المشار إليها"^(٥). وقيل: "الثانية ضمير فصل جيء به لتأكيد النسبة بين الطرفين وهي: هم الأولى بالأخسرية"^(٦). وعلق الدكتور أحمد مختار عمر على هذا الموضوع قائلاً: "وقد عُرضت المسألة على مجمع اللغة المصري فرفض قياسيتها"^(٧).

(١) سر صناعة الإعراب: ٢٧٣/٢.

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن: ١٥٨/٢.

(٣) الموجز في قواعد اللغة العربية: ٢١٧.

(٤) فتح القدير للشوكاني: ١٤٥/٤، وينظر: التفسير المنير للزحيلي: ٢٥٥/١٩.

(٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ١٢/٣.

(٦) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ٣٢٤/١، المجتبى من مشكل إعراب القرآن: ٨٦١/٣.

(٧) معجم الصواب اللغوي: ٨١٤/١.

ب- الحذف:

لغة: "حَذَفَ الشيء، أسقطه والحذف مصدر: حَذَفَ. واصطلاحاً: هو اسقاط حرف أو كلمة أو أكثر بشرط ألا يتأثر المعنى أو الصياغة بذلك"^(١)، والحذف ظاهرة لغوية عامة، والعربية لغة إيجاز يكثر فيها الحذف، وسمي ابن جني الحذف شجاعة العربية لأنه يشجع على الكلام، وقال: "قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"^(٢)، ويُرجع في معرفة المحذوف إلى السياق بقرائنه المتنوعة، وفي بلاغة الحذف وجماله يقول عبد القاهر الجرجاني: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُثِنْ"^(٣). وقال ابن منظور: "وللعرب في الحذف باب واسع"^(٤)، وقال أبو البقاء الكفوي: "وقد أكثروا من الحذف، فتارة لحرف من الكلمة، وتارة للكلمة بأسرها، وتارة للجملة كلها، وتارة لأكثر من ذلك"^(٥)، و"شرط الحذف والإضمار هو أن يكون ثمة مقدّر نحو: (وأَسأل القرية)"^(٦)، وقال الدكتور تمام حسّان: "لا ينبغي لنا أن نفهم الحذف على معنى أن عنصراً كان موجوداً في الكلام ثمّ حذف بعد وجوده، ولكن المعنى الذي يفهم من كلمة الحذف ينبغي أن يكون هو الفارق بين مقررات النظام اللغوي وبين مطالب السياق الكلامي الاستعمالي"^(٧)، والحذف يعني: عدم الاحتياج، والحذف خلاف الأصل، أو عدول عن الأصل، وهو ظاهرة يلجأ إليها المتكلم وجوباً أو جوازاً، لأسباب مختلفة، كالهذف المعنوي أو البلاغي أو لأمن اللبس أو الخفة... إلخ، ولا يكون الحذف مقبولاً إلا إذا فُهِمَ المعنى، بقرينة حالية أو غيرها، حيث لا حذف إلا بدليل، لأنّ أمن اللبس ضرورة تنشُدُها اللّغة، فالقاعدة التي تحكم عملية الحذف هي أنّ المراد من اللفظ الدلالة على المعنى، فإذا ظهر المعنى بقرينة حالية أو غيرها لم يحتج إلى اللفظ المطابق، وهذا يعني أن المتكلم يحذف ما لا يحتاج إليه في العملية الاتصالية، فالمهم هو إيصال

(١) المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات): ١ / ٢٦٤، المعجم المفصل في النحو العربي: ١ / ٤٥١.

(٢) الخصائص: ٢ / ٣٦٢.

(٣) دلائل الإعجاز: ١٤٦.

(٤) لسان العرب: ٨ / ١٣.

(٥) الكليات: ٦٠.

(٦) المصدر نفسه: ٣٨٤.

(٧) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٩٨.

المعنى، مع تقليل الجهد المبذول في عملية الاتصال، ويمكن أن أمثل على ذلك بالجملة التالية: لعمر ك إن الحياة عقيدة وجهاد، فقد حذف الخبر وجوباً لأنَّ المبتدأ مُشعرٌ بالقَسَم، وهذا من حكمة العربية . أمَّا بالنسبة إلى الحذف في القرآن الكريم قال الدكتور تَمَّام حَسَّان: "إذا قلنا أنَّ في أسلوب القرآن حذفاً فلسنا ننسبُ الحذف إلى مضمون القرآن، وإمَّا ننسبه إلى تركيب اللغة، ذلك بأن اللغة تجعل للجملة العربية أنماطاً تركيبية معينة، ففي الجملة أركانها ومكملاتها، وفي عناصرها ما يفتقر إلى غيره، وما لا يستغني المعنى عن تقديره، فإذا لم تشتمل الجملة على أحد أركانها، أو ما يقتضيه المعنى أو يقتضيه التركيب من مكملاتها وعناصرها الأخرى، ثم اتضح المعنى بدون ذكر هذه العناصر لوجود الدليل على المحذوف عددنا ذلك حذفاً جيء به لطلب الخفة اختصاراً أو اقتصاراً أو تجنباً للحشو أو لسبب آخر غير ذلك. وكل عنصر من عناصر الجملة صالح لأن يحذف إذا قام الدليل عليه، فأمكن تقديره في الكلام. ولقد يحسن أحياناً أن يحذف الحرف أو الضمير أو الكلمة المفردة أو أحد أركان الجملة أو تكملاتها، كما يحذف من الكلام ما يقتضيه المعنى، وإن طال الكلام المحذوف"^(١). وقال أيضاً: "ليس المقصود بنسبة الحذف إلى شيء من التركيب القرآني أن في كلام الله تعالى نقصاً تُكمله نحن أو يُكمله قوم آخرون من السلف أو الخلف، بل المقصود أنَّ جزءاً من التركيب قد أحاط به من القرائن المقاليَّة أو الحاليَّة ما جعل فهمه واضحاً فأصبح ذكره حشواً لا مُبرِّز له، ومن ثمَّ اعتمد النص على القرائن فلم يذكر هذا الجزء من التركيب... فالحذف عند وجود القرائن على المحذوف أفضل الخيارين في التركيب فلا يُعدُّ نَقِيصَةً في الأداء وإمَّا يُعدُّ اقتصاداً لغوياً يستحق الإطراء وأن يُعدُّ في مراتب البلاغة العليا. وشرط ذلك على أيِّ حال أنه لا حذف إلا بدليل، وهذا الدليل هو الذي سَمَّيناه القرينة"^(٢).

ويضيف الدكتور تَمَّام حَسَّان: "والقول في الحذف كالقول في الزيادة لا يترتب عليه ما قد يتطرق إلى ذهن البعض من دعوى نقض في كلام الله يكمله العباد، بل العكس نجد مبرر الحذف أن يتوافر من القرائن والأدلة على المحذوف ما يجعل ذكره حشواً كما سبق الكلام في ذلك، وبذلك يصبح الأسلوب قوياً بالحذف؛ حذف الحرف أو حذف الكلمة أو حذف شطر الجملة أو حذف كلام يقتضيه المعنى وإن لم يُذكر، وذلك لوضوحه من مُلَابَسَاتِ النَّص"^(٣).

(١) البيان في روائع القرآن: ١٠٩/٢.

(٢) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٧٥-٢٧٦، وينظر: شرح ابن عقيل: ٢٤٤/١، والأصول، د. تَمَّام حَسَّان: ١٣٢.

(٣) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٨١.

أنواع الحذف:

فيما يلي عرض لكل واحد من أنواع الحذف على حدة:

١- حذف الحرف:

"فحوى القول بالحذف، أنَّ عنصراً من عناصر التركيب وجب ذكره بحسب (الوضع) أو القيد أو القاعدة ولكنه لم يذكر في الاستعمال ومن ثمَّ قيل إنَّه محذوف. وشرطُ حذفه وجود ما يدلُّ عليه، لأنَّ القاعدة المنهجية العامة تقول: (لا حذف إلاً بدليل)، ولأنَّ الحذف بلا دليل يُؤدِّي إلى اللبس"^(١). وقد يُحذف الحرف في القرآن ويبقى أثره، أو يُعتبر الحرف محذوفاً لوروده في موضعٍ مُماثلٍ مذكوراً^(٢)، وهناك حروف أوجب النَّحو العربيُّ ذكرها في مواضعها، منها:

أ- همزة الاستفهام: "وقد أوجب النَّحو ذكرها لأنَّ الثُّراثَ العربيَّ تُراثٌ ينتقل بالكتابة من جيل إلى جيل، والكتابة العربية خاليةٌ من علامات التَّرقيم ومن ثمَّ تخلو من رمز يدل على الاستفهام، ولهذا جعلت الهمزة في أول الجملة الاستفهامية في مقام علامة الاستفهام التي توجد في آخر الجملة المكتوبة"^(٣). ثمَّ إنَّ "همزة الاستفهام قد تردُّ لمعانٍ أُخرى، بحسب المقام، والأصلُ في جميع ذلك معنى الاستفهام"^(٤). قال ابن جني: "أخبرنا أبو علي قال: قال أبو بكر: حذف الحرف ليس بقياس لأن الحروف إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصراً لها هي أيضاً واختصار المختصر إجحاف به"^(٥). وقد تقرَّر في علم النَّحو أنَّ "حذف همزة الاستفهام إذا دَلَّ المقامُ عليها جائزٌ، وهو قياسيٌّ عند الأَخْفَش مع (أم)"^(٦).

ب- الفاء الواقعة في جواب الشرط عندما لا يصلح الجواب أن يكون شرطاً، لأنَّ معظم صور الجملة في هذه الحالة مُلبَّسةٌ، والقاعدة المنهجية تقول: "وإنَّ بشكل خيف لبس يجتنب"^(٧)،

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٤٨.

(٢) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ١٤/١.

(٣) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٤٨.

(٤) الجني الداني في حروف المعاني: ٣١.

(٥) الإتقان في علوم القرآن: ٢١١/٣.

(٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ١٤٥/٤.

(٧) شرح ابن عقيل: ١١٧/٢، شرح الكافية الشافية: ٦٠٤/٢.

"انظر مثلاً إلى جملة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦، الجاثية: ١٥]، وتَصَوَّرَ حذفَ الفاءِ فسُتْرِي عِنْدَئِذٍ أَنَّ الْجَارَ وَالْمَجْرُورَ يَصْلُحُ لِلنَّعْتِ كَذَلِكَ" (١).

- ج- (قد) قبل الماضي في جملة الحال لمنع التباس معنى الواو التي قبل قد بالعطف نحو: قال وقد رفع صوته: كيف حالك؟ فحذف (قد) هنا يؤدي إلى اللبس (٢).
- د- "حرف الجر يتكرر عند العطف على ما جُرَّ به منعاً لالتباس العطف بمعنى آخر كالقسم في حالتي الباء والواو مثلاً، وبخاصة إذا كان المكان غير صالح لنزع الخافض، ولكن القرآن يحذف ولا يلبس، وهذا مما اختص به القرآن" (٣).

وَلِنَنْظُرُ مِثْلًا إِلَى هَذِهِ الشَّوَاهِدِ لِحذفِ الحرفِ فِي الْقُرْآنِ:

- قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]، قال ابن فارس: "وتكون الواو مُضْمَرَةً فِي مِثْلِ قَوْلِهِ جَل ثَنَاؤُهُ، التَّأْوِيلُ: وَقُلْتَ: لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا" (٤). وخرَّج عليه الفارسي حذف العاطف: "أي وقلت" (٥)، وقال ابن هشام: أي وقلت" (٦). وقال الدكتور تمام حسَّان: "قد يتضح من القرائن الحالية ما يعيَّن مكان حرف محذوف فتعدُّ القرينة الحالية دليلاً على الحذف وعلى تقدير المعنى وتحديد مكان المحذوف وذلك كحذف الفاء في الآية المذكورة، فالقول بالحذف يُحْتَمُّه أَنَّ الْجُمْلَةَ لَا تَحْتَمِلُ أَكْثَرَ مِنْ جَوَابٍ شَرْطٍ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى (قُلْتَ) وَ (تَوَلَّوْا) وَكِلَاهُمَا صَالِحٌ نَحْوِيًّا أَنْ يَكُونَ جَوَابًا لِلشَّرْطِ إِذَا تَعَيَّنَ الْعَطْفُ فِي الْآخَرِ، غَيْرَ أَنَّ قَرِينَةَ مَعْرِفَةِ الْقِصَّةِ مِنَ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ تَجْعَلُ (قُلْتَ) مَعْطُوفًا بِفَاءٍ مَحذُوفَةٍ عَلَى (أَتَوْكَ) فَيَكُونُ (تَوَلَّوْا) جَوَابًا لِلشَّرْطِ" (٧).

- قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢]، قال الفُشَيْرِيُّ (ت)

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٤٨.

(٢) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٤٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الصاحبي في فقه اللغة العربية، ابن فارس: ٧٩.

(٥) معتزك الأقران في إعجاز القرآن: ١ / ٢٤٩.

(٦) مغني اللبيب: ٨٣٢.

(٧) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٨٣.

٤٦٥ هـ): "ويقال همزة الاستفهام فيه مضمرة، أي أتلك نعمة"^(١)، وقال الرّازي: "وقد تحذف همزة الاستفهام من اللفظ وإن كانت باقية في المعنى كقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾، فإنه يذهب كثير من الناس إلى أن معناه: (أوتلك) بالاستفهام"^(٢)، وجاء في البحر: "وقال الأخفش: والفرءاء: قبل الواو همزة استفهام يُراد به الإنكار، وحذفت لدلالة المعنى عليها"^(٣). وقال الدكتور تمام حسّان: "أوجب النحاة ذكر حرف الاستفهام ولكنّ النصّ القرآني نصٌّ فصيح وقد اشتمل على حذف الهمزة في هذه الآية ونحوها، والمعنى: أوتلك نعمة؟"^(٤).

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ [القصص: ٨٥]، قيل المعنى: "وهو أعلم بمن جاء بالهدى"^(٥)، و"هو أعلم بمن هو في ضلال مبين"^(٦)، ويقول: الدكتور تمام حسّان: "أي بمن جاء"^(٧).

- قال تعالى: ﴿قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ﴾ [يوسف: ٧١]، جاء في البحر: "وأقبلوا جملة حالية أي: وقد أقبلوا عليهم"^(٨)، وقال محي الدين درويش: "الواو للحال بتقدير قد"^(٩)، ويقول: الدكتور تمام حسّان: "يقرر النحاة أنّ جملة الحال إذا كان فعلها ماضياً اقترن ب (قد) ومن ثمّ أكثروا القول في قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتٌ صُدُّوهُمْ﴾ [النساء: ٩٠]، ولكنّ هذه الظاهرة توجد في آيات قرآنية أخرى مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ﴾، أي: قالوا وقد أقبلوا عليهم. وقد كان يجدر بالنحاة أن يُراجعوا هذه القاعدة

(١) لطائف الإشارات للقشيري: ٥١٥/٢.

(٢) مفاتيح الغيب: ٣٣٣/١٤، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٥/٥، الدر المصون: ٢٥٨/١، إرشاد العقل السليم:

٢٣٨/٦، إعراب القرآن للباقولي: ٣٥٢/١، البرهان في علوم القرآن: ٢١٣/٣.

(٣) البحر المحيط: ١٤٨/٨.

(٤) ينظر: مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٨١-٢٨٢.

(٥) التفسير الواضح: ٨٥٣/٢، التفسير المنير للزحيلي: ١٧٦/٢٠.

(٦) ينظر: بحر العلوم: ٦٢٢/٢، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين: ٣٣٧/٣، الوسيط للواحدى: ٤١١/٣.

(٧) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٨٢، خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٤٩.

(٨) البحر المحيط: ٣٠٣/٦.

(٩) إعراب القرآن وبيانه: ٢٥/٥، وينظر: الجدول في إعراب القرآن: ٣٣/١٣.

لتكرار حذف (قد) في القرآن^(١).

٢- حذف الكلمة:

المقصود بالكلمة هنا "أن تكون مبتدأ أو خبراً أو عاملاً أو متعلقاً للظرف والمجرور أو موصوفاً أو صفةً أو غير ذلك"^(٢). ومن شواهد حذف الكلمة في القرآن ما يلي:

- قال تعالى: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٧]، قال الزجاج: "(سُنَّةٌ) منصوب بمعنى أنا سننا هذه السنة"^(٣)، وقال الرازي: "سنة نصب على المصدر المؤكد أي سننا ذلك سنة"^(٤)، وهو ما نقله أبو حيان عن أبي البقاء^(٥)، وقال به ابن عاشور^(٦) والألوسي^(٧) ويقول: الدكتور تمام حسّان: "أي سَنَنًا، وهو من قَبِيل القول بالحذف، لتقدير عامل واجب الحذف يعمل في منصوب ليس في الجملة ما يمكن أن يسَلِّط عليه"^(٨).

- قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤]، أي: أقول قول الحق، وقال به: (الزجاج والنحاس والسمرقندي وأبو زرعة والنسفي وأبو حيان وأبو البقاء)^(٩)، وهو نفس ما أشار إليه الدكتور تمام حسّان^(١٠).

(١) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٨٢، وينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٤٩.

(٢) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٤٩.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢٥٥/٣.

(٤) مفاتيح الغيب: ٣٨١/٢١، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٠٢/١٠، إعراب القرآن العظيم المنسوب لركريا الانصاري: ٣٦٨.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٩٣/٧، التبيان في إعراب القرآن: ٨٣٠/٢.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨٠/١٥.

(٧) ينظر: روح المعاني: ١٢٦/٨.

(٨) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٨٤-٢٨٥.

(٩) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٢٩/٣، إعراب القرآن للنحاس: ١٢/٣، بحر العلوم: ٣٧٤/٢، حجة القراءات، أبو زرعة: ٤٤٣، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣٣٥/٢، البحر المحيط: ٢٦٠/٧، التبيان في إعراب القرآن: ٨٧٤/٢.

(١٠) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٥٠، مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٨٥.

- قال تعالى: ﴿ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴾ [طه: ٤]، قال مكّي بن أبي طالب: "أي: نزلناه تنزيلاً" ^(١)، وبه قال الواحدي ^(٢)، وقيل: " (تنزيلاً) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: نزلناه" ^(٣)، وهذا ما ذكره الدكتور تمام حسّان، أي: "نزلناه تنزيلاً" ^(٤).

- قال تعالى: ﴿ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ: ١٥]، جاء في تفسير أبي السعود: "أي بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشُّكْرَ ربُّ غفورٍ" ^(٥)، وهذا ما أشار إليه صاحب روح البيان ^(٦)، وهو نفس ما جاء في صفوة التفاسير ^(٧)، ويرى الدكتور تمام حسّان أنّ القول بالحذف قد يكون رعايةً للصناعة النحوية التي تُحْتَمُّ تقدير ما لم يُذكر من رُكْبِي الجملة، أي: بلدتكم بلدة طيبة وربكم رب غفور ^(٨). ففي هذه الآية حذف المبتدأ وتقديره: (بلدتكم) و (ربُّكم) بدلالة قرينة السياق المعقود على الخطاب في الآية كلها. والمعنى: بلدتكم بلدة طيبة، وربُّكم ربُّ غفور. وقد تمّ الحذف هنا في حق المبتدأ لإبراز شأن المحذوف، وتعظيم قدره، وذلك بحذف الأسماء المسندة إلى ضمير الخطاب للجمع اكتفاءً بما سبق من قبل من هذه الضمائر، فيكون ذلك أكثر اتساقاً مع غرض التعظيم لشأن المحذوف، وأدلّ على تمام النعمة عليهم في هذا المقام.

- قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ﴾ [الرعد: ١٧]، أي: "يضرب مثل الحق والباطل، ثم حذف المضاف" ^(٩). وقال الرّازي: "والمعنى كذلك يضرب الله الأمثال للحق والباطل" ^(١٠).

^(١) الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٦١٠/٧.

^(٢) ينظر: الوسيط للواحدي: ٢٠٠/٣.

^(٣) الجدول في إعراب القرآن: ٣٤٥/١٦، المجتبى من مشكل إعراب القرآن: ٦٨٤/٢، الموسوعة القرآنية: ٢٨٧/١٠.

^(٤) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٨٥.

^(٥) إرشاد العقل السليم: ١٢٧/٧.

^(٦) ينظر: روح البيان: ٢٨١/٧.

^(٧) ينظر: صفوة التفاسير: ٥٠٥/٢.

^(٨) ينظر: مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٨٣-٢٨٤، وينظر: البيان في روائع القرآن: ١١٠/٢، وخواطر من تأمل

لغة القرآن الكريم: ١٥٠.

^(٩) الهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٧١٨/٥، وغرائب التفسير وعجائب التأويل، للكرماني: ٥٦٧/١.

^(١٠) مفاتيح الغيب: ٣٠/١٩.

وهذا رأي البيضاوي^(١) والنسفي^(٢) أيضاً، وقال الدكتور تمام حسّان أن "القول بالحذف هنا هو مجاز الحذف وذلك مشهور من كلامهم، أي مثل الحق ومثل الباطل لأن الله يضرب الأمثال، والحق والباطل لا وجه لضربهما إلا أن يكونا مثلين"^(٣).

٣- حذف شطر الجملة:

قال الدكتور تمام حسّان في حذف شطر الجملة: "وهنا أيضاً لا بد من وجود دليل على المحذوف، إما لفظي وإما معنوي"^(٤)، ولكن القرآن يتحدى هذه القاعدة أحياناً، وهو ما يزال بمنأى عن اللبس لسهولة استخراج المحذوف بالقرائن الحالية حين تعزّ القرائن المقاليّة. وفيما يلي طائفة من الجُمَل التي حُذِفَ شطرها نجعلها شواهد على هذه الظاهرة^(٥):

- قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]، يقول الرّازي في تفسيره: "اعلم أنّه لا بد هاهنا من إضمار، والتقدير: حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، تاب عليهم ثم تاب عليهم"^(٦)، وقال الزركشي: "أي رحمهم ثم تاب عليهم"^(٧). وقال الدكتور تمام حسّان بأن "الدليل على المحذوف هنا لفظي وهو حرف العطف (ثم) والفعل (تاب)، لأن الذي تعطف عليه التوبة لا بد أن يكون المغفرة، والتقدير: (غفر لهم ثم تاب عليهم)، ومن ثمّ يُصبح قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ﴾، هو دليل المحذوف"^(٨).

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٨٥/٣.

(٢) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٥٠/٢.

(٣) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٨٦.

(٤) المصدر نفسه: ٢٨٧.

(٥) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٥١.

(٦) مفاتيح الغيب: ١٦٥/١٦.

(٧) البرهان في علوم القرآن: ١٩٠/٣.

(٨) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٨٧.

- قال تعالى: ﴿ أَمْ ذَا مِنَّا وَكُنَّا نُرَابًا وَعَظْمًا أَمْ نَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الصفات: ١٦، ١٧]، قال الرَّخْشَرِيُّ: " أبيعث أيضاً آباؤنا على زيادة الاستبعاد، يعنون أنهم أقدم، فبعثهم أبعد وأبطل"^(١). وقال صاحب روح البيان: "وآباؤنا الأولون أي الأقدمون أيضاً مبعوثون"^(٢)، وقال الباقولي: "فمن فتح الواو كان الخبر مضمرًا، أي: مبعوثون"^(٣). وقال الألويسي: "مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر أن عليه، أي: أو آباؤنا الأولون مبعوثون أيضاً"^(٤). وأوضح الدكتور تمام حسّان أن الآية السابقة "اشتملت على دليل المحذوف؛ والتقدير: (أو آباؤنا الأولون مبعوثون)"^(٥).

- قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الزمر: ٢٤]، قال البغوي: "وجاز الآية: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب؟"^(٦). وجواب من محذوف قدره الرَّخْشَرِيُّ: "كمن آمن العذاب"^(٧)، وهذا ما أشار إليه أبو حيان في البحر^(٨). وجاء في مفاتيح الغيب للرازي: "جوابه محذوف وتقديره أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة كمن هو آمن من العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره"^(٩)، وهذا رأي النسفي^(١٠) أيضاً، وتقدير الجواب عند ابن عطية: "كالمنعمين في الجنة"^(١١)، وقال الدكتور تمام حسّان: "يتضح من قوله تعالى:

(١) الكشاف: ٣٨/٤، وينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١١٩/٣.

(٢) روح البيان: ٤٥٢/٧.

(٣) إعراب القرآن للباقولي: ٢٠٦/١.

(٤) روح المعاني: ٧٦/١٢، وينظر: المحتبى من مشكل إعراب القرآن: ١٠٣٠/٣.

(٥) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٨٨.

(٦) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٨٧/٤.

(٧) الكشاف: ١٢٥/٤.

(٨) البحر المحيط: ١٩٧/٩.

(٩) مفاتيح الغيب: ٤٤٨/٢٦.

(١٠) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٧٧/٣.

(١١) تفسير ابن عطية: ٥٢٨/٤.

﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، أنّ الخبر المحذوف يمكن تقديره بلفظ (ناج من العذاب)"^(١) أو "مغفور له) أو (طامع في الرّحمة)؟! وبخاصة إذا ضممنا إلى هذه القرينة اللفظية قرينة أخرى لفظية؛ هي الاستفهام الإنكاري الذي يعزّز ما في الآية من وعيدٍ فيتطلّب عكس معنى قوله وهذا العكس هو الذي جرى تقديره"^(٢).

- قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [يس: ٤٥، ٤٦]، قالوا: "جواب إذا محذوف على تقدير: وإذا قيل لهم هذا أعرضوا"^(٣)، وقال الرّحّشريّ: "جواب إذا محذوف مدلول عليه بقوله إلا كانوا عنها معرضين فكأنه قال: وإذا قيل لهم اتقوا أعرضوا"^(٤). وهو ما قاله القرطبي^(٥) والخازن^(٦) وغيرهم^(٧). وجاء في البحر المحيط^(٨) ومثله في الدر المصون: "جواب إذا محذوف يدل عليه ما بعده، أي أعرضوا"^(٩). وقال الدكتور تمام حسّان: "جواب إذا محذوف والتقدير: إذا قيل لهم ذلك أعرضوا"^(١٠).

٤- حذف كلام يقتضيه المعنى:

المقصود بالكلام الذي يقتضيه المعنى، "كلامٌ لا يمكن أن يتصل ما بعده بما قبله إلا بواسطة تقديره، لأن مضمونه يُعدّ تمهيداً منطقيّاً لما يأتي بعده بحيث لا يستغني عنه فهم المعنى، وإن استغني سرد الأحداث وفي القصص. ولو أننا وازنا بين المحذوف من النص وبين نظيره في الأدب المسرحي

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٥١.

(٢) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٨٨.

(٣) الوسيط للواحد: ٥١٥/٣، معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١٥/٤.

(٤) الكشّاف: ١٩/٤.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٣٦/١٥.

(٦) لباب التأويل في معاني التنزيل: ٩/٤.

(٧) البرهان في علوم القرآن: ٣/١٨٨، وينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٣/٢١٤، الكليات: ٣٨٨، مغني اللبيب: ٨٥٠.

الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني: ٣/١٨٧، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ٢/٦٨، الطراز لأسرار

البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٣/١٧٧.

(٨) البحر المحيط: ٧٢/٩.

(٩) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٩/٢٧٣.

(١٠) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٨٩.

العادي لوجدنا هذا المقابل في المسرحية قولاً أو حركة معينة أو عملاً بعينه يراه الشاهد فيستغنى به عن الكلام. ولكن النص القرآني يستغني عن المحذوف دون الاستعانة بما ينوب عنه ومع ذلك يظل مفهوماً فهماً تاماً^(١). والكلام على حذف الحرف والكلمة وشطر الجملة كان كلاماً عن حذف تم في ضوء صناعة النحو، أما الحذف الذي نتكلم فيه الآن، كما يقول الدكتور تمام حسان: "فذلك نوع منه يقتضيه المقام أي أنه ينتمي إلى سياق الأحداث التي تُعبر عنها الآيات وليس إلى سياق التركيب اللغوي. والمحذوف من هذا القبيل أما أن يكون من جنس القول، مثل: يقول أو يقولون أو يقال لهم أو قائلاً أو قائلين أو نحو ذلك، وأما أن يكون من جنس الفعل وهذا أكثر النوعين طلباً للانتباه عند التقدير لما يتسم به تقديره من بناء موقف عملي يقوم على ترابط الأحداث بعضها ببعض"^(٢).

فمن النوع الأول:

- قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ٥٠﴾ [الأنفال: ٥٠]، قال الواحدي: "ويقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق، قال ابن عباس: يقولون لهم ذلك بعد الموت"^(٣). وقال البغوي: "أي: تقول لهم الملائكة ذوقوا عذاب الحريق"^(٤)، وقال ابن الجوزي: "وفيه إضمار (يقولون)، فالمعنى: يضربون ويقولون"^(٥)، وقال الرازي: "وفيه إضمار، والتقدير: ونقول ذوقوا عذاب الحريق ونظيره في القرآن كثير، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧]، أي ويقولان ربنا، وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢﴾ [السجدة: ١٢]، أي يقولون ربنا"^(٦). وقال السعدي والصابوني: "أي ويقولون لهم"^(٧) وقال الزحيلي: "أي

(١) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٥٣.

(٢) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٩٣.

(٣) الوسيط للواحدي: ٤٦٦/٢.

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٣٠١/٢.

(٥) زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج ابن الجوزي: ٢١٧/٢.

(٦) مفاتيح الغيب: ٤٩٤/١٥.

(٧) تيسير الكريم الرحمن: ٣٢٣، صفوة التفاسير للصابوني: ٤٧٣/١.

يقولون: ذوقوا عذاب الحريق، وحذف القول كثير في كلام الله تعالى وكلام العرب"^(١). وقال الدكتور تمام حسّان: " أي ويقولون لهم"^(٢).

- قال سبحانه: ﴿ وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۗ ﴾ [الكهف: ٤٨]، قال الطَّبْرِيُّ: "يقال لهم إذ عُرضوا على الله: لقد جئتمونا أيها الناس أحياء كهيئتكم حين خلقناكم أوّل مرة، وحذف يقال من الكلام لمعرفة السامعين بأنه مراد في الكلام"^(٣). وقال الزَّحَّشَرِيُّ: "أي قلنا لهم: لقد جئتمونا"^(٤)، وقال الرَّايزِي: "يقال لهم"^(٥)، وهو ما قال به أبو البقاء^(٦) والقرطبي^(٧) وابن كثير^(٨) أيضاً، وقال الشوكاني: "هو على إضمار القول، أي: قلنا لهم لقد جئتمونا"^(٩)، وقال د. محمد محمد أبو موسى: "وأصله: فيقال لهم لقد جئتمونا ومزية هذا الحذف في بناء الكلام بعده على أسلوب الالتفات، وهو أسلوب له خطره في التصوير والتأثير"^(١٠)، وقال الدكتور تمام حسّان: " أي وقيل لهم لقد جئتمونا"^(١١).

وأما النوع الثاني من حذف " ما يقتضيه المقام فدلّيله التسلسل المنطقي للأحداث لأن التقدير فيه يعتمد على ترتيب الأسباب والمسببات ومن ثم يوجد في قصص الأنبياء وبخاصة آدم ويوسف وموسى وسليمان ومريم"^(١٢):

(١) التفسير المنير للزحيلي: ٣٦/١٠.

(٢) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٥٣، مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٩٤.

(٣) جامع البيان للطبري: ٣٧/١٨.

(٤) الكشاف: ٧٢٦/٢.

(٥) مفاتيح الغيب: ٤٦٩/٢١.

(٦) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٨٥٠/٢.

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤١٧/١٠.

(٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٠٢/٣.

(٩) فتح القدير: ٣٤٥/٣.

(١٠) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى: ٢٨٧.

(١١) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٩٤.

(١٢) المصدر نفسه: ٢٩٦.

- فمن قصة آدم، قوله جلَّ وعَلَا: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمَلِكٍ لَا يَبْلَى ۗ﴾ (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهُمَا سَوَاءٌ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ [طه: ١٢٠، ١٢١]، قال مكي: "أي: فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نھيا عنها، وأطاعا أمر إبليس"^(١)، وقال ابن عاشور: "وتم جملة محذوفة دل عليها العرض، أي فعمل آدم بوسوسة الشيطان فأكل من الشجرة وأكلت حواء معه"^(٢). وقال الدكتور تمام حسان: "أي فاستمع إليه فأطاعه فأكلا منها"^(٣).

- ومن قصة يوسف عليه السلام، قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ زودتهُ عن نفسه فاستعصم ولين لم يفعل ما أمره، ليسجنن وليكونا من الصغرين﴾ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ [يوسف: ٣٢، ٣٣]، قال الزَّحَّاشِرِيُّ: "فالتجأ إلى ربه عند ذلك وقال: ربّ نزول السّجن أحبُّ إليّ من زكوب المعصية"^(٤). وقال أبو حيان: "ربّ السّجن أحبُّ إليّ ممّا يدعونني إليه. فأسند الفعل إليهن لما ينصحن له وزينّ له مطاوعتها، ونهينهُ عن إلقاء نفسه في السّجن والصّعار، فالتجأ إلى الله تعالى. والتّقدير: دُخُولُ السّجن"^(٥). وقال الدكتور تمام حسان: أي: "وعادت إلى مراودته فأبى عليها وقال..."^(٦)، أو: "فلم يفعل ما أمرته به ودعا ربه، قال رب السجن أحب إلي"^(٧).

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٧٠٩/٧.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٢٦/١٦.

(٣) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٩٦.

(٤) الكشّاف: ٤٦٧/٢.

(٥) البحر المحيط: ٢٧٣/٦.

(٦) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٥٣.

(٧) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٢٩٥.

ج- الفصل:

الفصل في اللغة: الحاجز أو المسافة بين الشيئين، وفصله فصلاً: مَيَّزُهُ، وفصلت الشيء فانفصل، أي قطعتة فانقطع، وقال ابن فارس إنَّ: "الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه. يقال: فصلت الشيء فصلاً"^(١). أمّا من الناحية الاصطلاحية فيقول فيه أحمد الهاشمي بأنّه: "ترك الربط بين الجُمْلَتَيْن، إمّا لأنهما مُتَّحِدَتَانِ صَوْرَةً ومعنى، أو بمنزلة المُتَّحِدَتَيْن، وإمّا لأنّه لا صلة بينهما في الصورة أو في المعنى"^(٢). ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، حيث قالت رسمية المياح: "جملة (ادفع) مفصولة عمّا قبلها، ولو قيل: وادفع بالتي هي أحسن، لما كان بليغاً"^(٣)، وقال الدكتور تَمَّام حَسَّان: "المقصود بالفصل أحد أمرين: الفصل بين أمرين يختص أحدهما بالآخر والفصل بين الجمل المتتابعة مع إمكان وصلها بعطف أو نحوه"^(٤). ويضيف قائلاً: "لبعض الكلمات اختصاص بمدخول معين ويصدق ذلك بصفة خاصة على الحروف والأدوات مما دعا النحاة إلى وصفها بالافتقار المتأصل، أي باحتياجها بحكم أصل وضعها إلى ما تدخل عليه... وهناك نوع من ارتباط الكلمة لا يقع تحت عنوان الافتقار ولكنك تلمح بين الكلمتين في السياق علاقة خاصة تجعل إحداها أقرب إلى أختها منها إلى بقية الكلمات في الجملة، فمن ذلك مثلاً: الفعل ومفعوله ثم صاحب الحال والحال ثم الموصوف والصفة ثم المعطوف عليه والمعطوف. فإذا فصل بين طرفي أي من هذه الأنواع بفواصلٍ أَحَسَّ السَّامِعُ لهذا الفصل إمّا جَمَالاً أو طَرَفَةً أو غُمُوضاً وَلَبْساً بِحَسَبِ قُوَّةِ التَّرَابُطِ بين الطَّرْفَيْنِ اللَّذَيْنِ تَمَّ فصل أحدهما عن الآخر"^(٥). ف"حين وضع النحاة للجملة النحوية تَمَطَّأً، جعلوا للمفردات في داخل الجملة درجاتٍ متفاوتةٍ من الارتباط، وجعلوا أقوى الرِّوَابِطِ بين الكلمتين رابطة التَّلَازُمِ، ثم جعلوا لمفردات الجملة مِيزَةً انْتِمَائِيَّهَا إلى الجُمْلَةِ، وجعلوا كل ما لا ينتمي إلى الجملة أَجْنَبِيّاً عنها، وَكَرِهُوا الفِصْلَ بين المتلازمين بأجنبيٍّ، وإن لم يكرهوا الفصل بينهما بالجملة المعترضة، لما لها من استقلالٍ في الفهم يَحْوُلُ دون نسبتيها إلى مجرى الكلام، فالقضية كما ترى هي قضية الحفاظ

(١) مقاييس اللغة: ٤/٥٠٥.

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ١٧٩.

(٣) مجلة كلية الآداب العراقية، العدد: ١٤، ١٩٧٠-١٩٧١، بحث: الفصل والوصل بين البلاغة والنحو: ٢٤٠.

(٤) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٥٥.

(٥) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣٠٠.

على قرينة التضام أن يُحيط بالكلام لِبَسْبَبِ الترخّص في تطبيقها"^(١). هذا الذي تقدم هو الفصل النحوي الذي قوامه الفصل بين المتلازمين بفاصلٍ هو دون الجملة، إلا أن تكون الجملة ذات محلٍّ إعرابي، فإنّها تُعدُّ كالمفرد، لأنّها حلّت محلّه واتّخذت لنفسها إعرابه، فالفصل بها كالفصل بالمفرد، أمّا إذا كانت الجملة أجنبيّة على التركيب ولا محلّ لها من الإعراب، وكانت مستقلّة بإفادتها، فإنّ الفصل بها يُسمّى الاعتراض"^(٢)، ويقع الفصل في أسلوب الذكّر الحكيم فيكون جميلاً دائماً على نحو ما نرى فيما نسوقه من الشواهد:

١- الفصل بين لولا وفعلها:

- فمن أمثلة الفصل بين المتلازمين، أي بين الأداة المفتقرة ومدخولها، الفصل بين لولا وفعلها، وهو ما نراه في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٦-٨٧]، قال ابن قتيبة الدينوري: "لولا تكون في بعض الأحوال بمعنى: هلاً وذلك إذا رأيتها بغير جواب، تقول: لولا فعلت كذا تريد هلاً فعلت كذا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَتَهُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود: ١١٦]، ﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٢]، ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾ [الأنعام: ٤٣]، ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٦]، أي فهلاً"^(٣). وقال الزّخّشري: "ترتيب الآية: فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدنين. وفلو لا الثانية مكررة للتوكيد، والضمير في ترجعونها للنفس وهي الروح"^(٤)، وقال ابن عطية: "فمعنى الآية فلولا ترجعون النفس البالغة الحلقوم"^(٥)، وقال أبو الحسن النيسابوري (ت ٥٥٠هـ): "و(ترجعون) جواب لـ (لولا)"^(٦)، وقال

(١) البيان في روائع القرآن: ١٠٩/١.

(٢) البيان في روائع القرآن: ١١٢/١.

(٣) تأويل مشكل القرآن: ٢٨٩.

(٤) الكشف: ٤٧٠/٤.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٥٣/٥.

(٦) إيجاز البيان عن معاني القرآن: ٨٠٠/٢.

المراغي: "وجواب لولا هو ما سيأتي بعد وهو (ترجعونها)"^(١). ويقول محي الدين درويش: "ولولا حرف تحضيض بمعنى هلاً، ولا يقع بعدها الفعل، فيكون التقدير: فلولا ترجعونها"^(٢)، وقال الدكتور تمام حسّان: "أي فلولا ترجعونها إن كنتم غير مدينين"^(٣).

٢- الفصل بين الفعل ومفعوله:

- ومن الفصل بين الفعل ومفعوله، قوله تعالى: ﴿ءَاتُوْنِيْ اَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ [٩٦] [الكهف: ٩٦]، قال الفراء: "المعنى فيما جاء ايتوني بقطر أفرغ عليه"^(٤)، وقال النحاس: "أي أعطوني قطراً أفرغ عليه"^(٥)، وقال نشوان الحميري: "أي أعطوني قطراً أفرغ عليه"^(٦). وقال أبو منصور الثعالبي: "العرب تقول: أكرمني وأكرمته زيد وتقديره: أكرمني زيد وأكرمته كما قال تعالى حكاية عن ذي القرنين: ﴿ءَاتُوْنِيْ اَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾، تقديره: آتوني قطراً أفرغ عليه"^(٧)، وقال البغوي: "أي آتوني قطراً أفرغ عليه"^(٨)، وقال الرَّحْشَرِيُّ: "وكذلك إذا قلت ضربت وضربني زيد رفعته لإيلائك إياه الرفع، وحذفت مفعول الأول استغناء عنه. وعلى هذا أعمل الأقرب أبداً فتقول: ضربت وضربني قومك. قال سيبويه: ولو لم تحمل الكلام على الآخر لقلت: ضربت وضربوني قومك. وهو الوجه المختار الذي ورد به التنزيل، قال الله تعالى: ﴿ءَاتُوْنِيْ اَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾، و﴿هَآؤُمْ اَقْرَءُ وَا كِنِيْبَهُ﴾ [الحاقة: ١٩]، وإليه ذهب أصحابنا البصريون"^(٩)، وقال أيضاً: "وقطراً منصوب بأفرغ، وتقديره: آتوني قطراً أفرغ عليه قطراً، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه"^(١٠). وجاء في الإنصاف: "والذي يؤيد أن

(١) تفسير المراغي: ١٥٤/٢٧.

(٢) إعراب القرآن وبيانه: ٤٤٨/٩.

(٣) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣٠٠.

(٤) معاني القرآن للفراء: ١٩/١.

(٥) معاني القرآن للنحاس: ٢٩٤/٤.

(٦) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ١٧٠/١.

(٧) فقه اللغة وسر العربية: ٢٢١.

(٨) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢١٧/٣.

(٩) المفصل في صنعة الإعراب: ١٩، وينظر: كتاب سيبويه: ٧٦/١.

(١٠) الكشاف: ٧٤٨/٢.

إعمال الفعل الأول أولى من الثاني أنك إذا عملت الثاني أدّى إلى الإضمار قبل الذكر، والإضمار قبل الذكر لا يجوز في كلامهم. وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أن الاختيار إعمال الفعل الثاني النقل، والقياس. أما النقل فقد جاء كثيراً، قال الله تعالى: ﴿ءَاتُوْنِيْ أَفْرَغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾، فأعمل الفعل الثاني وهو (أفرغ)، ولو أعمل الفعل الأول لقال: أفرغه عليه، وقال تعالى: ﴿هَآؤُمْ أَفْرَءُ وَكِنْبِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٩]، فأعمل الثاني وهو ﴿أَفْرَءُ وَ﴾، ولو أعمل الأول لقال: (أفروه)^(١)، وقال الرازي في الحديث عن التنازع في العمل: "إذا جاء فعلا معطوفاً أحدهما على الآخر وجاء بعدهما اسمٌ صالحٌ لأن يكون معمولاً لهما فهذا على قسمين، لأن الفعلين: إما أن يقتضيا عملين متشابهين أو مختلفين، وعلى التقديرين فإما أن يكون الاسم المذكور بعدهما واحداً، أو أكثر فهذه أقسام أربعة، القسم الأول: أن يذكر فعلا يقتضيان عملاً واحداً، ويكون المذكور بعدهما اسماً واحداً، كقولك: قام وقعد زيد، فزعم الفراء أنّ الفعلين جميعاً عاملان في زيد، والمشهور أنّه لا يجوز، لأنه يلزم تعليل الحكم الواحد بعلمتين، والأقرب راجح بسبب القرب، فوجب إحالة الحكم عليه، وأجاب الفراء بأن تعليل الحكم الواحد بعلمتين ممتنع في المؤثرات، أمّا في المعارف فجائز، وأجيب عنه بأن المعرف يوجب المعرفة، فيعود الأمر إلى اجتماع المؤثرين في الأثر الواحد. القسم الثاني: إذا كان الاسم غير مفرد، وهو كقولك، قام وقعد أخواك، فهنا إما أن ترفعه بالفعل الأول، أو بالفعل الثاني، فإن رفعته بالأول قلت: قام وقعد أخواك، لأن التقدير قام أخواك وقعدا، أما إذا عملت الثاني جعلت في الفعل الأول ضمير الفاعل، لأن الفعل لا يخلوا من فاعل مضمّر أو مظهر، تقول: قاما وقعد أخواك، وعند البصريين إعمال الثاني أولى، وعند الكوفيين إعمال الأول أولى، حجّة البصريين أنّ إعمالهما معاً ممتنع، فلا بد من إعمال أحدهما، والقرب مرجح، فإعمال الأقرب أولى، وحجّة الكوفيين أنّا إذا أعملنا الأقرب وجب إسناد الفعل المتقدم إلى الضمير، ويلزم حصول الإضمار قبل الذكر، وذلك أولى بوجوب الاحتراز عنه. القسم الثالث: ما إذا اقتضى الفعلان تأثيرين متناقضين، وكان الاسم المذكور بعدهما مفرداً، فيقول البصريون إنّ إعمال الأقرب أولى، خلافاً للكوفيين، حجّة البصريين وجوه، الأول: قوله تعالى: ﴿ءَاتُوْنِيْ أَفْرَغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]، فحصل هاهنا فعلا كل واحد منهما يقتضي مفعولاً: فإمّا أن يكون الناصب لقوله قطراً هو

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: ٧٣/١-٧٤.

قوله آتوني أو أفرغ، والأول باطل، وإلا صار التقدير: آتوني قطراً، وحينئذ كان يجب أن يقال: أفرغه عليه، ولما لم يكن كذلك علمنا أنّ الناصب لقوله: ﴿قَطْرًا﴾ هو قوله: ﴿أُفْرِغْ﴾، الثاني: قوله تعالى: ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ﴾ [الحاقة: ١٩]، فلو كان العامل هو الأبعد لَقِيلَ هَآؤُمُ اقْرَءُوهُ، وأجاب الكوفيون عن هذين الدليلين بأنهما يدلان على جواز إعمال الأقرب، وذلك لا نزاع فيه، وإنما النزاع في أننا نجوز إعمال الأبعد، وأنتم تمنعونه وليس في الآية ما يدل على المنع. الحجة الثالثة: للبصريين أنه يقال: ما جاءني من أحد، فالفعل رافعٌ، والحرفُ جارٌّ، ثم يَرَجَّحُ الجارُّ لأنه هو الأقرب. الحجةُ الرَّابِعةُ: أن إعمالهما وإعمالهما لا يجوز، ولا بد من الترجيح، والقرب مرجحٌ، فإعمال الأقرب أولى.

واحتج الكوفيون بوجوه: الأول: أننا بيننا أن الاسم المذكور بعد الفعلين إذا كان مثني أو جمعاً فإعمال الثاني يوجب في الأول الإضمار قبل الذكر وأنه لا يجوز، فوجب القول بإعمال الأول هناك، فإذا كان الاسم مفرداً وجب أن يكون الأمر كذلك طرداً للباب. الثاني: أنّ الفعل الأول وجد معمولاً خالياً عن العائق، لأنّ الفعل لا بُدَّ له من مفعول، والفعل الثاني وجد المعمول بعد أن عمل الأول فيه، وعمل الأول فيه عائق عن عمل الثاني فيه ومعلوم أن إعمال الخالي عن العائق أولى من إعمال العامل المقرون بالعائق^(١). وقال أيضاً: "وقوله: ﴿عَلَيْهِ قَطْرًا﴾، منصوب بقوله: ﴿أُفْرِغْ﴾ وتقديره: آتوني قطراً أفرغ عليه قطراً، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه"^(٢)، وقال أبو البركات بن الأنباري: "قطراً، منصوب بـ ﴿أُفْرِغْ﴾ عند البصريين، لا بـ ﴿آتوني﴾، لأنّ ﴿أُفْرِغْ﴾ أقرب من ﴿آتوني﴾، فكان إعماله أولى، لأن القرب له أثر في قوة العمل، ولهذا أعملوا الأقرب في: خشنت بصدرة وصدر زيد. لأنه لو كان منصوباً بـ ﴿آتوني﴾ لكان يقول: آتوني أفرغه عليه. لأن التقدير فيه: آتوني قطراً أفرغه عليه"^(٣). وقال أبو البقاء: "والدليل على أنّ إعمال الثاني أولى السماع والقياس، فمن السماع قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]، ولو أعمل الأول لقال: (فيها) وقوله تعالى: ﴿آتوني أفرغ عليه قطراً﴾، ولم يقل: (أفرغه)، وقوله تعالى: ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ﴾، ولم يقل: (اقراءه)... وأمّا القياس فهو أنّ الثاني

(١) مفاتيح الغيب: ٦٤/١-٦٥.

(٢) المصدر نفسه: ٥٠٠/٢١.

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن: ١١٦/٢-١١٧.

أقرب إلى الاسم وإعماله فيه لا يُعبر معنى فكان أولى، كقولهم: حشنت بصدرة وصدر زيد بجر المعطوف، وكذا قولهم: مررت ومرّ بي زيد أكثر من قولهم: مرّ بي ومررت بزيد^(١)، وقال ابن هشام: "في باب التنازع في العمل، ويُسمّى أيضاً باب الإعمال: معنى التنازع وحقيقته: أن يتقدم فعلان متصرفان، أو اسمان يشبهانهما، أو فعل متصرف واسم يشبهه، ويتأخر عنهما معمول غير سببي مرفوع، وهو مطلوب لكلّ منهما من حيث المعنى"^(٢). وقال أيضاً: "إذا تنازع العاملان جاز إعمال أيهما شئت باتفاق، واختار الكوفيون الأول لسبقه، والبصريون الأخير لقربه"^(٣). وقال في شذور الذهب: "مثال تنازع العاملين معمولاً قوله تعالى: (آتوني أفرغ عليه قطراً)، ﴿ءَاتُونِي﴾، ﴿أُفْرِغْ﴾ عاملان طالبان لـ ﴿قَطْرًا﴾، ومن ثم قلنا في قوله تعالى: ﴿ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ إنه أعمل الثاني لأنه لو أعمل الأول لوجب أن يقال: (آتوني أفرغه عليه قطراً)، وكذا بقية آي التنزيل الواردة من هذا الباب"^(٤). وقال في مغني اللبيب: "العاملان في باب التنازع فلا بد من ارتباطهما إما بعاطف كما في قاما وقعد أخواك أو عمل أولهما في ثانيهما نحو: ﴿وَأَنَّهُ كَانَتْ يَقُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ [الجن: ٤]، ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ [الجن: ٧]، أو كون ثانيهما جواباً للأول إما جوابية الشرط نحو: ﴿تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٥]، ونحو: ﴿ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]، أو جوابية السؤال نحو: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَّةِ﴾، أو نحو ذلك من أوجه الارتباط ولا يجوز: قامَ قعدَ زيد^(٥). وقال القرطبي: "ومعنى: ﴿ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ أي أعطوني قطراً أفرغ عليه، على التقديم والتأخير"^(٦). وقال البيضاوي: "أي آتوني قطراً أي نحاساً مذاباً أفرغ عليه قطراً، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه. وبه تمسك البصريون على أن إعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد

(١) اللباب في علل البناء والإعراب: ١٥٤/١-١٥٥.

(٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ١٦٧/٢.

(٣) المصدر نفسه: ١٧٤/٢.

(٤) شرح شذور الذهب لابن هشام: ٥٤٠، ٥٤٥.

(٥) مغني اللبيب: ٦٦٠.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ٦٢/١١.

أولى، إذ لو كان قطراً مفعول آتوني لأضمر مفعول أفرغ حذراً من الإلباس"^(١). وقال أبو حيان: "(قطراً) منصوب ب(أفرغ) على إعمال الثاني، ومفعول (آتوني) محذوف لدلالة الثاني عليه"^(٢). وقال أبو السعود: "أي آتوني قطراً أي نحاساً مذاباً أفرغ عليه قطراً فحذف الأول لدلالة الثاني عليه"^(٣)، وقال خالد الأزهري (ت ٩٠٥هـ): "(آتوني) يطلب (قطراً) على أنه مفعول ثان له، و(أفرغ) يطلبه على أنه مفعوله، وعمل الثاني وهو (أفرغ): في (قطراً)، وأعمل (آتوني) في ضميره، وحذفه؛ لأنه فضلة، والأصل: آتونه، ولو أعمل الأول لقليل: أفرغه"^(٤). وقال السيوطي: "تنازع فيه الفعلان وحذف من الأول لإعمال الثاني"^(٥). وجاء في النحو المصنفى: "ويقال في ترجيح رأي البصريين: إن رأيهم يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم، ففي هاتين الآيتين ما يشهد بذلك وهما: ﴿آتُونِي أَفْرَغَ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾، العمل للثاني، ولو كان العمل للأول لأضمر في الثاني وقال: (أفرغه)، (هاؤم أقرأوا كتابيه)، العمل للثاني، ولو كان العمل للأول لأضمر في الثاني، وقال: (أقرأوه)"^(٦). وقال الغلاييني: "التنازع أن يتوجه عاملان متقدمان، أو أكثر، إلى معمول واحد متأخراً أو أكثر"^(٧). وقالت بنت الشاطيء: "أي آتوني بقطر"^(٨). وقال الخراط: "المفعول الثاني ل (آتوني) مقدر وهو (قطراً) على سبيل التنازع بين (آتوني) و (أفرغ)"^(٩). وقال الدكتور فاضل السامرائي: "إنّ الاهتمام بالإفراغ أكبر من الإيتاء، فإن القصد من الإيتاء بالقطر هو إفراغه، فأعمل الإفراغ في صريح اللفظ لأنه هو المقصود، فجعل (القطر) معمولاً للإفراغ ولو جعله للأول لقال: (آتوني أفرغه عليه قطراً)"^(١٠)، وقال الدكتور تمام حسّان: "فصل بين فعل الأمر (آتوا) ومفعوله (قطراً) بجواب الأمر، وإنما جعلنا ذلك فصلاً مع أن الفصل جملة تامة التكوين، لأنها على رغم تمام تكوينها

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٩٣/٣.

(٢) البحر المحيط: ٢٢٧/٧.

(٣) إرشاد العقل السليم: ٢٤٦/٥.

(٤) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو: ٤٧٦/١.

(٥) تفسير الجلالين: ٣٩٤.

(٦) النحو المصنفى: ٧٠١.

(٧) جامع الدروس العربية: ٢٣/٣.

(٨) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء: ٥٦٤.

(٩) المجتبى من مشكل إعراب القرآن: ٦٦٠/٢.

(١٠) معاني النحو: ١٢٦/٢.

لم تستوف شروط الجملة المعترضة، وبخاصة شرط كونها أجنبية عن السياق ولا محل لها من الإعراب، ومن الواضح أن الفعل (أفرغ) مجزوم في جواب الأمر، ومن ثم يكون جواباً لا اعتراضاً^(١). وقال الدكتور تمام حسّان: "ويُعَدُّه النحاة من باب التنازع، ولكن القول بالفصل أولى به فيكون المعنى آتوني قطراً أفرغ عليه"^(٢)، وقال: "ويكون (أفرغ عليه) فاصلاً بين الفعل ومفعوله"^(٣) بأجنيبي.

- ومثله قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [يس: ٣١]، قال سيبويه في موضع حديثه عن هذه الآية: "هذا بابٌ تكون فيه أن بدلاً من شيءٍ ليس بالآخر، من ذلك: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٧]، فإنَّ مبدلة من إحدى الطائفتين... ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾. فالمعنى والله أعلم: ألم يروا أنَّ القرون الذين أهلكتهم إليهم لا يرجعون"^(٤). قال الفراء: "وقوله: ﴿ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ فتحت ألفها لأنَّ المعنى: ألم يروا أنَّهم إليهم لا يرجعون. وقد كسرهما الحسن البصري، كأنه لم يوقع الرؤية على (كم) فلم يوقعها على (أنَّ) وإن شئت كسرتها على الاستئناف وجعلت كم منصوبة بوقوع يروا عليها"^(٥). وقال الطبري: "يقول: ألم يروا أنَّهم إليهم لا يرجعون"^(٦). وقال ابن هشام: "وأما قول بعضهم في ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾، أبدلت أن وصلتها من كم، فمردود بأنَّ عامل البدل هو عامل المبدل منه، فإن قدر عامل المبدل من ﴿ يَرَوْا ﴾، ف(كم) لها الصدر، فلا يعمل فيها ما قبلها، وإن قدر أهلكتنا فلا تسلط له في المعنى على البدل، والصواب أن (كم) مفعول لأهلكتنا، والجملة إما معمولة ليروا على أنه

(١) البيان في روائع القرآن: ١١١/١.

(٢) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣٠١.

(٣) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٥٦.

(٤) ينظر: الكتاب لسيبويه: ١٣٢ / ٣.

(٥) معاني القرآن للفراء: ٣٧٦/٢.

(٦) جامع البيان للطبري: ٥١٢/٢٠.

علق عن العمل في اللفظ وأن وصلتها مفعول لأجله، وإما معترضة بين ﴿يُرَوُّ﴾ وما سد مسد مفعوليه، وهو أن وصلتها^(١). والغرض من الفصل توجيه العناية والاهتمام كأنه جملة جديدة. وقال الباقولي: "وزعم سيبويه أنّ قولهم: ﴿أَنْتُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، بدل من موضع ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾. فإن قال قائل: عن (كم) إنما هي استفهام، فكيف يبدل منها ما ليس باستفهام؟. فإنما ذلك لأن معنى (كم) هاهنا الخبر، والمعنى: يؤول إلى قوله: ألم يروا أنهم إليهم لا يرجعون. ولا يجوز أن يكون بدلاً من (كم) وحدها، لأن محل (كم) نصب ب (أهلكنا) وليس المعنى: أهلكنا أنهم لا يرجعون، لأن معنى (أهم لا يرجعون) الاستئصال، ولا يصح أهلكنا بالاستئصال. وإنما المعنى: ألم يروا استئصالهم، فهو بدل من موضع ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾^(٢). وقال أبو البقاء: "و﴿أَنْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾: بفتح الهمزة، وهي مصدرية، وموضع الجملة بدل من موضع ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾، والتقدير: ألم يروا أنهم إليهم"^(٣). ويقول الدكتور فاضل السامرائي: "والمعنى ألم يروا أنهم لا يرجعون إليهم؟"^(٤). وقال الدكتور تمام حسّان: "أي: (ألم يروا أنهم إليهم لا يرجعون)، وجملة ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ للتكثير وقد فصلت بين الفعل وما سد مسد مفعوليه"^(٥).

٣- الفصل بين الحال وصاحبه:

- أما الفصل بين الحال وصاحب الحال فالشاهد عليه قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٧٨) [الأنعام: ٧٩]، قال ملا علي القاري (ت ١٠١٨هـ): "﴿حَنِيفًا﴾: حال من ضمير ﴿وَجَّهْتُ﴾، أي: مائلاً عن كل دين باطل إلى الدين الحق ثابتاً عليه، وهو عند العرب غلب على من كان على ملة إبراهيم عليه السلام، وقيل هو المسلم المستقيم... فهو حال مؤكدة لمعنى وجهت وجهي"^(٦)، وقال

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٢٤٤.

(٢) إعراب القرآن للباقولي - منسوب خطأ للزجاج: ٥٨٧/٢.

(٣) التبيان في إعراب القرآن: ١٠٨١/٢.

(٤) على طريق التفسير البياني: ١٣٨/٢.

(٥) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣٠١.

(٦) مرآة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٦٧٢/٢.

الخِرَاطُ: "حَنِيفًا": حال من التاء في ﴿وَجَّهْتُ﴾^(١)، وجاء في نضرة النعيم: "انتصب حنيفاً على الحال. أي وجهت وجهي في حال حنيفتي"^(٢). وقال الدكتور تمام حسّان: "وقد سهل هذا الفصل أن الفاصل ليس أجنياً، لأن للحار والمجرور من التعلق بالفعل ما للحال من الارتباط بالتاء المتصلة بالفعل نفسه، فهذا أيسر أنواع الفصل حتى ليبدو وكأنه لا فصل"^(٣).

٤ - الفصل بين الموصوف وصفته:

- ومن شواهد الفصل بين الموصوف وصفته قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، قال أبو حيان: "وجاز الفصل بالفاعل بين الموصوف وصفته لأنه ليس بأجنبي إذ قد اشترك الموصوف الذي هو المفعول والفاعل في العامل، فعلى هذا يجوز: ضرب هنداً غلامها التيمية، ومن جعل الجملة حالاً أبعد، ومن جعلها مستأنفة فهو أبعد"^(٤). قال الكفوي: "أن ما ورد في الآية من اللف التقديري، وهو لَفُّ الكلامين وجعلهما كلاماً واحداً إيجازاً وبلاغة... أي: لا ينفع نفساً إيمانها ولا كسبها في الإيمان لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فيه خيراً"^(٥). وقال الألويسي: "الفصل بين كلمة ﴿نَفْسًا﴾ الدالة على الشمول لكونها نكرة في سياق النفي، وبين صفتها وهي جملة ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ...﴾ بالفاعل، وهو ﴿إِيْمَانُهَا﴾"^(٦)، وقال محي الدين درويش: "وجاز الفصل بين الموصوف وصفته لأن الفاعل ليس بأجنبي، والجملة يجوز أن تكون مستأنفة أو حالية"^(٧)، وقال الدكتور تمام حسّان: "وهذا من أجمل أنواع الفصل لأن الفاعل لو تقدم لعاد الضمير على متأخر لفظاً ورتبةً ولو تأخر من طول الصفة

(١) المجتبى من مشكل إعراب القرآن: ٢٧٨/١، وينظر: الجدول في إعراب القرآن: ٢٠٠/٧.

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: ٢٩٩/٢.

(٣) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣٠١.

(٤) البحر المحيط: ٧٠٠/٤.

(٥) الكليات: ٧٩٨.

(٦) تفسير المنار: ١٨٥/٨.

(٧) إعراب القرآن وبيانه: ٢٨٤/٣.

لأصبح موضِعُهُ قَلْبًا وَلَضَعَفَتِ الصَّلَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَعْلِهِ"^(١). وقال أيضاً في البيان: "ثم فصل بين المفعول وصفته بالفاعل لثلاثاً تطول الشقة بين ركني الجملة بواسطة ما ليس من أركانها أي بالفضلة"^(٢). وقال أيضاً: "إنّ الفصل بالفاعل بين المفعول وصفته، فصلٌ بغيرِ أجنبيٍّ وهو اختيار أسلوبي شائع"^(٣).

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْرَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٣]، قال أبو زرعة (ت ٤٠٣ هـ) صاحب كتاب حجة القراءات: "قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم (عالم) بالخفض جعلوه صفة لله، المعنى الحمد لله عالم الغيب ويجوز أن يكون صفة للرب في قوله: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ ﴾، أو بدل منه"^(٤)، وقال الصبان: "أنّه يجوز الفصل بين التابع والمتبوع بغير أجنبي محض؛ كجواب القسم؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ ﴾"^(٥)، وقال الدكتور تمام حسان: "أي قل بلى وربي عالم الغيب لتأتينكم، ففصل بالجواب بين الموصوف وصفته لضرورة تأخير الصفة بسبب ما يتعلق بها مما يأتي بعدها مباشرة، وهو قوله تعالى: ﴿ لَا يُعْرَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾، مما يعد تفسيراً لقوله ﴿ عِلْمُ الْغَيْبِ ﴾"^(٦)، وقال: "وإنما حسنَ الفصلَ أنّ في الكلام الذي يتلو ذلك ضميراً يعود على عالم الغيب فلو تأخر جواب القسم لفصل بين الضمير ومرجعها فضعف ارتباط أحدهما بالآخر"^(٧). إنّ الفصل بين الصفة ﴿ عِلْمُ الْغَيْبِ ﴾ والموصوف (ربي) بجملة جواب القسم، جاء من أجل أن تتصل الصفة بما بعدها وهو قوله تعالى: ﴿ لَا يُعْرَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾، وهذا يعني أن جواب القسم قد تقدم بمنزلة المعنى وأهميته وتأخرت الصفة في الأهمية المعنوية للتثقي مع ما بعدها، من أجل أن يترتب الكلام بحسب قوة العلاقة المعنوية ومن أجل

(١) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣٠١.

(٢) البيان في روائع القرآن: ١١٠/١.

(٣) ينظر: اجتهادات لغوية: ٤٨.

(٤) حجة القراءات: ٥٨١، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٠٦٢/٢.

(٥) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: ٨٤/٣.

(٦) البيان في روائع القرآن: ١١٠/١.

(٧) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣٠١.

٥- الفصل بين المعطوف عليه والمعطوف:

- ومن شواهد الفصل بين المعطوف عليه والمعطوف، قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، قال ابن عطية: "وإحساناً نصب على المصدر، والعامل فعل مضمّر تقديره: وأحسنوا بالوالدين إحساناً، وما ذكر الطبري أنه نصب بالإغراء خطأ" (١)، وقال الرّازي: "واتفقوا على أن هاهنا محذوفاً، والتقدير: وأحسنوا بالوالدين إحساناً كقوله: ﴿فَضْرَبَ الرَّقَابَ﴾ [محمد: ٤]، أي فاضربوها، ويقال: أحسنت بفلان، وإلى فلان" (٢). وقال الخازن: "تقديره: وأحسنوا بالوالدين إحساناً" (٣)، وقال الدكتور تمام حسان: "فصل بين المتعاطفين وهما الوالدان، وذو القربى بالمصدر المنصوب على معنى الأمر، لأن المصدر لو تقدم فليل: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وإحساناً بالوالدين...) لظنه السامع معطوفاً على لفظ (شيئاً)، ولا تشركوا به إحساناً بالوالدين، أي لا ينبغي لبر الوالدين أن يكون على حساب عبادة الله وحده. ولو تأخر المصدر المنصوب ﴿إِحْسَانًا﴾ عن قوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ لضاع ما يحمله من معنى الأمر وضعفت الرابطة بينه وبين بقية الكلام" (٤)، ولو "لم يتقدم ﴿إِحْسَانًا﴾ فيفصل بين الوالدين وما عطف عليها لكان (بالوالدين) وما بعده معطوفاً على الضمير في (به) ولكان ﴿إِحْسَانًا﴾ المتأخر مفعولاً لأجله، فما أجمل هذا الفصل وما أعظم إعجاز القرآن" (٥).

- ومنه أيضاً قوله جل وعلا: ﴿إِذْ الْأَعْلَىٰ فِي أَعْتَقِهِمْ وَالسَّلْسَلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر: ٧١]، قال الرّحشري: "وعن ابن عباس: (والسلاسل يسحبون) بالنصب وفتح الياء، على عطف

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤٩/٢.

(٢) مفاتيح الغيب: ٧٥/١٠.

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل: ٣٧٣/١.

(٤) البيان في روائع القرآن: ١ / ١١١-١١٢.

(٥) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣٠٢.

الجملة الفعلية على الاسمية. وعنه: (والسلاسل يسحبون) بجرّ (السلاسل). ووجهه أنه لو قيل: (إذ أعناقهم في الأغلال)، مكان قوله: (إذ الأغلال في أعناقهم)، لكان صحيحاً مستقيماً، فلما كانتا عبارتين مُتَعاقِبَتَيْنِ: حملَ قوله: ﴿وَالسَّلْسِلُ﴾ على العبارة الأخرى^(١). وذكر ابن عطية في تفسيره: "وقرأ جمهور الناس: ﴿وَالسَّلْسِلُ﴾ عطفاً على ﴿الْأَغْلَالُ﴾. وقرأ ابن عباس وابن مسعود: ﴿وَالسَّلْسِلُ﴾ بالنصب ﴿يَسْحَبُونَ﴾ بفتح الحاء وإسناد الفعل إليهم وإيقاع الفعل على ﴿وَالسَّلْسِلُ﴾. وقرأت فرقة (والسلاسل) بالخفض على تقدير إذ أعناقهم في الأغلال والسلاسل، فعطف على المراد من الكلام لا على ترتيب اللفظ، إذ ترتيبه فيه قلب، وهو على حد قول العرب: أدخلت القلنسوة في رأسي^(٢). وجاء في البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري: "وتقديره إذ الأغلال والسلاسل في أعناقهم، ومنهم من وقف على ﴿أَعْنَقِهِمْ﴾ وابتدأ ﴿وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٧١) في الْحَمِيمِ ﴿[غافر: ٧١، ٧٢]، وتقديره: والسلاسل يسحبون بها في الحميم، فحذف الجار والمجرور، وقرئ (والسلاسل يسحبون)، وتقديره: يسحبون السلاسل. وقرئ (والسلاسل) بالجرّ، بالعطف على ﴿أَعْنَقِهِمْ﴾، وهي قراءة ضعيفة لأنه يصير المعنى: (الأغلال في الأعناق والسلاسل). ولا معنى للأغلال في السلاسل. وقيل هو معطوف على ﴿الْحَمِيمِ﴾، وهذا ضعيف جداً، لأنّ المعطوف المجرور لا يتقدّم على المعطوف عليه، وقد يجيء التقديم للضرورة قليلاً في المرفوع وفي المنصوب أقلّ منه، ولم يجيء ذلك في المجرور، ولم يُجره أحدٌ البتة^(٣). وقال أبو جعفر الرعيني (ت ٧٧٩هـ): "قلت: ويمكن أن تخرّج هذه القراءة على وجه حسن سالم من حذف حرف الجرّ ومن العطف على ما يصلح في الموضع: وهو أن يكون (السلاسل) معطوفاً على (الأعناق)، ويكون المعنى أنّ الأغلال في أعناقهم، وهي أيضاً في السلاسل التي يقاد بها المغلول، إذ لو كان الغلّ في العنوق وليس في سلسلة يجبس بها عن الفرار لكان أسهل على المغلول، فأخبر الله تعالى أن الغلّ في شيئين: في العنوق، وفي السلسلة التي يُسحب بها المغلول ويُمنع بها عن التصرف، وذلك أعظم وأهول^(٤). وقال

(١) الكشاف: ١٧٨/٤.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥٦٩/٤.

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن: ٣٣٤/٢.

(٤) تحفة الأقران في ما قرئ بالثلث من حروف القرآن: ١٥٨.

الدكتور تمام حسّان: "وإنّما كان الفصل لأنّ السلاسل لا تكون في الأعناق وإنما تتدلى منها إلى الأيدي والأرجل لتتصل ما بين غلّ وغلّ"^(١).

^(١) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣٠٢.

المبحث الثالث: ظواهر لغوية

● أولاً: نقل معنى كلمة إلى معنى آخر

– نقل (إلا) من الاستثناء، ليدل على الاستدراك

– نقل (هل) إلى معنى التعجب

– نقل (إذ) إلى معنى أداة استئناف

– نقل (لو) لمعنى النفي

● ثانياً: المشترك اللفظي

– لباس

– يعدلون

– أعرض

– الأوسط

● ثالثاً: تضمين بعض العناصر اللغوية معاني بعض

– تضمين (استحب) معنى (فضل)

– تضمين (اتخذوا) معنى (جعلوا)

– تضمين (ضاحكاً) معنى (متعجباً)

– تضمين (هل) معنى (هلاً)

المبحث الثالث: ظواهر لغوية

أولاً: نقل معنى كلمة إلى معنى آخر:

النقل إجراءً أسلوبياً فيه يدلُّ اللفظ على معنى لفظٍ آخر، ولا تحكُّمه قاعدةٌ معينةٌ ولا يُلغى اللفظُ المنقولُ العودَةَ إلى اللفظِ الآخر، الذي حلَّ اللفظُ المنقولُ محلَّهُ^(١)، وفيما يلي نماذج لحالات النقل في الأسلوب العربي:

- نقل (إلا) من الاستثناء، ليدل على الاستدراك (أي إلى معنى (لكن)):

كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٩]، [٢٠]، قال الطبري: "وإلا في هذا الموضع بمعنى لكن"^(٢)، وقال الخازن: "لكن فعله ابتغاء وجه ربه الأعلى"^(٣)، وقال الشوكاني مثله^(٤)، وإليه أشار الأصبهاني^(٥)، وقال أبو البقاء: "قوله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ﴾، هو استثناء من غير الجنس، والتقدير: لكن فعل ذلك ابتغاء وجه ربه"^(٦). وقال الزركشي: "وقال أبو عبيد يجوز الوقف دون: ﴿إِلَّا خَطَأً﴾ [النساء: ٩٢]، ﴿إِلَّا أَلَمَّ﴾ [النجم: ٣٢]، ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾ [مریم: ٦٢]، لأنَّ المعنى: لكن يقع خطأ، ولكن قد يلزم، ولكن يُسَلِّمُونَ سَلَامًا، وجميعه استثناء منقطع"^(٧)، وقال صاحب الإنصاف: (إلا) ههنا استثناء منقطع، والمعنى: لكن الذين ظلموا يحتجون عليكم بغير حجة، والاستثناء المنقطع كثير في كتاب الله تعالى وكلام العرب"^(٨)، وقال محي

(١) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٥٥.

(٢) جامع البيان للطبري: ٤٧٩/٢٤.

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل: ٤٣٦/٤.

(٤) فتح القدير للشوكاني: ٥٥٣/٥.

(٥) إعراب القرآن للأصبهاني: ٥٢٧.

(٦) التبيان في إعراب القرآن: ١٢٩١/٢.

(٧) البرهان في علوم القرآن: ٣٥٥/١.

(٨) الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢١٨/١.

الدين درويش: "وإلا أداة استثناء بمعنى لكن"^(١)، وكان رأي الدكتور تمام حسّان أنها بمعنى: لكن ابتغاء وجه ريك^(٢).

- نقل (هل) إلى معنى التعجب:

كما في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١ ﴾ [الإنسان: ١]، قال الفراء: "معناه: قد أتى على الإنسان حين من الدهر. (وهل) قد تكون جحدًا، وتكون خبرًا. فهذا من الخبر لأنك قد تقول: فهل وعظمتك؟ فهل أعطيتك؟ تقرره بأنك قد أعطيته ووعظته. والجحد أن تقول: وهل يقدر واحد على مثل هذا؟"^(٣). قال أحمد بن فارس: "وقد يكون اللفظ استخبارًا، والمعنى إخبار وتحقيق. نحو قوله جل ثناؤه: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ)، قالوا معناه: قد أتى. ويكون بلفظ الاستخبار، والمعنى تعجب"^(٤). وقال الزمخشري: "هل بمعنى (قد) في الاستفهام خاصة، والأصل: أهل، بدليل قوله: فالمعنى: أقد أتى؟ على التقرير والتقريب جميعاً"^(٥)، وقال القرطبي: "هل: بمعنى قد، قاله الكسائي والفراء وأبو عبيدة. وقد حكى عن سيبويه هل بمعنى قد"^(٦). قال أبو السعود: "قال قطرب: أي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية، وليس بذلك بل هو استفهام أريد به التعجب، قال ابن كثير: ذكر له ما هو أعجب مما سأل عنه، فقال: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝٩ ﴾ [مریم: ٩]، كما قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١ ﴾"^(٧)، وقال ابن هشام: "وبالغ الزمخشري فزعم أنها أبدًا بمعنى قد.

(١) إعراب القرآن وبيانه: ٥٠٥/١٠.

(٢) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٥٥.

(٣) معاني القرآن للفراء: ٢١٣/٣.

(٤) الصاحبي في فقه اللغة العربية: ١٣٧.

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٦٦٥/٤.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ١١٨/١٩.

(٧) تفسير القرآن العظيم: ١٩٠/٥، وينظر: الاتان في علوم القرآن: ٢٧٤/٣.

ومثله (هل) في قوله تعالى: ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ فَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ [الفجر: ٥] ^(١)، وقال الدكتور فاضل السامرائي: "اتَّفَقَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ (هل) بِمَعْنَى قَدْ، عَلَى أَنَّ الِاسْتِفْهَامَ لِلتَّقْرِيرِ، أَيَّ أَنْ تَسْتَجِوبَ الْمُخَاطَبُ وَتَقَرَّرَهُ بِأَمْرٍ قَدْ عَلِمَهُ فَتَقُولُ لَهُ: (هل أتى على الانسان ذلك؟)، فلا بد أن يقول مُقَرَّرًا مُعْتَرِفًا بِذَلِكَ: نعم قد أتى عليه" ^(٢). قال الدكتور تمام حسان: "نقل معناها إلى التعجب" ^(٣).

- نقل (إذ) إلى معنى أداة استئناف:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن صَالِحٍ مِّن حَمِيمٍ مَسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٢٨].

قال فخر الدين الرازي: "في إذ قولان: أحدهما: أَنَّهُ صِلَةٌ زَائِدَةٌ إِلَّا أَنَّ الْعَرَبَ يَعْتَادُونَ التَّكَلُّمَ بِهَا وَالْقُرْآنَ نَزَلَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ. الثَّانِي: وَهُوَ الْحَقُّ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مَا لَا مَعْنَى لَهُ وَهُوَ نَصَبٌ بِإِضْمَارٍ أَذْكَرٌ، وَالْمَعْنَى: أَذْكَرَ لَهُمْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ" ^(٤). وقال أبو حيان في البحر: "إذ: اسم ثنائي الوضع مَبْنِيٌّ لَشَبْهِهِ بِالْحَرْفِ وَضِعًا أَوْ افْتِقَارًا، وَهُوَ ظَرْفٌ زَمَانٍ لِلْمَاضِي، وَمَا بَعْدَهُ جُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ أَوْ فِعْلِيَّةٌ، وَإِذَا كَانَتْ فِعْلِيَّةً قُبِحَ تَقْدِيمُ الْاسْمِ عَلَى الْفِعْلِ وَإِضَافَتُهُ إِلَى الْمُصَدَّرَةِ بِالْمُضَارِعِ، وَعَمَلُ الْمُضَارِعِ فِيهِ مِمَّا يَجْعَلُ الْمُضَارِعَ مَاضِيًّا، وَهُوَ مُلَازِمٌ لِلظَّرْفِيَّةِ إِلَّا أَنْ يُضَافَ إِلَيْهِ زَمَانٌ، وَلَا يَكُونُ مَفْعُولًا بِهِ، وَلَا حَرْفًا لِلتَّعْلِيلِ أَوْ الْمَفْاجَأَةِ، وَلَا ظَرْفَ مَكَانٍ، وَلَا زَائِدَةً، خِلَافًا لِزَاعِمِي ذَلِكَ، وَلَهَا أَحْكَامٌ غَيْرُ هَذَا ذُكِرَتْ فِي النَّحْوِ" ^(٥). وقال الدكتور تمام حسان: "أي: لَقَدْ تَأَذَّنَ، وَلَقَدْ قَالَ، وَالِدَّاعِي إِلَى هَذَا الْفَهْمِ أَنَّ مَا يُقَدَّرُهُ النُّحَاةُ لِتَعَلُّقِ (إذ) بِالْفِعْلِ (أذْكَر) يَتَطَلَّبُ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ حَاضِرًا عِنْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُخَاطَبِينَ هَذَا الْكَلَامَ، وَمِنْ ثَمَّ يَتَعَلَّقُ الظَّرْفُ بِهَذَا الْفِعْلِ الْمَقْدَّرِ" ^(٦).

^(١) مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٤٦٠.

^(٢) على طريق التفسير البياني: ١٦٩/١.

^(٣) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٥٥.

^(٤) مفاتيح الغيب: ٣٨٣/٢.

^(٥) البحر المحيط: ٢٢٢/١.

^(٦) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٥٦.

- نقل (لو) لمعنى النفي:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ بَل لَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]، قال البيضاوي: "بل لله الأمر جميعاً بل لله القدرة على كل شيء وهو إضراب عما تضمنته لو من معنى النفي أي: بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك، لعلمه بأنه لا تلين له شكيمتهم"^(١). وهو ما ذهب إليه الإيجي (ت ٩٠٥ هـ) أيضاً، بقوله: "(بَلْ لَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا) هو إضراب عن معنى النفي الذي تضمنه لو"^(٢). وقال الدكتور تمام حسّان: "أي ما كان لنص يتلى أن تؤدي قراءته إلى تغيير طبائع الأشياء، فأمر هذا التغيير كله لله، فتفسير الجبال لا يستطيعه إلا الله، والمقصود بالأرض المسافة التي يقطعها المسافر وقطعها سرعة انتهائها، كما حدث في ليلة الإسراء. أو كلم به الموتى كما حدث لقتيل سورة البقرة إذ أحياه الله بعد ضربه ببعضها وكطيور إبراهيم اللاتي دعاهن فأتينه سعيًا، ويدل سياق الآية على أن مثل هذه المعجزات لا يتحقق إلا بإرادة الله ولا يمكن لبشر أن يستعين بقراءة نص ما للوصول إلى إنجاز مثل ذلك"^(٣).

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٨٨/٣.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن عبدالرحمن الإيجي: ٢٧٤/٢.

(٣) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٥٦.

ثانياً: المشترك اللفظي:

تعريف المشترك عند أهل الأصول، هو "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"^(١). وقال الدكتور أحمد مختار عمر: "المشترك اللفظي: هو اللفظ الواحد الذي يدل على أكثر من معنى كالعين فإنها تُطلق على عين الماء والعين المبصرة وتطلق مجازاً على الجاسوس"^(٢). وقال الدكتور صبحي الصالح: "المشترك هو ما اتحدت صورته واختلف معناه. ولولا تنوع الاستعمال لما تنوع معناه؛ لأن اتحاد صورته مع اتحاد استعماله ما كان لينتج إلا اتحاد معناه، ولكن الصورة وحدها تماثلت في المشترك، بينما تغيرت طرائق استعمالها، إمّا لتغاير البيئات اللغوية وإمّا لتفاوت المستعملين في مدى ولوعهم بالمجاز أو إثارة الحقيقة. ولسنا نزعم أن العربية تنفرد بالمشترك اللفظي، ففي سائر اللغات ألفاظ مشتركة يدور النقاش حولها بين أصحاب الاشتراك ومنكريه، كما يدور مثله بين أصحاب الترادف ومنكريه. بيد أن كثرة المشترك النسبية في لغتنا هي التي تجعل بحث المشترك مندرجاً تحت اتساع العربية في التعبير على أنه خصيصة لا تنكر من خصائصها الذاتية"^(٣).

ومن الألفاظ الواردة في كتاب الله والتي هي من المشترك اللفظي ما يأتي:

- لِبَاس:

لهذا اللفظ معنيان، أحدهما ما يلبس على الجسم لستر العورة واتقاء الظواهر الجوية الضارة، والثاني مصدر الفعل (لَابَسَ يُلَابِسُ لِبَاسًا وَمُلَابَسَةً) أي خالط يخالط، ومن شواهد المعنى الثاني، قوله تعالى: ﴿يَبْتِغِ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْرِي سَوْءَ تِكْمٍ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، قال الواحدي: "(ولباس التقوى) أي: ستر العورة لمن يتقي الله فيواري عورته"^(٤)، قال الزمخشري: "إشارة

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٢٩٢/١، تاج العروس: ٢٥/١.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢٠٢٣/٣.

(٣) دراسات في فقه اللغة: ٣٠٢.

(٤) الوجيز للواحد: ٣٩٠.

إلى اللباس الموارى للسوءة، لأنّ مواراة السوءة من التقوى، تفضيلاً له على لباس الزينة^(١). قال فخر الدين الرّازي: "حمل قوله: (ولباس التقوى) على المجازات، ثمّ اختلفوا فقال قتادة والسدي وابن جريح: لباسُ التقوى الإيمان. وقال ابن عباس: (ولباس التقوى) العمل الصالح، وقيل هو السّمت الحسن، وقيل هو العفاف والتوحيد لأنّ المؤمن لا تبدو عورته وإن كان عارياً من الثياب والفاجر لا تزال عورته مكشوفة وإن كان كاسياً، وقال معبد هو الحياء. وقيل هو ما يظهر على الإنسان من السكينة والإحبات والعمل الصالح، وإنّما حملنا لفظ اللباس على هذه المجازات لأنّ اللباس الذي يفيد التقوى ليس إلاّ هذه الأشياء"^(٢). وقال الرّاعب: "وجعل التقوى لباساً على طريق التمثيل والتشبيه"^(٣)، وقال الدكتور تمام حسّان: "المقصود بلباس التقوى: ملابساتها"^(٤).

- يَعْدِلُونَ:

ولهذا اللفظ معنيان، أحدهما: (يَتَّخِذُونَ عَدِيلاً)، والآخَرُ: (يُقِيمُونَ الْعَدْلَ)، وممّا جاء منه في القرآن ما يلي:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، قال مجاهد في تفسيره: "يعني: (يشركون)"^(٥)، وقال الزجاج: "أي يجعلون لله عديلاً"^(٦). وقال مكّي بن أبي طالب: "يجعلون له عديلاً"^(٧)، وقال الماوردي: "أي يجعلون له مع هذه النعم عدلاً، يعني مثلاً. وفيه قولان: أحدهما: أنّهم يعدلون به الأصنام التي يعبدونها. والثاني: أنّهم يعدلون به إلهاً غيره لم يخلق مثل خلقه"^(٨).

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٩٧/٢.

(٢) مفاتيح الغيب: ٢٢٢/١٤.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٧٣٥.

(٤) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٦٠.

(٥) تفسير مجاهد: ٣١٩.

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢٢٧/٢.

(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية: ٢٢٣٧/٣.

(٨) النكت والعيون: ٩٣/٢.

أما المعنى في قوله سبحانه: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، أي يقيمون العدل، قال الزجاج: " (وبه يعدلون)، أي وبالحق يحكمون" ^(١). قال القرطبي: " و (يعدلون) معناه في الحكم" ^(٢). وقال أبو حيان: " وبالحق يعدلون بينهم في الحكم ولا يجورون" ^(٣). وقال صاحب الظلال: " وتحكم بالعدل" ^(٤). وقد أشار الدكتور تمام حسّان إلى نفس هذه المعاني ^(٥).

- أَعْرَضُ:

ورد هذا اللفظ مرّتين في آية واحدة على سبيل المشاكلة، وذلك في قوله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٩٥]، قال الطبري: ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ فلا تؤنبوهم - ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾، يقول جلّ ثناؤه للمؤمنين: فدعوا تأنيبهم، وخلّوهم وما اختاروا لأنفسهم من الكفر والنفاق" ^(٦). وقال الكرماني: "أي لتعرضوا عنهم ولا تؤنبوهم، فأعرضوا عنهم ولا تؤنبوهم" ^(٧). وقال البغوي: "لتعرضوا عنهم، لتصفحوا عنهم ولا تؤنبوهم، فأعرضوا عنهم، فدعوهم، وما اختاروا لأنفسهم من النفاق" ^(٨)، وقال النسفي: "لتركوهم ولا تؤنبوهم، فأعطوهم طلبتهم" ^(٩). وقال الدكتور تمام حسّان: "أي لا تعاقبوهم واهملوهم" ^(١٠).

^(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٨٢ / ٢.

^(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٣٠٢ / ٧.

^(٣) البحر المحيط: ١٩٨ / ٥.

^(٤) في ظلال القرآن: ١٣٨١ / ٣.

^(٥) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٦٠.

^(٦) جامع البيان للطبري: ٤٢٥ / ١٤.

^(٧) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ٤٦٣ / ١.

^(٨) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٣٧٩ / ٢، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٩٤ / ٣.

^(٩) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٧٠٣ / ١.

^(١٠) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٦١.

- الأَوْسَطُ:

وهذا اللفظ له معنيان هُما: "الواقع بين شيئين، والأفضل، وأفضلُهُما"^(١)، وهذه شواهد من القرآن تُؤيِّد ذلك:

- قال تعالى: ﴿ فَوسَطَنَ بِهِ جَمَعًا ﴾ [العاديات: ٥]، قال الزجاج: أي فتوسَّطَ المكانَ^(٢). وقال القشيري: "أي: توسَّطَ المكان، أي: تتوسَّطَ الخيلَ بفوارسها جَمَعَ العَدُوَّ"^(٣). وقال الرَّحْمَشَرِيُّ: "ف(وسَطَنَ) مُلْتَبِسَاتٌ به جمعاً من جُموع الأعداء، ووسَطَه بمعنى توسَّطَه"^(٤). وقال الدكتور تَمَّام حَسَّان: "أي اتَّخَذَ مكاناً وسَطاً بين أفراد هذا الجمع"^(٥).

- قال تعالى: ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينًا ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، قال الرَّازِي: "واعلم أنَّ هذا الاستدلال إِنَّمَا يَتِمُّ إِذَا بَيَّنَّا أَنَّ المراد من الوسطى ما تكون وُسطَىٰ في العددِ لا ما تكون وُسطى بسبب الفَضِيلَة"^(٦). وقال الرَّحْمَشَرِيُّ: "الصَّلَاةُ الوسطى أي الوسطى بين الصَّلوات، أو المُضَلَى، من قولهم للأفضل: الأوسَط"^(٧). وقال أبو حيان: "والصلاة الوسطى فُعلَى مؤنثة الأوسَط، وهو خيارُ الشَّيء وأعدله، كما يقال: فلانٌ من واسِطَة قومِه، أي: من أعيانهم، وهل سُمِّيَت: الوسطى، لكونها بين شيئين من: وَسَطَ فلانٌ يَسِطُ، إِذَا كان وَسَطاً بين شيئين، أو: من وَسَطَ قومَه إِذَا فضلهم، فيه قولان، والذي تقتضيه

(١) حواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٦١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٥٣ / ٥.

(٣) لطائف الإشارات للقشيري: ٧٥٨ / ٣.

(٤) الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤ / ٧٨٧.

(٥) حواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ٦١.

(٦) مفاتيح الغيب: ٤٨٢ / ٦.

(٧) الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١ / ٢٨٧.

العربيّة أن تكونَ الوُسْطَى مؤنّث الأوسَط، بمعنى الفُضْلى مؤنّث الأفضَل^(١)، ولهذا تقول العرب واسطة العقد وذرّوة السنام وبيت القصيد.

- قال تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ [القلم: ٢٨]، قال مقاتل في تفسيره: "قوله سبحانه: قَالَ أَوْسَطُهُمْ يعني أعدلهم"^(٢). وقال البغوي: "أي: خيرهم وأعدلهم، وخير الأشياء أوسطها"^(٣)، وقال ابن الجوزي: "أي: أعدلهم وخيرهم"^(٤).

(١) البحر المحيط: ٢ / ٥٤٣.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٥.

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١ / ١٧٤.

(٤) زاد المسير في علم التفسير: ١ / ١١٩.

ثالثاً: تضمين بعض العناصر اللغوية معاني بعض:

التَّضْمِينُ هو إعطاء اللَّفْظِ مَعْنَى لَفْظٍ آخَرَ وَحُكْمَهُ، قال ابن هشام: "قد يُشْرِبُونَ لَفْظاً مَعْنَى لَفْظٍ فَيُعْطُونَهُ حُكْمَهُ وَيُسَمَّى ذَلِكَ تَضْمِيناً، وفائدته أن تُؤَدِّي كَلِمَةٌ مُؤَدِّي كَلِمَتَيْنِ"^(١). وفي القرآن تضمينُ بعضِ العناصرِ اللُّغويةِ مَعَانِيِ بَعْضٍ مَعَ مَا يَتِمَّاشِي مَعَ ذَلِكَ مِنْ إِعْطَاءِ الْعَنْصَرِ الْمُسْتَعْمَلِ مَا كَانَ لِلْمَتْرُوكِ مِنَ الْوِظَائِفِ النُّحُويَّةِ^(٢).

ومن أمثلته:

- تضمين (استحبَّ) معنى (فضَّلَ):

كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]، قال الدكتور تمام حسَّان: "ان استحبَّ لا يتعدَّى ب(على)، ولكنَّ الذي يتعدَّى بها ويُؤدِّي المعنى ذاته هو الفعل (فضَّلَ)، ولا شك أن المعنى: فضلوا العمى على الهدى. ومغزى هذا أن هذا الفعل (استحبَّ) ضُمِّنَ معنى (فضَّلَ)، وجعلَ بحيثُ يُؤدِّي وظائفه النحوية"^(٣). وجاء في التحرير والتنوير: "وضُمِّنَ (استحبوا) معنى: فضلوا، وهياً لهذا التضمين اقترانه بالسَّين والتاء للمبالغة، لأنَّ المبالغة في المحبَّة تستلزمُ التفضيل على بقية المحبوبات فلذلك عدِّي (استحبوا) بحرف على، أي رجحوا باختيارهم. وتعليق على الهدى بفعل (استحبوا) لتضمينه معنى: فضلوا وآثروا"^(٤). وقال أبو حيان: "آثروا الغيَّ على الرشد"^(٥)، وقال في موضع آخر: "فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد"^(٦). وإليه ذهب أبو السعود أيضاً^(٧).

(١) معني اللبيب: ٨٩٧.

(٢) ينظر: مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣١٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) التحرير والتنوير: ٢٤/٢٦٢.

(٥) البحر المحيط: ١٧٤/٥.

(٦) المصدر نفسه: ٢٩٧/٩.

(٧) إرشاد العقل السليم: ٩/٨.

وجاء في روح البيان: "حقيقة الاستحباب؛ أن يتحرى الإنسان في الشيء أن يُجِبَّهُ، واقتضى تعديته ب(على) معنى الإيثار والاختيار كما في المفردات، أي اختاروا الضلالة من عمى البصيرة"^(١). وقال زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ): "أي آثروهُ، و (عن) بمعنى (على)"^(٢).

- تضمين (اتَّخَذُوا) معنى (جَعَلُوا):

- كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [٣٠] الفرقان: ٣٠، قال الماوردي: "أثم جعلوه هجراً من الكلام وهو ما لا نفع فيه من العبث والهذيان، قاله ابن قتيبة"^(٣). وقال الخازن: "وقيل جعلوه بمنزلة الهجر"^(٤). قال الفراء: "ويقال: إثم جعلوه كالهذيان؛ والعرب تقول: (هَجَرَ الرَّجُلُ) في منامه، إذا هذى أو ردَّدَ الكَلِمَةَ"^(٥). وقال ابن قتيبة: "هجروا فيه، أي: جعلوه كالهذيان"^(٦). قال الدكتور تمام حسّان: "المعروف أنَّ المفعول الثاني ل(اتَّخَذَ) يأتي اسماً، فإذا جاء وصفاً فهو منقول إلى الاسمية، فيقال: اتَّخَذَهُ أَحْماً واتَّخَذَهُ حَارِساً أو وَزيراً، ولا يقال اتَّخَذَهُ رَاكِباً أو قائماً أو قاعداً، ومن الواضح أنَّ لفظ (مهجوراً) هنا لم يتحوّل إلى الاسمية فلم يبقَ إلا أن يكونَ الفعل (اتَّخَذُوا) ضمَّنَ معنى (جعلوا)"^(٧).

- تضمين (ضاحكاً) معنى (مُتَعَجِّباً):

- كما في قوله تعالى: ﴿ فَنَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

(١) روح البيان: ٢٤٥/٨.

(٢) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا الأنصاري: ٤٨٨/١.

(٣) النكت والعيون: ١٤٣/٤.

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل: ٣١٣/٣.

(٥) معاني القرآن للفراء: ٢٦٧/٢.

(٦) غريب القرآن لابن قتيبة: ٣١٣.

(٧) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣١٨.

﴿١٩﴾ [النمل: ١٩]، قال السمرقندي: "فَتَبَسَّ ضَاحِكًا، أَي مُتَعَجِّبًا"^(١). قال الواحدي: "قال الزجاج: أَكْثَرُ ضَحِكِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ التَّبَسُّمُ، وَضَاحِكًا حَالٌ، وَمَعْنَاهُ مُتَبَسِّمًا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِلَفْظِ (الضحك) أَكْثَرَ مِنَ التَّبَسُّمِ، وَسَبَبُ ضَحِكِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قَوْلِ النَّمْلَةِ: التَّعَجُّبُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى مَا لَا عَهْدَ لَهُ بِهِ تَعَجَّبَ وَضَحِكَ"^(٢). وقال القرطبي: "(فتبسّم ضاحكاً من قولها) متعجباً"^(٣). وبَيَّنَّ الدُّكْتُورُ تَمَّامَ حَسَّانَ أَنَّهُ: "ضُمِّنَ ضَاحِكًا مَعْنَى (عَاجِبًا) أَوْ (مُتَعَجِّبًا)، لِأَنَّ (ضَحِكَ مِنْ كَذَا) يُفِيدُ مَعْنَى السُّخْرِيَّةِ، وَهُوَ غَيْرُ الْمَقْصُودِ؛ وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ التَّعَجُّبُ مِمَّا قَالَتِ النَّمْلَةُ"^(٤).

- تَضْمِينُ (هَل) مَعْنَى (هَلَّا):

- كما في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ [الشعراء: ٣٩]، قال النيسابوري: "قوله: (هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ) اسْتِبْطَاءٌ لَهُمْ فِي الْاجْتِمَاعِ وَحُتُّ عَلَيْهِ، كَقَوْلِ الرَّجُلِ لِعُلَامِهِ: هَلْ أَنْتَ مَنْطِقٌ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَحْتَهُ عَلَى الْإِنْتِظَارِ"^(٥). وقال الرَّحْمَنِيُّ: "المراد منه: اسْتِعْجَالُهُمْ وَاسْتِحْتِائُهُمْ"^(٦). وقال أبو السعود: "قيل لهم ذلك اسْتِبْطَاءً لَهُمْ فِي الْاجْتِمَاعِ وَحُتًّا لَهُمْ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَيْهِ"^(٧). وهو ما ذهب إليه الشوكاني أيضاً^(٨). وقيل: "أَي اجْتَمَعُوا"^(٩). وقال الدكتور تَمَّامُ حَسَّانُ: ضُمِّنَ هَلْ مَعْنَى هَلَّا^(١٠). وهذا ما يتبيّن من الأقوال السابقة لأنها كلها تدلُّ على أَنَّ الْمَعْنَى: حُتُّ وَحُضُّ وَاسْتِعْجَالٌ لِلْقَوْمِ عَلَى الْاجْتِمَاعِ.

(١) بحر العلوم: ٥٧٦/٢.

(٢) الوسيط للواحدي: ٣٧٣/٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٧١/١٣، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٥٧/٤، تفسير المراغي: ١٢٩/١٩، معجم اللغة العربية المعاصرة: ١٣٤٨/٢.

(٤) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣١٩.

(٥) غرائب القرآن و رغائب الفرقان: ٢٦٨/٥.

(٦) الكشاف: ٣١١/٣.

(٧) إرشاد العقل السليم: ٢٤٢/٦.

(٨) فتح القدير للشوكاني: ١١٥/٤.

(٩) المنتخب في تفسير القرآن الكريم: ٥٤٦.

(١٠) ينظر: مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: ٣١٩.

الخاتمة

الخاتمة

بعد هذه الجولة الشيقة في خدمة كتاب الله، وبصحبة الدكتور تمام حسّان في دراسته اللغوية للقرآن الكريم وغوصه في عويص المسائل ودقيقها، توصلنا إلى النتائج التالية:

- ❖ القرآن فوق قواعد النحاة فهو يسع النحو ولا يسعه النحو، لأن النحو مجاله ما اطرّد من الاستعمال اللغوي، وأما القرآن فيُهيمنُ على اللغة كلّها ما اطرّد منها وما لم يطرّد. ورتماً صلح ذلك لأن يكون جانباً من جوانب إعجازه.
- ❖ طبّق الدكتور تمام حسّان نظريته على جلّ القضايا اللغوية الواردة في القرآن الكريم نحواً و صرفاً وصوتاً ودلالةً ومعجماً.
- ❖ يرى الدكتور تمام حسّان أنّ القول بأنّ لهجة قريش تُعدّ من أفصح اللهجات، أبعد ما يكون عن الصواب؛ وذلك لوجود ظواهر لهجيّة، كتسهيل الهمزة في لهجة قريش مثلاً، وهي مما يتنافى، مع الفصاحة، كما أنّ النصّ القرآنيّ لم ينزل بلسان قريش، وإنّما نزل بلسان عربيّ مُبين.
- ❖ خالف القدماء في دراسة الاشتقاق؛ حين اقترح (فاء الكلمة وعينها ولامها)، كأصل للاشتقاق، في حين كان أصلُ الاشتقاق عند البصريين (المصدر)، وأصله عند الكوفيين (الفعل الماضي).
- ❖ جمع في كتبه الكثير من مباني اللغة وأسرارها مُستشرفاً بذلك جلال القرآن وجماله.
- ❖ قول النحاة؛ إنّ الضمير يعود إلى أقرب مذكور، لا ينبغي أن يُقبَل على إطلاقه، إذ قد يتطلّب الأسلوب والمعنى عوده إلى أبعد مذكور.
- ❖ مخالفة التركيب لقواعد النحو غير مضرّة ولا قاذحة؛ لورود ذلك في القرآن والحديث.
- ❖ أعاد النحو إلى اللغة، بعد ما كان مادة منفصلة، فشملت دراسته الصوتيات والصرف، والنحو، والمعجم.
- ❖ نظريته النحويّة نظامٌ متماسكٌ قوامه القرائن المعنويّة واللفظيّة، ولهذه النظريّة أهميّة كبرى تبيّنت من خلال تطبيقاتها على فهم القرآن وتفسيره في كتبه في مجال الدّراسات القرآنيّة.

❖ تطرّق إلى ظاهرة النقل وهي من أهم ظواهر الاقتصاد اللغوي. وبين إمكان نقل كلمة من قسم إلى قسم آخر من أقسام الكلم .

❖ أعاد ايضاح الترخّص الذي كان موجوداً في نظام اللغة منذ القديم ولكن باسم التوسع الذي تفسّر القراءات الشاذّة على أساسه.

❖ ابتكر أفكاراً غير مسبوق إليها، وشكّل قاعدة منهجية انطلق منها البحث اللغويّ العربيّ المعاصر، فحرّك بذلك ما كان ساكناً، وأحضّر ما كان غائباً وفتح لمن كان معه ومن جاء بعده آفاقاً رحبةً وفضاءاتٍ واسعةً من أوجه التفكير اللغويّ وتحليل قضاياه المتشعبة.

❖ تحكيم النحاة قواعدهم وأصولهم فيما سُع من العرب خطأً منهجياً؛ إذ ليس من حق النحوي غير الفصيح أن يخطئ الأعرابي الفصيح إلا إذا وجد السماع ضده.

❖ عاب على القدماء اعتمادهم على الشعر وإهمالهم النصّ القرآني وقراءاته، ورأى أنّه كان يجب على القدماء الاهتمام بالنصّ القرآني وقراءاته الشاذّة ومحاولة تخريجها؛ لكونها من باب الترخّص في القرينة.

❖ رأى أنّ مصدر الإجماع لا يصحّ الأخذ به في اللغة؛ لأنّه يعني عندهم: إجماع أهل البصرة والكوفة على حكمٍ من أحكام النحو فإذا أجمعوا أصبح إجماعهم بزعمهم ملزماً لغيرهم مسكناً له عن المعارضة والخلاف. والواقع النحويّ يقضي بغير ذلك، فليس هناك إجماع بين البصرة والكوفة إلا على قلة قليلة من مسائل النحو وما عدا ذلك ففيه خلاف يقضي بعدم إجماعهم.

❖ قسّم المعنى إلى وظيفي، ومعجمي، ودلالي، وإذا تحقّق المعنى الوظيفي أمكن التحليل ولو لم يتحقّق المعجمي والدلالي. وقد يتعدّد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد، كما يتعدّد المعنى المعجمي للفظ الواحد.

❖ النحو نظام من القرائن التي تُعبّر عنها مبانٍ مأخوذة من الصّرف والأصوات. والقرائن إمّا معنويّة وإمّا لفظيّة، والمعنويّة منها تمثّل العلاقات السّيّاقية. والقرائن لا تعمل إلا متضافرة، فلا

يمكنُ لِوَاحِدَةٍ مِنْهَا أَنْ تَسْتَقِلَّ بِأَدَاءِ الْمَعْنَى. وَقَدْ يَتَّضِحُ الْمَعْنَى بِدُونِ إِحْدَى الْقِرَائِنِ فَيُمْكِنُ التَّرَخُّصُ فِيهَا بِحَذْفِهَا.

❖ كَشَفَ عَنْ نَوْعٍ مِنَ الِاسْتِعْمَالِ يُخَالِفُ الْقَوَاعِدَ وَلَكِنَّهُ يُقَاسُ عَلَيْهِ، وَأُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْمَ الْأُسْلُوبِ الْعُدُولِيِّ.

❖ انْفَرَدَ الْقُرْآنُ بِبَعْضِ الطُّرُقِ فِي صِيَاغَةِ الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ دُونَ التَّزَامِ مِنْهُ بِ(الْوَضْعِ) النَّمَطِيِّ الَّذِي اشْتَرَطَهُ النَّحَاهُ لِلْوُصُولِ إِلَى الْإِفَادَةِ.

❖ حُرْفُ الْجُرِّ يَتَكَرَّرُ عِنْدَ الْعَطْفِ عَلَى مَا جُرَّ بِهِ مِنْعًا لِالتَّبَاسِ الْعَطْفِ بِمَعْنَى آخَرَ، كَالْقَسَمِ فِي حَالَتِي الْبَاءِ وَالْوَاوِ مِثْلًا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْمَكَانُ غَيْرَ صَالِحٍ لِنَزْعِ الْخَافِضِ.

❖ الْقُرْآنُ يَحْذِفُ وَلَا يُلْبِسُ، وَهَذَا بِمَا اخْتَصَّ بِهِ الْقُرْآنُ. فَالِنَّصُّ الْقُرْآنِيُّ يَسْتَعْنِي عَنِ الْمَحْذُوفِ دُونَ الِاسْتِعَانَةِ بِمَا يَنْوِبُ عَنْهُ وَمَعَ ذَلِكَ يَظَلُّ مَنْهُومًا فَهَمًّا تَامًّا.

❖ تَأْتِي أَلْفُ الْإِبْدَالِ فِي الْقُرْآنِ فِي كَلِمَاتٍ اقْتَرَنَتْ بِأَدَاةِ التَّعْرِيفِ، خِلَافًا لِلْقَوَاعِدِ، وَذَلِكَ رِعَايَةً لِلْفَاصِلَةِ.

❖ مِنْ عَادَةِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ عِنْدَ تَعَدُّدِ الْأَوْصَافِ وَالْأَخْبَارِ وَالْأَحْوَالِ، أَنْ يَبْدَأَ بِالْوَصْفِ الْمَفْرَدِ ثُمَّ بِشِبْهِ الْجُمْلَةِ ثُمَّ بِالْجُمْلَةِ، وَهَذِهِ الْأَوْصَافُ تَتَرْتَّبُ مِنَ الْخَاصِّ إِلَى الْعَامِّ مِنْ حَيْثُ عِلَاقَتُهَا بِالْمَوْصُوفِ، فَهُوَ يَقْدِّمُ الْأَقْصَرَ عَلَى الْأَطْوَلِ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ قُوَّةِ الْعِلَاقَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ بَيْنَ الْقَصِيرِ وَمَا قَبْلَهُ. وَعَلَى هَذَا جَاءَتْ لُغَةُ الْعَرَبِ، حَيْثُ يَبْدُؤُونَ بِمَا هُوَ أَدْلُّ عَلَى الْمَوْصُوفِ وَأَقْرَبُ إِلَيْهِ، لَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا أَمْنُ اللَّبْسِ.

❖ التَّكْرَارُ وَسِيلَةٌ لِلتَّقْرِيبِ بَيْنَ طَرَفِي الْعِلَاقَةِ الْمُتَبَاعِدِينَ وَأَمْنُ اللَّبْسِ الَّذِي كَانَ يَحْصَلُ لَوَلَاهُ.

❖ تَوْجَدُ فِي الْقُرْآنِ مَوَاضِعٌ لِلزِّيَادَةِ، لَمْ يَعُدَّهُ النَّحَاهُ مِنَ الزِّيَادَةِ، وَلَكِنَّ الْقُرْآنَ لَهُ طَرَفُهُ الَّتِي لَمْ يَتَّسِعْ لَهَا النَّحْوُ.

❖ مِنَ التَّرَخُّصَاتِ الْقِرَائِنِيَّةِ فِي صِيغَةِ الْإِفْتِعَالِ أَنْ تَتَحَوَّلَ فِيهَا التَّاءُ إِلَى حُرْفٍ مُقَارِبٍ لِلْحُرْفِ الَّذِي يَلِيهَا ثُمَّ تُدْعَمُ فِيهِ. وَالتَّاءُ فِي ذَلِكَ لَا تُخْضَعُ لِقَاعِدَةٍ خَاصَّةٍ بِهَا وَإِنَّمَا تَلْحَقُ بِقَاعِدَةِ حُرُوفِ الْعِلَّةِ الَّتِي تَأْتِي مُتَحَرِّكَةً وَمَسْبُوقَةً بِسَاكِنٍ صَحِيحٍ، تَقُولُ الْقَاعِدَةُ: (تُنْقَلُ حَرَكَةُ الْمَعْتَلِّ

إلى الساكن الصحيح قبله)، وليست التاء من حروف العلة ولكننا نجد النص القرآني يعاملها
كما لو كانت كذلك في الاتساع.

هذا وفي الختام نتمنى أن تنال آراء الدكتور تمام حسان وما أبرزه من قضايا لغوية في القرآن وفي
العربية عموماً حظاً أوفر من العناية والدراسة؛ كي يستفيد منها النشء وتُسهم في إغناء اللغة وإثرائها،
وأرجو أن يكون عملي هذا خالصاً لوجه الله، فإن أصبت فمن الله تبارك وتعالى، وإن أخطأت فمعي،
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- * إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت ٦٦٥هـ)، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.
- * إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي الشهير بالبناء (ت ١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ.
- * الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- * أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، د. فدوى محمد حسّان، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- * أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً، د. عبد الرازق بن حمودة القادوسي، جامعة حلوان - مصر، د.ط، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
- * اجتهادات لغوية، د. تمام حسّان، عالم الكتب - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- * أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت.
- * إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ط، د.ت.
- * أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزّخّشي (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- * أسئلة بيانية، د. فاضل صالح السامرائي، مكتبة الصحابة، الإمارات - الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- * أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني - القاهرة، دار المدني - جدّة، د.ط، د.ت.
- * أسرار البيان في التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، د.ط، د.ت.
- * أسرار العربية، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، دار الأرقم بن أبي

الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- * الأسس الجمالية في النقد العربي، د. عز الدين إسماعيل، د.ط، د.ت
- * الأصمعيّات، اختيار الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (ت ٢١٦)، بتحقيق احمد محمد شاكر - عبد السلام محمد هارون، دار المعارف - القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٩٣م.
- * الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٧م.
- * الأصول الفنية للأدب، عبد الحميد حسن، د.ط، د.ت.
- * الأصول دراسة إستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، د. تمام حستان، عالم الكتب-القاهرة، د.ط، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- * الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، د.ط، د.ت.
- * أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- * الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطيء (ت ١٤١٩هـ)، دار المعارف - القاهرة، ط ٣، د.ت.
- * إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق القادر الرافي (ت ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- * إعراب القرآن العظيم، أبو يحيى زين الدين زكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، تحقيق: د. موسى على موسى مسعود، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- * إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد درويش (ت ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ.
- * إعراب القرآن للأصبهاني، أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، الملقب بقوام السنة (ت ٥٣٥هـ)، مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- * إعراب القرآن للباقولي - منسوب خطأ للزجاج، أبو الحسن نور الدين علي بن الحسين الباقولي - جامع العلوم الأصفهاني (ت نحو ٥٤٣هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتب اللبنانية - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ.

- * إعراب القرآن للدعاس، أحمد الدعاس - أحمد حميدان - إسماعيل القاسم، دار المنير ودار الفارابي - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.
- * إعراب القرآن للنحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النَّحَّاس (ت ٣٣٨هـ)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
- * الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م.
- * ألفية ابن مالك، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن مالك الطائي (ت ٦٧٢هـ)، دار التعاون، د.ط، د.ت.
- * الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأنباري، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م.
- * أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- * الأوائل، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، دار البشير، طنطا، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- * أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت ١٤٠٢هـ)، المطبعة المصرية ومكبتها، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤ م.
- * أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد جمال الدين عبد الله ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.
- * إيجاز البيان عن معاني القرآن، أبو القاسم محمود بن أبي الحسن النيسابوري (ت نحو ٥٥٠هـ)، تحقيق: د. حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- * أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣ م.
- * الإيضاح في علوم البلاغة، أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن جلال الدين القزويني، المعروف بخطيب دمشق (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجليل - بيروت، الطبعة الثالثة، د.ت.
- * باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، أبو القاسم محمود بن أبي الحسن النيسابوري (بيان الحق) (ت بعد ٥٥٣هـ)، تحقيق: سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، جامعة أم القرى - مكة

المكرمة، د.ط، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

* بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣ هـ)، د.ط، د.ت.

* البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر-بيروت، د.ط، ١٤٢٠ هـ.

* البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

* بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت.

* بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د. فاضل صاح السامرائي، شركة العاتك-القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

* البيان في روائع القرآن، د. تَمَّام حَسَّان، عالم الكتب-القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

* البيان في عدّ آي القرآن، أبو عمرو عثمان بن سعيد الدايني (ت ٤٤٤ هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

* البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ)، تحقيق د. طه عبد الحميد طه-مراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦ م.

* تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط، د.ت.

* تأريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، د. محمد المختار ولد أباه، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

* تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت.

* التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦ هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ط، د.ت.

- * تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن أبي الإصبع العدواني (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق: د. حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، د.ط، د.ت.
- * التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، د.ط، ١٩٨٤م.
- * تحفة الأقران في ما قرئ بالثلث من حروف القرآن، أبو جعفر أحمد بن مالك الرعيبي الغرناطي الأندلسي (ت ٧٧٩هـ)، كنوز أشبيليا - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- * التذكرة في القراءات الثلاث المتواترة وتوجيهها من طريق الدرّة، محمد سالم محيسن، مكتبة القاهرة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.
- * التذكرة في القراءات الثمان، طاهر بن عبد المنعم ابن غلبون (ت ٣٩٩هـ)، تحقيق: أيمن رشدي سويد، الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدّة، ١٤١٢هـ.
- * التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- * التطبيق الصربي، د. عبدة الراجحي، دار النهضة العربية - بيروت، د.ط، ١٩٧٣م.
- * التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمّار، عمّان، الطبعة الخامسة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- * التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- * تفسير آيات الأحكام، محمد علي السائس الأستاذ بالأزهر الشريف، تحقيق: ناجي سويدان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د.ط، ٢٠٠٢م.
- * تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الحديث-القاهرة، الطبعة الأولى، د.ت.
- * تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ).
- جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- جزء ٢، ٣: تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشّدي، دار الوطن-الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- جزء ٤، ٥: تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- * تفسير العثيمين الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١ هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.
- * تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد السّمعاني (ت ٤٨٩ هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- * تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، أبو محمد عز الدين بن عبد السلام السلمي الدمشقي، سلطان العلماء (ت ٦٦٠ هـ) تحقيق: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- * تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤ هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٩٩٠ م.
- * تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإلبيري، ابن أبي زَمَنِينَ (ت ٣٩٩ هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة-محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة-القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- * تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.
- * تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
- * تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١ هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده-القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
- * التفسير المظهري، محمد ثناء الله المظهري، تحقيق غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية - باكستان، د.ط، ١٤١٢ هـ.
- * التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزّحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ.
- * التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد - بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤١٣ هـ.
- * تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت ١٠٤ هـ)، تحقيق: د. محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة-القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ -

١٩٨٩م.

* تمام حستان رائداً لغويّاً، د. عبدالرحمن حسن العارف، عالم الكتب-القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

* تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس رضي الله عنه (ت ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، د.ط، د.ت.

* تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

* التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

* تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

* جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

* جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت ١٣٦٤هـ)، المكتبة العصرية، صيدا - لبنان، الطبعة الثامنة والعشرون، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

* الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية-القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

* الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت ١٣٧٦هـ)، دار الرشيد، دمشق-مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.

* جمال القراء وكمال الإقراء، أبو الحسن علي بن محمد علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. مروان العطيّة - د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث - دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

* جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبي - دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

* الجملة العربية والمعنى، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر- عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م.

- * جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة، د.ط، د.ت.
- * الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة-الأستاذ محمد ندم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- * جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت.
- * الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي (ت ٨٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- * حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي، شهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ)، دار صادر - بيروت، د.ط، د.ت.
- * حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- * حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة (ت حوالي ٤٠٣هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، د.ط، د.ت.
- * الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ.
- * خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، د.ط، ٢٠٠٤ م.
- * الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، د.ت.
- * خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة-القاهرة، الطبعة السابعة، د.ت.
- * خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت ١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة-القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- * الخلاصة النحوية، د. تمام حسّان (ت ١٤٣٢هـ)، عالم الكتب-القاهرة، الطبعة الثانية،

١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

* خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم، د. تمام حسّان، عالم الكتب-القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

* دراسات في فقه اللغة، د. صبحي إبراهيم الصالح (ت ١٤٠٧هـ)، دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة السادسة عشرة، ٢٠٠٤م.

* دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب-القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

* دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب-القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

* الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د.ت.

* الدرّ المنثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر - بيروت، د.ط، د.ت.

* درّة الغوّاص في أوهام الخوّاص، أبو محمد القاسم بن علي الحريري (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

* دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

* ديوان ذي الرُّمّة، غيلان بن عُقبة العدوي (ت ١١٧هـ)، تحقيق: د. عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

* الذخيرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس الشهير بالقرافي (ت ٦٨٤هـ)، تحقيق: محمد حجي، سعيد أعراب، محمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

* روح البيان، إسماعيل حقي الخلوئي (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر - بيروت، د.ط، د.ت.

* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسيّ (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

* زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

- (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- * الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- * زهرة التفاسير، محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي. د.ط، د.ت.
- * السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق - القاهرة، ١٢٨٥هـ.
- * سرّ الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- * سرّ صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- * السّماع والقياس، أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور (ت ١٣٤٨هـ)، دار الآفاق العربية-القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- * شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحمالوي (ت ١٣٥١هـ)، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرش - الرياض، د.ط، د.ت.
- * شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث-القاهرة، دار مصر للطباعة، الطبعة العشرون، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- * شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى الأشموني (ت ٩٢٩هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- * شرح ألفية ابن معطٍ المسمّى حرز الفوائد وقيد الأوابد، محمد بن يعقوب المعروف بالنحوية الحموي الدمشقي (ت ٧١٨هـ)، تحقيق: عبد الله بن فهيد البقمي، د.ط، ١٤١٥هـ - ١٤٢١هـ.
- * شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله بن أبي بكر الأزهري، وكان يعرف بالوقاد (ت ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- * شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس-بنغازي، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

- * شرح الكافية الشافية، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، د.ت.
- * شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير، صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي (ت ٦١٧هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- * شرح الملوكي في التصريف، أبو البقاء موفق الدين ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق د. فخر الدين قباوة، المكتبة العربية-حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
- * شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، دار الكتاب العربي، د.ط، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- * شرح شافية ابن الحاجب، نجم الدين محمد بن الحسن الرضوي الإستراباذي (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن-محمد الزفزاف-محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- * شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، أبو محمد، جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع - دمشق، د.ط، د.ت.
- * شرح طيبة النشر في القراءات، أبو الخير شمس الدين ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- * شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليميني (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر-بيروت، دار الفكر-دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- * الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني الرّازي (ت ٣٩٥هـ)، محمد علي بيضون، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- * الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- * الصّرف الكافي، أيمن أمين عبد الغني، دار الكتب العلمية - دار ابن خلدون، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م-١٤٢٨هـ.
- * صفوة التفاسير، محمد علي الصّابوني، دار الصّابوني للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- * ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة

الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

* الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلويّ (ت ٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

* العربية وعلم اللغة البنيوي، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، د.ط، ١٩٩٦م.

* علل النحو، أبو الحسن محمد بن عبد الله ابن الوراق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد - الرياض / السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

* علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب-القاهرة، د.ط، ٢٠٠٠م.

* علم الصرف الصوتي، د. عبدالقادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع-عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٣١-٢٠١١م.

* على طريق التفسير البياني، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر ناشرون وموزعون - عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

* العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجليل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

* عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، أبو العباس أحمد بن محمد، ابن البناء المراكشي (ت ٧٢١هـ)، تحقيق: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

* غاية المرید في علم التجويد، عطية قابل نصر، القاهرة، الطبعة السابعة، د.ت.

* غرائب التفسير وعجائب التأويل، أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة الكرمانی، ويعرف بتاج القراء (ت نحو ٥٠٥هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت، د.ط، د.ت.

* غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

* غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، د.ط، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

* الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الرّخّشريّ (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي-محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة-بيروت، الطبعة الثانية، د.ت.

* فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زين الدين أبو يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري السنيكي (ت ٩٢٦هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، الطبعة

الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

* فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير-بيروت، دار الكلم الطيب-دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

* الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، د.ط، د.ت.

* الفصول المفيدة في الواو المزيدة، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلي العلابي (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: حسن موسى الشاعر، دار البشير - عمان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

* فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق: مروان العطية، محسن خرابة، وفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

* فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

* الفكر اللغوي الجديد، د. تمام حسان، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

* فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتيبي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر-بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.

* فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية، د. السيد خضر، مكتبة الآداب-القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

* الفوز الكبير في أصول التفسير، الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف ب(ولي الله الدهلوي)(ت ١١٧٦هـ)، عرّبه من الفارسية: سلمان الحسيني الندوي، دار الصحوة - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

* في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات ووثائق، د. سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤.

* في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)، دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ.

* القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

- * كتاب سيويه (الكتاب)، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، سيويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- * كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت.
- * الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- * الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- * الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، إعداد وفهرسة: د.عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- * لباب التأويل في معاني التنزيل، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد الخازن (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- * اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- * اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الدمشقي النعماني (ت ٨٨٠هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- * لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.
- * لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، الطبعة الثالثة، د.ت.
- * اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسّان، عالم الكتب-القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- * لغة القرآن دراسة توثيقية فنية، د. أحمد مختار عمر، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي-الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- * اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسّان، عالم الكتب-القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٧ هـ -

- * مآءات القرآن، نور الدين أبو الحسن علي بن الحسين الضيرير الباقولي الملقب ب(جامع العلوم والحكم)(ت ٥٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد القادر عبد الرحمن السعدي، دار الأنبار للطباعة والنشر، العراق-بغداد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- * مبادئ اللسانيات، د. أحمد محمد قُدّور، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- * متن الآجروميّة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، ابن آجرُوم (ت ٧٢٣هـ)، دار الصّميعي، د.ط، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- * المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية-بيروت، د.ط، ١٤٢٠هـ.
- * مجاز القرآن لأبي عبيدة، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي-القاهرة، د.ط، ١٣٨١هـ.
- * المجتبى من مشكل إعراب القرآن، د. أحمد بن محمد الخراط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، د.ط، ١٤٢٦هـ.
- * مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة-بيروت، د.ط، د.ت.
- * محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- * المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، د.ط، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- * المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي(ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- * المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن اسماعيل ابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- * مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرّازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- * المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- * مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بدوي، مراجعة: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- * مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي الجاوي (ت ١٣١٦هـ)، تحقيق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٧هـ.
- * مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- * المزهري في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- * مشكل إعراب القرآن لمكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب المالكي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
- * معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- * معاني الأبنية في العربية، د. فاضل صالح السامرائي، جامعة الكويت - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- * معاني القراءات للأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- * معاني القرآن للأخفش، أبو الحسن المجاشعي المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- * معاني القرآن للفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاشي - محمد علي النجار - عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة الأولى، د.ت.
- * معاني القرآن للنحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- * معاني القرآن وإعرابه للزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت ٣١١هـ)، عالم

الكتب-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- * معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- * معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- * معجم الأدوات في القرآن الكريم، راجي الأسمر، دار الجيل-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
- * المعجم التجويدي لأشهر ألفاظ علم التجويد، د. عمر خليفة الشايحي، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- * معجم الصواب اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب-القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- * معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب-القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- * معجم علم اللغة النظري، علي الخولي، مكتبة لبنان-بيروت، د.ط، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- * معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم-دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- * معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، د. عبد العلي المسؤل، دار السلام-القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- * المعجم المفصل في النحو العربي، د. عزيزة فوال بابتي، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- * المعجم المفصل في علم الصرف، راجي الأسمر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ط، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- * المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)، د. محمد التونجي- راجي الاسمر، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- * المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، د. أحمد مختار عمر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-المدينة المنورة، د.ط، د.ت.
- * المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى- أحمد الزيات- حامد عبد القادر-

محمد النجار، دار الدعوة، د.ط، د.ت.

* معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب-القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

* المغني الجديد في علم الصرف، د. محمد خير حلواني، دار الشرق العربي-بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

* مغني اللبيب عن كتب الأعراب، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك - محمد علي حمد الله، دار الفكر-دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.

* مفاتيح الغيب-التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

* مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن، د. تمام حسّان، عالم الكتب-القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

* المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم-بيروت، الدار الشامية-دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

* المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزَّخَّشَرِيّ (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحّم، الناشر: مكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

* المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، الناشر: عالم الكتب-بيروت. د.ط، د.ت.

* مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازيّ (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

* مقدمة في أصول التصريف، طاهر بن أحمد بن بابشاذ (ت ٤٦٩هـ)، تحقيق د. حسين علي السعدي-د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية-بغداد، د.ط، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

* الممتع الكبير في التصريف، أبو الحسن علي بن مؤمن ابن عصفور (ت ٦٦٩هـ)، مكتبة لبنان-بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

* من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت ١٣٨٤هـ)، نَهضة مصر-القاهرة، د.ط،

٢٠٠٥ م.

- * مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسّان، مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة، د.ط، د.ت.
- * المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، مؤسسة الأهرام-القاهرة، الطبعة الثامنة عشر، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- * الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت ١٤١٧ هـ)، دار الفكر-بيروت، د.ط، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- * الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة سلطان الخيرية-الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ-١٩٩٩ م.
- * الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت ١٤١٤ هـ)، مؤسسة سجل العرب، د.ط، ١٤٠٥ هـ.
- * موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، خالد بن عبد الله بن أبي بكر الأزهري (ت ٩٠٥ هـ)، تحقيق: عبد الكريم مجاهد، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ-١٩٩٦ م.
- * الميزان في أحكام تجويد القرآن، فريال زكريا العبد، دار الإيمان - القاهرة، د.ط، د.ت.
- * النحو المصنفى، محمد عيد، مكتبة الشباب، د.ط، د.ت.
- * النحو الوافي، عباس حسن (ت ١٣٩٨ هـ)، دار المعارف-القاهرة، الطبعة الخامسة عشرة، د.ت.
- * نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة-جدة، الطبعة الرابعة، د.ت.
- * نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار- حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، د.ط، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٥ م.
- * الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، محمد سالم محيسن (ت ١٤٢٢ هـ)، دار الجليل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧ م.
- * الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو محمد مكّي بن أبي طالب القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧ هـ)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- * هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المرصفي المصري (ت ١٤٠٩ هـ)، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، د.ت.

- * همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، المكتبة التوفيقية- القاهرة، د.ط، د.ت.
- * الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، د.ط، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- * الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت ١٤٠٣هـ)، مكتبة السوادى للتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- * الوجوه والنظائر، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- * الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدى (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
- * وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر- حلب، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

* المؤتمرات:

- * الدكتور تمام حسان وأثره في البحث الأكاديمي المغربي، د.نادية رمضان محمد النجار، المؤتمر الدولي الأول، جامعة حلوان- جامعة الحسن الثاني، المغرب، فبراير ٢٠٠٢م.

* الدوريات:

- * الفصل والوصل بين البلاغة والنحو، رسمية محمد الميّا، مجلة كلية الآداب العراقية، العدد ١٤، ١٩٧٠-١٩٧١.

ملخص البحث باللغة الكردية والإنكليزية

پوختە

ئەم نامەدە بە ناوئیشانی (كۆلپنەوہی زمانەوانی بۆ قورئانی پیرۆز لای تەمام حەسسان)، توئیزینەوہیە کە دەربارە بەبەتە زمانەوانیەکان لە قورئانی پیرۆزدا لە روانگە تەمام حەسسانەوہ بۆ گەیشتن بە راو بۆچوونی پەیوەست بە تیگەیشتنی تیگەستی قورئان و مەبەست و ئامانجەکانی، بە شیوەیەکی جیاوازی لەوہی کە باوہ.

توئیزینەوہ کە لە پێشەکی و دەروازەو دوو بەش پیکھاتوہ:

دەروازە کە خستنەرووی چەند لایەنیکی گەرنگی ژبان و بەرھەم و راو بۆچوونەکانی تەمام حەسسانە.

بەشی یە کەم، کە بە ناوئیشانی (تایبەتمەندی فۆنەتیکی و مۆرفۆلۆجیی)ە، لە دوو پار پیکھاتوہ، لە پاری یە کەمدا باسما لە چەند تایبەتمەندییەکی فۆنەتیکی قورئان کردوہ، وەك: ریتیم و، ویستەنی نیوان ئایەتەکان (الفصلة القرآنية) و، بۆنە دەنگی (المناسبة الصوتية).

لە پاری دووہمیشدا باسما لە چەند تایبەتمەندییەکی مۆرفۆلۆجیی قورئان کردوہ، وەك: ئالوگۆر لە بنەرەت و پەیکەری ووشەکان و، لادان لە بنەرەت و، سانایی خوازی.

بەشی دووہمیش، کە بە ناوئیشانی (تایبەتمەندی ریزمانی و دیاردەیی زمانەوانی)ە، کە لە سێ پار پیکھاتوہ، لە پاری یە کەمدا، باسما لە گەرانەوہی راناو بۆ دوورترین یان نزیکترین باسکراو و، ماوہی نیوان پیکھاتەکانی رستەو، دووبارە کردنەوہ کردوہ.

لە پاری دووہمیشدا چەند رینگایەکی لیکدان و پیکھیتانی ووشەمان خستۆتە روو.

لە پاری سێبەمیشدا باسما لە چەند دیاردەییەکی زمانەوانی وەك و اتاگۆرکی و ھاوبەشی و تیھەلکیشان کردوہ.

توئیزینەوہ کەیش بە خستنەرووی ئەنجامەکان کۆتایی ھاتوہ.

Abstract

This Thesis entitled "**The Linguistic Study of The Holy Qur'an by Tammam Hassan**" is a research on some Linguistic Issues in The Holy Qur'an from the perspective of Tammam Hassan in order to reach a different opinion regarding understanding the text of Holy Qur'an and its purposes and objective from a different point of view than commons.

The study consists of: Introduction, preface and two parts.

The Introduction is to explore some important aspects of Tammam Hassan's life, works and ideas.

The **First Part** entitled "**Phonetical and Morphological Characteristics**", consists of two modules, in the first module it deals with some characteristics of the phonetics of Holy Qur'an, for example: rhythm, rest Qur'anic between the verses and phonetical rituals. In the second module we deal with the morphological characteristics of Qur'an, like: Alternation in the pattern's formation reversing the origin and simplification.

In the **Second Part**: which is entitled "**Grammatical Characteristics and Linguistics Phenomena**" and consists of three modules, the first module deals with pronouns and there referrals to the nearest and the furthest, distance between the components of the sentence and recurrence. In the second modules some methods of combining and formation of vocabulary is explained. In the third module we focus on some linguistic phenomena, phonetic of duo and enclosure.

The research has been concluded by demonstrating the results.